المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ولمن تبعه بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

فما زالت نعم الله عز وجل علينا تترى ، ومن أعظم نعمه بعد الإسلام والإيمان ، العلم النافع ، ثم نعمة الزواج ، إذ جعله سكناً لنا، وقرنه بالمودة والرحمة مع التفكر في خلقه سبحانه ؛ كما جاء في قوله تعالى : ﭐﱡ

لي لى لم لخ ﱠ، [1]

نم نى . [2] كل هذه الآيات دالة على قدسية الزواج في أن الله عز وجل؛ جعل لكل شيء يماثله من جنسه ، فالأصل واحد ومن جنس واحد، إذ إن الجنس إلى جنسه أكثر ميلاً وأنساً وقرباً، وإن الناس في هذه الحياة أصناف متباعدة في غالب شؤون الحياة ، ولذا كان لزاماَ علينا تنزيل الناس منازلها ، مما يستوجب ذلك في الخطاب والتعامل ، و قدوتنا في ذلك خير الأنام رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام ، ولا يختلف في ذلك عاقلان .

التعامل الإيجابي والتوافق بين الزوجين، هو : أساس نجاح الحياة الزوجية والأسرية ، وقد وضع الدين الإسلامي الحنيف آدابا للتعامل بين الزوجين ، بأن حدد الحقوق والواجبات اللازمة على كل من الزوج والزوجة ، بالعدل بين الطرفين بما يتناسب مع الطبيعة التي فطرهما الله سبحانه وتعالى عليها .

فالزوجان هما النواة الأولى للمجتمع الذي نعيش فيه ، فمنهما تتكون الأسرة على أساس المودة والرحمة و حُسن الخُلق الذي دعا له الإسلام ، كما أشار إلى ذلك رسول

---

[1] الروم : 21 .
[2] النساء : 1.

الله : قال: "**إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً وخيركم ، خيركم لنسائكم**"[1]. فإن منهج النبي عليه الصلاة والسلام ؛جعل الخيرية مرتبطة بالتعامل الحَسن .

مشكلة البحث

نجد أن الإسلام قد أحاط الأسرة باهتمام وعناية ، ووضع لها من التدابير ما يحميها من مظاهر التفكك قبل وبعد الزواج ، حيث إن منهج الإسلام في حل المشكلات بشكل عام سواء كانت مشكلات اجتماعية أو اقتصادية أو تربوية ، تقوم على مبدأ الوقاية خير من العلاج ، فهناك مشكلات كثيرة تحدث بين الأزواج ؛ ولكن هل مشكلة التعامل السلبي هو السبب الرئيس في عدم التوافق الزواجي ؟ فمن هنا وضعت الباحثة عدد من التساؤلات لمشكلة بحثها يمكن من خلالها صياغة فروض الدراسة وهي :

1/ ما مدى معرفة الأزواج والزوجات بالأسلوب الأمثل للتعامل ولحل الخلافات الزوجية ؟

2/ ما هي المقومات الأساسية التي يرتكز عليها التعامل بين الزوجين؟

3/ هل التعامل الإيجابي بين الزوجين له أثر في التوافق؟

4/ما هي الآداب التي تسهم في تحقيق التعامل الايجابي بين الزوجين؟

5/ هل التعامل السلبي هو السبب الرئيس لعدم التوافق من خلال واقع المجتمع السوداني ؟

6/ ما هي السلوكيات المساهمة في حدوث التعامل السلبي بين الزوجين؟

[1] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ،صحيح البخاري ،كتاب المناقب : باب صفة النبي حديث رقم3559 ،ج2ص 186.

أسباب اختيار الموضوع

لقد دفع الباحثة لإختيار هذا الموضوع عدة أسباب توضح أهمية البحث:

أولاً : إن مواضيع الزواج والأسرة من الأمور المهمة في حياة المسلمين وتجد اهتماماً كبيراً من خلال تشريعاته.

ثانياً : وجوب اتباع منهج الله تعالى ورسوله في حل الخلافات الزوجية.

ثالثاً : الإسهام بحق في النهضة العلمية ببحث جديد مفيد ، ورفد المكتبة الإسلامية ، ببحث وضع فيه دراسة تعنى بالجانب الفكري والجانب الاجتماعي للمحافظة على الأسرة واستقرارها.

رابعاً : الإسهام في تقديم وطرح الحلول والمعالجات والتوصيات على ضوء الكتاب والسنة.

أهمية البحــث

تعالج هذه الدراسة موضوعاً في غاية الأهمية ؛ إذ تتجلى أهميته لما هو واقع ومعاش في زمننا هذا الذي كثرت فيه المتغيرات المعاصرة والمعوقات والتحديات ، لذا كان من الضروري التركيز على بيان مخاطر التعامل السلبي بين الأزواج والذي قد يؤثر بصورة مباشرة على الاستقرار الأسري ،وكيفية قياسه والوسائل التي يمكن اتخاذها للحيلولة من مخاطره .

تأتي أهمية الدراسة والحاجة إليها في ضوء الجوانب التالية :

الجانب الأول : يتعلق بأهمية موضوع الدراسة ؛ وهو أسلوب التعامل الزوجي والأسري الذي يتعامل به الأزواج والزوجات في مسيرة حياتهم الزوجية ، وتظهر أهمية هذه الدراسة حينما نتناول مثل هذه الأساليب ونقوم بتحليلها ودراستها ومعرفة أكثر العوامل التي تؤدي إلى تحقيق السلوكيات الإيجابية المتمثلة في المودة والرحمة والألفة، وتجنب السلوكيات السلبية المتمثلة في التسلط والعنف .

الجانب الثاني : التعرف على طبيعة العلاقة و أساليب التعامل بين الزوجين وعلاقته بالتوافق والاستقرار الأسري، حتى يمكّن المهتمين بقضايا الزواج والأسرة من وضع برامج توجيهية و إرشادية وعلاجية لتقريب وجهات النظر بين الأطراف ، ولكي تساعد هذه الدراسة في الوصول إلى استنتاجات للتعامل الزوجي والأسري عند التخطيط لبرامج خدمية يستفيد منها المجتمع .

الجانب الثالث : إلقاء الضوء على مدى تأثير أساليب تعامل الزوجين وتأثيره على الأبناء إيجاباً أو سلباً .

الجانب الرابع : التعرف على طبيعة العلاقة الزوجية والاختلافات المتباينة في اسلوب التعامل وتأثيره النفسي والاجتماعي .

الجانب الخامس : بيان عظمة الإسلام وشموليته ، حيث لم يترك صغيرة ، ولا كبيرة إلا بينها وأعطاها حكمها الخاص بها ، وكذلك إنه صالح لكل زمان ومكان ، وإنه قادر على معالجة القضايا المستجدة والمشكلات التي تواجه الزوجين في كل مراحل حياتهما .

الجانب السادس : يتعلق بندرة البحوث والدراسات في هذا المجال المهم في البيئة الاجتماعية السودانية .

لهذا ؛ فإن أهمية هذا البحث تأتي من أن القيام ببحث كهذا ، يمكن أن تسهم في الحد من التعامل السلبي بين الزوجين والذي يؤثر بدوره على الأبناء كذلك ؛ لأن الاستقرار الروحي والنفسي والاجتماعي والاقتصادي ، إنما هي أمور بالغة الأهمية لدى كل أفراد الأسرة وتحتاج لدراسة وفهم وتحليل وتطبيق .

ومن هنا وضعت الباحثة عدد من التساؤلات يمكن من خلالها صياغة أهداف الدراسة وهي :

أهداف البحث

1/ تعزيز العوامل المشتركة بين المشارك وشريك حياته.
2/الإسهام في التقليل من حدة الاختلافات الزوجية.
3/ إرساء دعائم الأسرة المتماسكة السعيدة في ظل قيمنا الإسلامية الإنسانية.
4/ تسليط الضوء على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحتوي وتدعو الأزواج على التعامل الايجابي. 6/التعرف على أساليب التعامل من خلال واقع المجتمع السوداني المعاصر من وجهة نظر الأزواج والزوجات.

الدراسات السابقة

لقد وجدت الباحثة دراسات سابقة لها علاقة بمجال الدراسة الحالية التي أُجريت ، ووجدت من تطرق لهذا الموضوع كبحثاً علمياً مستقلاً؛ ولكن من وجهة نظر علم نفس بحت، وليس متناولاً على ضوء الكتاب والسنة كما هو في الدراسة الحالية حيث تم التركيز على الجانب التأصيلي.

تعليق الباحثة على الدراسات السابقة:-

في هذا الإطار تشير الباحثة إلى مدى الصعوبات التي واجهتها في إطار بحثها عن الدراسات السابقة والتي لها علاقة بمجال الدراسة الحالية ، فبالرغم من رجوع الباحثة إلى رسائل الماجستير والدكتوراه والدوريات العلمية وشبكة الإنترنيت لم تعثر إلا على عدد قليل من البحوث في هذا الإطار، إذ بلغ عدد الدراسات السابقة أربع دراسات ، ويتمثل تعليق الباحثة عليها في النقاط التالية :

1/ تراوحت الفترة الزمنية التي أُجريت خلالها الدراسات ما بين سنة (2002م) و (2007م) ترجع إيراد الباحثة للدراسة التي أُجريت في عام 2002م لصلتها بالدراسة الحالية انقسمت الدراسة إلى مجموعتين متساويتين أي توجد دراستان عربيتان وأُخريتان سودانيتان .

2/ كل تلك الدراسات السابقة كانت من منظور علم النفس أو علم الاجتماع بصورة بحتة، أما الدراسة الحالية جمعت ما بين هذا وذاك مع التأصيل العلمي الديني.

نقاط الاستفادة من الدراسات السابقة:-

تمثلت النقاط التي استفادت منها الباحثة من الدراسات السابقة في الآتي :

1/ أتاحت الدراسات السابقة للباحثة أنسب مناهج البحث العلمي لدراستها الحالية ، حيث استنتجت الباحثة أن المنهج الوصفي هو أكثر مناهج البحث العلمي لإجراء مثل هذا النوع من الدراسات .

2/من حيث أدوات القياس وجمع المعلومات اتضح للباحثة أن مقياس التعامل الزوجي أفضل مقياس في هذا المجال، وقد تم تعديل خياراته من خيارين (نعم ،لا) إلى عدة خيارات (يحدث، أحياناً ،لا يحدث) وهي بهذه الطريقة تعطي فرصة أفضل للمفحوصين عن التعبير عن إجاباتهم بطريقه أكثر موضوعية .

وفي تقدير الباحثة أنها استطاعت أن تتلافى معظم جوانب القصور التي اتضحت لها في الدراسات السابقة من حيث إختيار المقاييس المناسبة . 3/

ساعدت الدراسات السابقة الباحثة في تنظيمها للإطار النظري للبحث، حيث تحدثت بنوع من التفصيل والتدقيق و الشمولية لجميع متغيرات الدراسة و ربطها بالمنهج الديني ومناقشتها من ناحية علمية تأصيلية.

موقع الدراسة الحالية من الدراسات السابقة:-

1/ تلتقي الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة ؛ في المنهج الوصفي الذي اتبعته أغلب الدراسات السابقة .

2/ تعتبر الدراسة الحالية هي الدراسة التي اهتمت بدراسة المشكلات الزوجية وربطها بالمنهج الديني .

3/اهتمت هذه الدراسة بالإضافة لاستخدام مقياس التعامل الزوجي والأسري مقياس أثر التوافق الزوجي لمعرفة درجة علاقة وارتباط كل منهما بالآخر .

أبعاد وأدوات البحث

مجتمع الدراسة:

تكون مجتمع الدراسة من الرجال المتزوجين والنساء المتزوجات (الموظفات وربات البيوت) بولاية الخرطوم ، ويمكن وصف مجتمع الدراسة من خلال الأبعاد التالية :

أ- **من حيث البعد الجغرافي :**

غطت الدراسة الميدانية ولاية الخرطوم ويتحدد البحث الحالي تقديم استبيان مقترح وتطبيقه على الأزواج والزوجات بولاية الخرطوم والذين مر على زواجهم أكثر من خمس سنوات .

ب- البعد الموضوعي :هذه الدراسة اقتصرت على التعامل الزوجي وما يترتب عليه من توافق فكري ونفسي واجتماعي . تم تطبيق أداة الدراسة على عينة من ولاية الخرطوم وقد بلغ إجمالي عينة الدراسة خمسة وثمانون زوجاً وزوجة، (ثلاثة وأربعون زوجة، واثنان وأربعون زوجاً)

ولقد تم اختيار العينة من ولاية الخرطوم لأنها تمثل مقر اقامة الباحثة من حيث سهولة الحركة والاتصال.

أدوات الدراسة الميدانية:

استخدمت الباحثة في هذه الدراسة ثلاثة أدوات هي :

1- استمارة المعلومات الأساسية .

2- مقياس أساليب التعامل الزوجي.

3- مقياس التوافق الزوجي.

4- مقياس مجتمع ولاية الخرطوم .

5- إجراءات تطبيق الأدوات.

6- خطوات تصميم الاستبيان.

7- الأساليب الإحصائية .

أولاً : استمارة المعلومات الأساسية :-

قامت الباحثة بإعداد استمارة في شكل أسئلة مباشرة تحتوي على البيانات الأولية للأزواج والزوجات .

احتوت هذه الاستمارة على عدد من عبارات الاستبيان بالإضافة لملء البيانات التي

تحدد وظيفة الزوج و وظيفة الزوجة (إذا كانت من اللاتي يعملن) كذلك معرفة المستوى التعليمي، ومدة الزواج ، وعدد أفراد الأسرة .

وقع اختيار الباحثة على هذا المقياس للاعتبارات التالية :-

1- مقياس أساليب التعامل الزواجي ؛ هو المقياس الذي له صلة بالدراسة الحالية.

2- له مقياس ثابت عالي .

3- عباراته سهلة الفهم لدى المفحوصين في هذه الدراسة .

ثانياً : وصف مقياس أساليب التعامل الزواجي :-

يتكون هذا المقياس من خمسة وأربعون سؤالاً ، ولزيادة حساسية المقياس في التعبير عن درجة المشكلة ، رأت الباحثة أن تغير من خيارات الإجابة لتعبر عن درجة تكرار الموقف السلوكي الدال على وجود المشاكل الزواجية أو عدمها لتقرأ خيارات الإجابة (يحدث ، أحياناً، لا يحدث) بدلاً عن (نعم) ،(لا) .

ثالثاً: وصف مقياس التوافق الزوجي:-

يقاس بالدرجة التي يحصل عليها الأفراد، بناءً على مقياس التوافق الزواجي المستخدم فكرياً واجتماعياً ونفسياً وعاطفياً، وعند الوصف للعلاقة الشخصية التي ترتبط فيها بالود؛ نجد أنه يؤثر على هذه العلاقة بصورة كبيرة ومباشرة و يمر بمراحل الشعور بالألفة والحميمية ،التواصل والتفاهم، التسامح ،الاحترام ،الشفافية، التماس الأعذار ،إدارة الأزمات، حل الخلافات، تبادل الحوار ، نمط الحياة الأسرية ،العادات الاجتماعية والفروق الشخصية، الأدوار والحقوق والواجبات ،التي يمكن من خلالها أن نقيس أساليب التعامل الزواجي .

رابعاً: مقياس مجتمع ولاية الخرطوم:-

إن مقياس مجتمع ولاية الخرطوم ، وهو مجتمع البحث الحالي.

خامساً: اجراءات تطبيق الأدوات :-

أدوات البحث (الاستبيان – المقابلة – الملاحظة – الاختبار)

تعريف الاستبيان : هو مجموعة من الأسئلة المكتوبة ، يقوم المستجيب بالإجابة عنها وهي نوعين: إما مقيدة أو حرة ، وهو يتألف من استمارة تحتوي على مجموعة من المحاور يقوم كل مشارك بالإجابة عليها بنفسه دون مساعدة أو تدخل من أحد . ويعتبر الاستبيان أحد وسائل البحث العلمي المستعملة على نطاق واسع من أجل الحصول على بيانات أو معلومات تتعلق بأحوال الناس أو ميولهم أو اتجاهاتهم ، وتأتي أهمية الاستبيان كأداة لجمع المعلومات ، فمن مميزاته فهو اقتصادي في الجهد والوقت إذا ما قُورن بالمقابلة والملاحظة . ومن عيوبه : يصعب استخدامه إذا كان المستجيبين غير مثقفين أولا يجدون القراءة والكتابة.

سادساً: خطوات تصميم الاستبيان :

1/ تحديد أهداف الاستبانة : حددت من خلال أهداف البحث ، كما يتم تحديد نوع المعلومات المطلوبة لتحقيق هذه الأهداف.

2/الإطلاع على الأدبيات النظرية والدارسات السابقة ؛ لتكوين فكرة متكاملة وعميقة حول الظاهرة قيد الدارسة، وامكانية الإستفادة منها.

3/إجراء الاستقصاءات الأولية والدارسات الاستطلاعية، تساعد الباحثة على التعمق بالتفكير في عناصر المشكلة و نوع اجراء الدراسات الاستطلاعية.

4/ تحديد المحاور و الموضوعات التي تتضمنها الاستبانة لأن عملية الإستبانة أكثر دقة ، فتشمل المقابلات مع الاشخاص الذين يمتلكون المعلومات التي تخدم تصميم الاستبانة.

5/ صياغة الأسئلة بحيث تدور حول الأهداف.

6/التعمق بالتفكير في عناصر المشكلة ونوع الموضوعات التي تتضمنها الاستبانة ، تساعد في تحديد أفضل الأساليب لمخاطبة الذين أُجري عليهم البحث .

7/تحديد صدق الاستبانة وثباتها بالطرق الاحصائية .

سابعاً: الأساليب الإحصائية:-

يصف بيانات حول خصائص فئة أو سكان أو الظواهر، يجيب من الأسئلة المطروحة ، الهدف منه ؛ هو وصف خصائص ما هو قيد الدراسة وهذا البحث دقيق جداً، ينفذ عندما يريد الباحث التوصل إلى فهم أفضل لموضوع معين ، الأمر يتعلق بعمل كمي ويستخدم استطلاعات رأي وقوائم وعينات محتملة ، والسبب الأساسي لإجراء هذا النوع من البحوث هو التعرف على سبب حدوث شيء ما.

طريقة تصحيح المقياس :-

تعطي الخيارات (يحدث، أحياناً، لا يحدث) الدرجات (3،2،1) على الترتيب ، وذلك في حالة العبارات الموجبة الدالة على عدم وجود مشكلات زوجية. وتعكس الدرجات لنفس الخيارات في حالة العبارات السالبة الدالة على وجود مشكلات زوجية .

الصدق الظاهر للمقياس:-

الصدق الظاهري هو البحث عما يبدو أن الاختيار يقيسه، وهو يشير إلى كيف يبدو الاختيار مناسباً للفرض الذي وضع من أجله.

وليتضح هذا النوع من الفحص المبدئي لمحتويات الاختيار، أي بالنظر إلى البنود لمعرفة ماذا تقيسه هذه البنود ثم مطابقة ما تقيسه بنود المقياس بالوظيفة المراد قياسها، فإذا اقترب الأثنان كان اختيار صادقاً سطحياً.

محددات البحث

الحـــد الموضوعي :هذه الدراسة اقتصرت على التعامل والتوافق الزوجي .

الحـــد المكـانـي : حدد البحث الحالي عمل استبيان و تطبيقه على الأزواج والزوجات بولاية الخرطوم والذين مر على زواجهم أكثر من خمس سنوات .

منهج الدراسة الميدانية : إن المنهج الذي اتبعته الباحثة في هذه الدراسة، هو المنهج الوصفي التحليلي نظراً لملاءمته لطبيعة الدراسة. والمنهج الوصفي هو الذي "يعتمد على دراسة الواقع أو الظاهرة كما توجد في الواقع ويهتم بوصفها وصفاً يعبر عنها تعبيراً كيفياً أو تعبيراً كمياً.

مجتمع الدراسة : ولاية الخرطوم .

عينة الدراسة : أزواج وزوجات من ولاية الخرطوم .

منـهـــج البحـــث : اعتمدت هذه الدراسة في هذا البحث على منهج الاسترداد الوصفي التحليلي والتطبيقي لدراسة واختبار الفرضيات المتعلقة بتحديد أثر تطبيق المعيار الوصفي ، ولقياس فرضيات الدراسة التطبيقية تم جمع البيانات من عينة لمجتمع الدراسة بولاية الخرطوم استخدمت الدراسة منهج المسح الاجتماعي بأسلوب العينة باستخدام أداة جمع البيانات (استمارة الإستبيان) مقترح على عينة بلغت خمسة وثمانون فرداً من الأزواج والزوجات بولاية الخرطوم لقياس أساليب التعامل بين الزوجين وأثره على التوافق الزوجي .

هيكل البحث (خطة البحث):

يتألف البحث من مقدمة ، وتمهيد ، وأربعة فصول ، وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة : تناولت فيها الباحثة قضية البحث وأهميته وأسباب اختياره وأهدافه وفروض البحث ومحدداته، ومشكلة البحث ،ومنهج ومحددات البحث، وأدوات وهيكل البحث.

التمهيد : أهمية الزواج وفضله وفوائده ، وأهداف الزواج والحكمة منه والحث عليه والترغيب فيه.

الفصل الأول : مفهوم التعامل الزوجي وأساليب المنهج النبوي في التعامل الزوجي وتضمن خمسة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الزواج .

المبحث الثاني : تعريف مفهوم التعامل.

المبحث الثالث : المنهج النبوي في التعامل الزوجي .

المبحث الرابع : نماذج ومواقف من حياة الصحابة في التعامل الزوجي.

المبحث الخامس: سلوكيات في التعامل الإيجابي **والسلبي** بين الزوجين.

الفصل الثاني : المقومات الأساسية التي يرتكز عليها التعامل بين الزوجين وتضمن ستة مباحث :

المبحث الأول : ضوابط الاختيار على الدين والخُلُق .

المبحث الثاني : مهارات في الحِلم والتواضُع والاحترام .

المبحث الثالث : آداب التسامح والعفو والألفة.

المبحث الرابع : التحلي بالصبر والرّفق والرّحمة.

المبحث الخامس: أثر الحوار والتشاور بين الزوجين.

المبحث السادس : أساليب التعامل مع الخلافات الزوجية والسعي في معالجتها.

الفصل الثالث : التعامل وأثره على التوافق الزواجي والاستقرار الأسري وتضمن أربعة مباحث :

المبحث الأول : تعريف مفهوم التوافق الزواجي وأهميته.

المبحث الثاني : أثر التعامل على التوافق والاستقرار الأسري .

المبحث الثالث : الأساليب الوالدية في معاملة الأبناء تبعاً للمتغيرات الآتية:

مرحلة الطفولة : أساليب المعاملة الوالدية في التنشئة الاجتماعية الأطفال.

مرحلة المراهقة : طرق أساليب التعامل الأسري مع المراهقين والمراهقات.

مرحلة الشباب : مهارات في التعامل مع الأبناء الراشدين .

المبحث الرابع : آداب التعامل مع الوالدين .

الفصل الرابع: خصصته للدراسة الميدانية وتحليلها ونتائجها وتضمن خمسة مباحث والخاتمة :

تمهيد : تعريف الدراسة وأهدافها.

المبحث الأول : التعامل بين الزوجين من خلال واقع المجتمع السوداني.

المبحث الثاني : إجراءات الدراسة الميدانية من خلال تقديم استبيان مقترح على عدد من الأزواج والزوجات.

المبحث الثالث : عرض نتائج الفروض .

المبحث الرابع : تلخيص نتائج الدراسة .

المبحث الخامس: مناقشة وتحليل النتائج .

الخاتمة : تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس العامة :

1- فهرس الآيات القرآنية .

2- فهرس الأحاديث النبوية.

3- فهرس الآثار .

4- فهرس المصادر والمراجع.

5- فهرس الموضوعات.

تمهيد:

بما أن البحث يتعلق بالتعامل بين الزوجين ؛ فمن الأولى التمهيد ببيان تعريفي عن أهمية الزواج ، وأهدافه وفضله ، والترغيب فيه والحث عليه :

يعد الزواج سنة من سنن الله عز وجل من أجل عمارة الأرض ، كما يعد الزواج في القرآن سنة من سنن الأنبياء والمرسلين وسنة في المخلوقات ، لقول الحق عز وجل : [1] وأن نظام التزاوج ليس مختصراً على الإنسان فقط ؛ وإنما يتعدى كل المخلوقات ، يقول تعالى : [2] أي : جميع المخلوقات أزواج : سماء وأرض ، ليل ونهار ، شمس وقمر، بر وبحر، ضياء وظلام ، إيمان و كفر، موت وحياة ، شقاء وسعادة ، وجنة ونار.[3] إذاً فقانون الزوجية هو قانون سر هذا الكون ، فمن الجماد – سالب وموجب – ومن الإنسان ذكر وأنثى، و من الحيوان أيضاً ذكر وأنثى؛ فإن استمرار الحياة متوقف على هذا النظام ؛ حيث إن الله سبحانه وتعالى ؛ خلق آدم، وخلق منه زوجه حواء، فالسكون إلى الزوجات والأنس بهن، شيء فطري، ولا يسكن الرجل إلى شيء ؛ كسكونه إلى زوجته المواتية والموافقة له[4]، ولقد جاء القرآن الكريم مؤكداً لهذا المعنى اللطيف، يقول تعالى: [5] [6] والسكن أمر نفساني وسر وجداني يجد فيه المرء سعادته وراحته وأمنه وطمأنينته . وقال رسول الله

---

[1] الرعد : 38.

[2] الذاريات : 49.

3 عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم ، دار الفيحاء للطباعة والنشر، دمشق ط : الأولى / 1414 هـ – 1994م ، ج4 ص303.

4 محمد علي إمام ،صلاح البيوت في جهد الرسول ، الناشر : مطبعة السلام ،ط : الأولى / 2009م ، ص 12 .

[5] الأعراف : 189

[6] الروم : 21 .

 " **إنما النساء شقائق الرجال**" [1] ، دل هذا الحديث على أن النساء نظائر الرجال ،وهما من نفس واحدة وطبيعة واحدة وفطرة واحدة، وساوى الإسلام بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات وفي الأهمية ، وفي عدم استغناء الحياة أحدهما عن الآخر ، فهما مكملان لبعضهما البعض، كما أن اليوم الكامل لا يستغنى عن النهار أو الليل، فالرجل والمرأة مثل الليل والنهار اللذان يؤلفان اليوم، قال تعالى : ﴿ **ٱلَّيۡلِ** [2] وكذلك هما مثل التيار الموجب والسالب اللذان يؤلفان التيار الكهربائي الذي يبعث الحياة في كثير من الجمادات فهما **الاثنان في تناسق وتكامل**. يقول تعالى : ﴿ٱ [3]. الرجل له دور في الحياة يقوم به و المرأة أيضاً لها دور في الحياة تقوم به ، و لكل منهما طبيعته التي تهيئه للقيام بوظيفته. فالمرأة تتميز على الرجل بالعاطفة وهى في حاجة إلي هذه العاطفة، في تربية أولادها، ولتفريج هم زوجها إذا رجع إلي البيت وهو مُثقل بالهموم ، فيسمع منها كلمة تكون سبباً لراحته، كما كانت تفعل أمنا خديجة رضي الله عنها مع النبي تخفف عنه وتطمئنه[4].

إن الآصل في الرابطة الزوجية ، هو الاستقرار والاستمرار ، والإسلام يحيط هذه الرابطة بكل الضمانات التي تكفل استقرارها واستمرارها ، وفي سبيل هذه الغاية يرفعها الى مرتبة الطاعات ، ويفرض الآداب ويجعل للبيوت حرمتها بالإستذان عليها، ويقيم الارتباطات الزوجية بشريعة محددة، ويقيم نظام البيت على أساس منظم على أداء الحقوق والواجبات بين الزوجين ، فهو الأسلوب الذي اختاره الله للتوالد

---

[1] أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ،الجامع الصحيح ، كتاب الطهارة باب : فيمن يستيقظ فيرى بللاً ولا يذكر احتلاماً حديث رقم 113 دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت ، ط: الثانية / 1403هـ – 1983م ج1 ص 189،سنن أبي داود ، كتاب الطهارة ، باب : في الرجل يجد البلة في منامه ، حديث رقم 236 ، ج 1 ص 61

[2] الليل : 1،2.

[3] التوبة : 71.

[4] محمد علي محمد إمام ، صلاح البيوت في جهد الرسول ، الناشر : مطبعة السلام – مصر ،ط : الأولى ، 2009م ، ص 16.

والتكاثر؛ لاستمرار الحياة [1].

المسألة الأولى :أهمية الزواج

علاقة الرجل بالمرأة ضرورة بالفطرة والتكوين ، والوظيفة والغاية ، لما جبل عليه الرجل والمرأة من احتياج غريزي للآخر، والحياة السليمة التي تكون في الإطار الأخلاقي والشرعي؛ هي التي تكفل هذا الإشباع من خلال نظام يعترف بالفطرة ويضعها على جادة الطريق . وللزواج أهمية كبرى ؛ فهو ضرورة بحكم الوظيفة والغاية ؛ لأن الإنسان في هذه الحياة – رجلاً أو امرأة – لم يخلق لمجرد الإشباع أو الاستمتاع ؛ وإنما خُلق للعبادة وللحفاظ على البقاء والاستمرار، ولا يتأتى ذلك بغير التناسل لحفظ النوع الإنساني في الوجود . والإنسان في رحلته الممتدة عبر التاريخ ؛ لم يتخل عن تنظيم هذه العلاقة وضبط تلك الرابطة الفطرية ، شارك في ذلك بعقله وممارساته ، وجاءته الأديان السماوية لتبدد حيرته ، وتضبط مسيرته . والإسلام باعتبارهِ أخر الأديان السماوية وخاتم الرسالات إلى الناس كافة؛ وضع للأسرة نظاماً ثابتاً، له أصول حاكمة، وقواعد مستقرة؛ لكى تنعم الأسرة بالأمن والاستقرار؛ [2] .

لقد اهتمت الشريعة بأمر الزواج ؛ لما للزواج من أهمية عظيمة ، وأثر بالغ في حياة الفرد ، والمجتمع ، اهتمت به في جميع مراحله : قبل الشروع فيه ، وعند الإقدام عليه، وبعد إتمامه، وعند انتهائه في حال الضرورة [3] .

المسألة الثانية : فضل الزواج

الزواج هو الراحة الحقيقية للمرأة والرجل على السواء، إذ إن المرأة تجد فيه ما يكفل لها الرزق ، فتعكف على البيت ترعاه ،وعلى الأولاد تربيهم [1] و تهيئ الجو الصالح للزوج

---

[1] صلاح عبد الغني محمد ، وسائل الإسلام في المحافظة على الحياة الزوجية ، مكتبة الدار العربية للكتاب ؛ مدينة نصر – مصر ،ط : الأولى ، ذو القعدة 1418 هـ – 1998م ج3 ص13 .

[2] محمد كمال الدين إمام ، الزواج في الفقه الإسلامي ، دار الجامعة الجديدة للنشر ، 1998م ، ص 2-3.

3 أحمد محمود الشافعي ، الزواج في الشريعة الإسلامية ، جامعة الإسكندرية كلية الحقوق ،1417هـ - 1997م ص 74 .

في البيت ليستريح فيه ، و كذلك الرجل يجد في بيت الزوجية جنة الحياة بعد متاعبها ومشاقها ،فيجد فيه السكن النفسي والملاذ الآمن، ويجد فيه ما يذهب بعنائه ويجدد نشاطه ، مما يساعده على السعي والنهوض بالكسب لما يحتاج إليه البيت من مال ونفقات، وبهذا التوزيع العادل ، يؤدي كل منهما وظائفه الطبيعية على الوجه الذي يرضاه الله ، ويحمده الناس ، ويثمر الثمار المباركة [2] ولولا الزواج لكان الإنسان رجلاً أو امرأة بلا مأوى ولا سكن روحي مستقر، فبالزواج تنشأ الروابط والعلاقات بين أفراد المجتمع ، وبه تنشأ العلاقة الوثيقة بين الزوجين، وعنه تنشأ الأمومة والأبوة ، والبنوة والأخوة ، والعمومة ، والخؤولة ، والأجداد، والحفدة[3]، يقول الله سبحانه وتعالى :ﱡ

[4] والزواج هو السبيل الأمثل لإعفاف كل من الزوجين وإحصانهما، واستمتاع كل منها بالآخر استمتاعاً أحله الله لعباده ، لقوله تعالى :ﱡ

[5] وشرع الزواج ؛ حتى لا يقع المرء في المحرم ، أو يسلك مسلكاً خاطئاً في قضاء الشهوة. فالزواج إكمال للدين ، وطهارة للنفس والبدن، وحفظ لسمعة وكرامة الإنسان، كرامة على نحو تليق به إنساناً ، ولكى يتحقق منه اختصاص الرجل بزوجته ، واختصاص المرأة بزوجها . ومن آثار هذا الاختصاص ؛ إيجاد النسل الثابت النسب منهما ، وما يتبع ذلك من رعاية مادية ، ومعنوية لهذا النسل من قبل الزوجين.

المسألة الثالثة : فوائد وثمرات الزواج

---

[1]. السيد سابق، فقه السنة– دار الفتح للإعلام العربي والطباعة والنشر – القاهرة ، ط الأولى/1421 هـ / 200م ج2ص8.

[2] محمد أبو زهرة ، محاضرات في عقد الزواج وآثاره ، دار الفكر العربي ، - القاهرة ، ط : الثانية (ج: ت)ص 47.

[3] محمد حسن أبو يحي ، أحكام الزواج في الشريعة الإسلامية ، المركز العربي للخدمات ،عمان – الأردن ،ط : الأولى /998لم ، ص35 .

[4] الفرقان : 54 .

[5] النساء : 24 .

للزواج فوائد وثمرات عديدة تعود على الزوجين خاصة ، وعلى المجتمع عامة ، ومن هذه الفوائد :

التحصن من الشيطان ، ودفع غوائل الشيطان ، وغض البصر وحفظ الفرج[1] ؛ وبالزواج يعف كل من الزوجين الآخر، وبه يحصل السكون النفسي والطمأنينة القلبية ، فالزواج استجابة لنداء الفطرة، وعدم تلبية هذا النداء يحدث في النفس اضطرابات تؤثر فيها وتضر بها [2] والزواج أساس لتكوين الأسرة ، التي تلتقي فيها الحقوق والواجبات بارتباط شرعي، يشعر الشخص فيه أنه يقوم بحق الآخر بأمر ديني ، وتنفيذ رابطة مقدسة تعلو بإنسانيته ، وتسمو به عن شهوانيته الحيوانية التي تكون فيها العلاقة بين الذكر والأنثى هي الشهوة الغريزية فقط ، مجردة من الناحية العقلية و والنفسية والروحية ؛ وهي المودة التي جعلها الله بين الزوجين وهذا يؤدي إلى ترويح النفس و إيناسها [3].

الفائدة الصحية والنفسية من الزواج : فبالرغم من واجبات الزواج ومسؤولياته فهو ضمان لصحة الزوجين، فالأعزب بالرغم من حريته وعدم تقيده بالقيود الأسرية مادياً ومعنوياً واجتماعياً ، فحالته الصحية أدنى من حالة المتزوج ؛ لأن المتزوج أكثر استقراراً وفي حاله صحية جيدة واهتمام من قبل الزوجة ، فحياته تكون منظمة ، فطعامه ينظم في الوقت المناسب وليس كالأعزب على المطاعم والمقاهي والسهر في دور اللهو [4].

---

[1] أبو حامد محمد الغزالي ، دار الندوة الجديدة ، إحياء علوم الدين ، بيروت- لبنان،ط: الثالثة/1998م ، ج 3ص31.

2 عبد الودود الصريطي، أحكام الزواج والطلاق في الشريعة الإسلامية ، الدار الجامعية – بيروت ،1992م ،ص8 .

[3]. محمد أبو زهره ، محاضرات في عقد الزواج وآثاره ، مرجعسابق ،ص47.

[4] عمر رضا كحالة ، الزواج ، مؤسسة الرسالة – بيروت ،1977م ،ص61.

أما الفوائد الصحية من الزواج على صحة المرأة ؛ فإن الزواج يخفف من حدة الضغوط النفسية والعصبية على المرأة المتزوجة ، بفضل إفراز الجسم لهرمون السعادة خلال العلاقة الحميمية ، كما للزواج فوائد عديدة في مجال الصحة والجمال إذ أنه يساعد على حرق السعرات الحرارية مما يساهم ذلك في الحفاظ على حيوية ونشاط كل من الزوج والزوجة ، فالإهتمام بتدبير المنزل ورعاية الأولاد ، تبعث على النشاط وبذل الوسع في تقوية ملكات الفرد ومواهبه ، فينطلق كل منها إلى العمل من أجل النهوض بمسؤولياته والقيام بواجبه نحو أسرته ، إذاً فالزواج هو عبادة يستكمل الإنسان بها نصف دينه ويلقى بها ربه على أحسن حال من الطهر والنقاء [1].

المسألة الرابعة : أهداف الزواج والحكمة منه

لماذا يتزوج المرء ذكراً كان أم أنثى ؟

وما الهدف و الحكمة من الزواج ؟

هناك أربعة حكم أو أهداف من الزواج :

أولاً: الامتاع النفسي والعاطفي :

ثانياً: النسل :

ثالثاً : بلوغ الكمال الإنساني :

رابعاً: التعاون والمشاركة على بناء الحياة :

أولاً: الامتاع النفسي والعاطفي : يهيئ الزواج لكل من الرجال والنساء ، سكناً و راحة نفسية وإمتاع عاطفي، والسكن يشمل : سكن النفس وسكن العاطفة ، والمودة والرحمة، وهي من أجمل المشاعر السامية التي جعلها الله تعالى في النفس البشرية، فإذا وجد الإنسان كل هذا الشعور مع الهداية إلى الفطرة ومرضاة الله تعالى ؛ كملت متعة الحياة . فغريزة الميل التي خلقها الله في كل من الذكر والأنثى للآخر، وابتغاء هذا المتاع

[1] السيد سابق ، فقه السنة ، مرجع سابق ،ج2ص8.

عن طريق الزواج ؛ أمر مطلوب شرعاً وفق تشريع الله تعالى وهدي نبيه عليه الصلاة السلام؛ وهومن الأسباب التي توصل العباد إلى مرضاة رب العباد. فالراحة النفسية والعاطفية ؛ لهما تأثير في نفس الإنسان وفكره وأدائه وانسجامه ؛ فيشعر بالرضا والسعادة والارتياح النفسي بالاستقرار، حيث تتصرف غريزته بأطهر الطرق وأنقاها، حيث ينشأ بين الزوجين الاحترام القائم على المودة والرحمة ،لا بذلك الميل الحرام القائم على النزوة الشهوانية وبلوغها دون وجود الرحمة والاحترام [1].

ثانياً: النسل : جعل الخالق سبحانه وتعالى ، استمرار النوع الإنساني على الأرض منوطا بالتزاوج ، يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ [2] ويعتبر الإضرار بالنسل ، من أكبر الفساد في الأرض ، قال تعالى :﴿ ﴾ [3] والنسل الذي يصلح لعمارة الأرض وخلافتها وسكانها ؛ هو النسل الذي يأتي بالنكاح لا بالسفاح، فالنسل السوي هو نسل النكاح، وأما نسل السفاح فهو مسخ يشوه وجه الحياة، ويشيع فيها البغض والمقت.

ثالثاً: بلوغ الكمال الإنساني :الهدف الثالث من أهداف الزواج ؛ بلوغ الكمال الإنساني ، فالمرء لا يبلغ كماله الإنساني إلا في ظل الزواج الشرعي الذي تتوزع فيه الحقوق والواجبات بين الزوجين توزيعاً ربانياً قائماً على العدل والإحسان والمساواة ،لا توزيعاً عشوائياً قائماً على الأثرة وحب الذات بأخذ الحقوق والتنصل عن الواجبات، فتوزيع المسؤوليات في الزواج ينمي قدرة الرجل على القيام بواجبه نحو أسرته ويجعل له هدفاً سامياً في الحياة ، وهو إسعاد زوجته أو حمايتها والسعي في سبيل أبنائه وذريته.

---

[1] عبدالرحمن بن عبدالخالق اليوسف، الزواج في ظل الإسلام ، الناشر الدار السلفية ، الكويت ط : الثالثة 1988م ص21.

[2] السجدة : 7، 8.

[3] البقرة : 204 .

وبالمسئوليات يتربى الرجال وكذلك بالمسئوليات الملقاة على الزوجة نحو الزوج تكمل شخصية المرأة.[1].

رابعاً: التعاون والمشاركة في بناء الحياة : هذه الحياة التي نعيشها على ظهر هذه الأرض ، تفرض علينا أن نعيش في مجتمع يتكون من وحدات ولبنات ، والوحدة الأولى من وحدات هذا المجتمع ؛ هو الفرد ، رجلاً كان أو امرأة ، والرجل والمرأة كل منهما محتاج للآخر ، حاجة شق النواة للشق الثاني ، ومنهما تتكون لبنة المجتمع ، ولذلك لا يمكن أن نبني مجتمعاً سليماً إلا بتكوين لبنة سليمة

ولا نستطيع أن نقول إن الرجل بنفسه لبنة واحدة ، وأن المرأة بنفسها لبنة واحدة ، بل الاثنان مكملان لبعضهما البعض وبتعاون الزوجين تبنى الحياة ، ولذلك فعقد الزواج يشابه عقود الشركات من هذا الوجه وهي المشاركة في بناء الحياة وتحمل أعبائها

ومن خلال هذه الغايات ، يتبين أنه ينبغي لنا التثبت عند الإقدام على الزواج ، مراعاة حُسن الاختيار من الجانبين ، وتوفير ضمانات استمراره ، المتمثلة في حُسن الخلق والدين ، والتكافؤ ، والتقارب الوجداني وفي البيئة الاجتماعية ، والتخلص من النظرة التي تقصر الراغبين في الزواج على الناحية المادية ، أو النظرة السلبية ألتي لا تراعي حقوق الزوجة التي ضمنها لها الشرع [2]

المسألة الخامسة : الحث على الزواج والترغيب فيه

حض القرآن الكريم على الزواج ورغب فيه ، فقال تعالى ممتنًّا على عباده بنعمة الزواج وجعله سبباً للمودة والرحمة ، ودواءً شافياً لقلق النفوس واضطراباتها [3] .جاء في قوله تعالى: [1].

---

[1] الزواج في ظل الإسلام ، مرجع سابق ،25 -27.

[2] محمد طاهر الجواري ، المجتمع والأسرة في الإسلام ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، ط الثالثة/1421 هـ -2000م ،ص97 .

[3]. صلاح عبد الغني محمد ، الزواج والحياة الزوجية ، الدار العربي للكتاب ، مدينة نصر ، مصر ط:1/1987م ،ص15.

أخبر سبحانه وتعالى أن النكاح سنة من سنن الأنبياء وهدى المرسلين ، قال سبحانه: ﴿ ﻧﻲ ﻳﺮ ﻢ ﴾ [2] . وقد كانوا عليهم السلام ، أعظم قدوة في الزواج ، كما في غيره من الأفعال المحمودة ، فأكدوا على الزواج ورغبوا فيه ، وبينوا فضله وأوصوا به [3] .كذلك رغبت السنة في الزواج وحثت عليه ، ووردت في شأنه كثير من الأحاديث التي تدعو للزواج ، قال عليه الصلاة والسلام : "**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء**" [4] .

دعا النبي الشباب إلى الصيام كعلاج لمن لم يستطع النكاح لعده أمور منها : أنه بتقليل الطعام والشراب بسبب الصيام ، يحدث للنفس انكسار عن الشهوة ،ذلك لأن شهوة النكاح تابعة لشهوة الأكل ، فهي تقوى بقوته ، وتضعف بضعفه، خاصة عند الشباب . فالصيام يهذب النفس ويزكي المشاعر ويربي ملكة التقوى التي تجعل بين العبد وبين معصية الله وقاية ، فتحول بينه وبين الوقوع في الفاحشة ويربي في المسلم خلق المراقبة ، ومن راقب الله عز وجل في السر والعلن خافه ، ومن خافه لم يعصه . ورسولنا الكريم أرشد إلى الصيام ليكون عبادة يثاب المرء على فعلها ويؤجر عليها [5] . وجاء في حديث أبي أيوب الأنصاري عن النبي قال : " أربع من سنن

---

[1] الروم : 21.

[2] الرعد : 38 .

[3] علا الدين بن مسعود الكاساني ، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط : الثانية 1424/ هـ -2003م ، ج3 ص310 .

[4] صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب :قول النبي :(من استطاع منكم الباءة فليتزوج) ، حديث رقم 5065 ، ج2ص3 وكتاب الصوم ، باب : لمن خاف على نفسه العزبة حديث رقم 1905 ومسلم كتاب النكاح ، باب : استحباب النكاح، حديث رقم 1400 ،ج3ص172 .

[5] صلاح عبد الغني ، الزواج والحياة الزوجية ،مرجع سابق ، ص 17- 18 .

المرسلين: الحياء والتعطر والسواك والنكاح" [1] .وقد يتردد المرء في أمر الزواج فيحجم عنه خوفاً من تكاليفه وهروباً من احتمال أعبائه فيلفت القرآن نظره إلى أن الله سيجعل الزواج له ؛ سبيلا إلى الغنى، وأنه سيحمل عنه هذه الأعباء ويمده بالقوة التي تجعله قادراً على التغلب على أسباب الفقر، قال تعالى :**ٱلخ لم لى لي نى** .[2]

جاء في جامع البيان: إن يكن هؤلاء الذين تُنْكِحونهم من أيامى رجالكم ونسائكم وعبيدكم وإمائكم أهل فاقة وفقر، فإن الله يغنيهم من فضله، فلا يمنعنكم فقرهم من إنكاحهم، وعن عبد الله بن مسعود، قال: (التمسوا الغنى في النكاح) [3]،وجاء في حديث أبي هريرة عن النبي قال :" **ثلاثة حق على الله عونهم :المجاهد في سبيل الله والمكاتب الذي يريد الأداء والناكح الذي يريد العفاف**" [4]. هذا دعوة للتدبر والتفكر و التأمل في هذا الحديث لهؤلاء الثلاثة الذين أكد رسولنا الكريم بعون الله لهم، ومنهم ناكح يريد بزواجه العفاف ، بمنعى أن يعف نفسه عن الحرام ، وهذا فيه تنبيه على حسن الإرادة في الزواج فبه يعف نفسه ويحصن نفسه، ويعف زوجه ، والزواج من الأمور الجالبة للرزق ومن أسباب حصول الغنى ، ونلاحظ كثيراً من كان فقيراً قبل الزواج ؛ وبعد الزواج إغتنى ، وأن المتزوج الذي وعده الله بالغنى؛ هو الذي يريد بتزويجه الإعانة على طاعته بغض البصر وحفظ الفرج، كما بينه رسول الله

---

[1] أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، الجامع الصحيح ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت ، ط :الثانية /1403هـ – 1983م ، باب : ما جاء في فضل التزويج والحث عليه، حديث رقم 1086،ج1ص272

[2] النور : 32 .

[3] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب ، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة،ج19 ص166.

[4] سنن الترمذي ، كتاب فضائل الجهاد ، باب : ما جاء في المجاهد والناكح والمكاتب .حديث رقم (165) ج1ص27.

في حديثه فقال: "**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء**"[1].

إن الغرض من الترغيب في الزواج أمران، لهما أثر فعال في حياة الأمة :

الأول : تحصين النفس بالحلال و إبعادها عن الفاحشة حتى لا يشيع الفسق وينتشر الفساد في الأمة بإعراض أفرادها لا سيما شبابها عن الزواج ، لأن من أسباب ضعف الأمة وانحلالها ،انتشار الفسق والفجور بين أفرادها ، كما شهدت بذلك حوادث و تواريخ الشعوب والأمم السابقة .

الثاني : زيادة أفراد الأمة وكثرة التناسل بينها ، لأن عزة الأمة وقوتها تتوقفان إلى حد كبير على كثرة أفرادها ونمو عددها ، إذ أن الأمة الكثيرة العدد الآخذة بأسباب العلم والرقي والتقدم والتفوق في مختلف الصناعات ؛ تكون أمة مرهوبة الجانب ، مسموعة الكلمة بين الأمم والشعوب ، فتعيش معتزة بكثرة عددها ، وقوتها المادية والعلمية [2] قال رسول الله : " **تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة** " [3].

---

[1] سبق تخريجه ص24.

[2] رمضان علي الشرنباصي ، أحكام الأسرة في الشريعة الإسلامية ، منشورات الحلبي الحقوقية ،2002م ص21.

[3] أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب أحمد النسائي ،**سنن النسائي** ، كتاب النكاح ، باب : تزويج العقيم ، **دار الفكر** للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ، ط:الأولى : 1930م حديث رقم 3227، ج6ص65.

المبحث الأول : تعريف الزواج

المطلب الأول :الزواج لغةً واصطلاحاً

الزواج لغة : أصل المعنى اللغوي للزواج في لغة العرب ؛ الاقتران أو الارتباط ، تقول العرب زوج الشيء وزوّجه إليه أي قرنه به ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ﴾ [1] أي قرناهم ، الزواج بمعنى التزاوج والمزاوجة والازدواج والزوج خلاف الفرد، فيقال :هما زوجان ، وهما زوج ، والأصل في الزوج : الصنف والنوع من كل شيء، وكل شيء مقترن بغيره مماثلا له، كالخف والنعل ، أو مضادا له ، كالأسود والأبيض، والحلو والحامض ؛ فهما زوجان، وكل واحد منهما زوج ؛ فالمرأة صنف والرجل صنف [2] .

---

[1] **الدخان** : 54.

[2] إسماعيل الجوهري ، الصحاح تاج اللغة العربية ، دار العلم – بيروت ،ط : الثالثة /1984م ،ج1ص320 .

وقد جاء الزوج بمعنى النوع أو الصنف ، في كتابه العزيز ، كقوله تعالى : ﴿ [1] . الزوج هو البعل والزوجة ويقال للإثنين هما زوجان ،وهما زوج'' وزوجته ؛ امرأته، والأزواج ؛القرناء ، وتزوجه النوم ؛ خالطه [2] .

الزواج في الاصطلاح:

الزواج ليس عقد تمليك كعقد البيع ، أو التجارة ، وليس استرقاقاً وأسراً ، وإنما هو عقد لازم وميثاق غليظ ، وعهد قوي ومتين ، ترتبط به القلوب ، وتختلط به المصالح ، ويندمج به كل من الطرفين في الأخر، فيتحد شعورهما ، وتلتقي رغباتهما وآمالهما الزواج هو العقد والميثاق ؛ الذي على أساسه تقوم رابطة الأسرة [3] .

المطلب الثاني : الزواج في نظر القرآن والسنة

الأصل في مشروعية الزواج الكتاب والسنة ، ولقد عظم الإسلام شأن الزواج ، وبين أثره البالغ ، في اكثر من موضع في القرآن والسنة :

المسألة الأولى :الزواج في نظر القرآن:

لقد جعل الإسلام العلاقة التي بين الرجل والمرأة ، قائمة على الرحمة والمودة ، وهدفاً للسكن ، وتحقيقاً للسعادة ، وأنه آية كونية وآية للتدبر والتفكر، كما بين ذلك في كتابه الكريم في قوله تعالى :

﴿ [4] . وبين وجوب إحسان للعِشرة ، قال سبحانه :﴿ [5] يقول ابن كثير : " أي طيبوا أقوالكم لهن ، وحسنوا

---

[1] ق : 7 .

[2] مجد الدين الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، دار المعرفة - بيروت ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ،الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005م ج1 ص192 .

[3] أحمد محمود الشافعي ، الزواج في الشريعة الإسلامية ، مرجع سابق ،ص74.

[4] الروم : 21.

[5] النساء : 19.

أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها " [1]. والزواج الفة وسكن بين الزوجين كما جاء في قوله عز وجل : ﴿ ﴾ [2] ، فالمرأة سكن .. ومودة .. ورحمة .. ولباس لزوجها، وزوجها لباس لها [3].

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن في تفسير هذه الآية ؛ بمعنى :"هن سكن لكم ، وأنتم سكن لهن" [4] كما أنه أقامها على التراضي والاختيار الحر قال تعالى : ﴿ ﴾ [5] كما أنه جعل إدارة شأنها واتخاذ القرار داخلها ، أمر يتم بالتداول والتشاور بين الزوجين، قال جل وعلا: ﴿ ﴾ [6] كما أنه دعوة للعدل بين الزوجات في حال التعدد ، قال تعالى : ﴿ ﴾

[7] وإن الزوجية في نظر القرآن الكريم ،هي الظاهرة الطبيعية بين الرجل والمرأة ، واتخذ القرآن من النظم والوسائل ما يضمن سعادة الجانبين، ويكفل لهما طيب الحياة وجميل الأثر. ولعل أول ما يلفت النظر بمكانة هذه الظاهرة في نظر القرآن الكريم ؛ أن سماها " ميثاقاً غليظا " ، فقال عز وجل في معرض تحذير الرجل أن يأخذ شيئاً مما دفعه إلى المرأة : ﴿ ﴾ [8].

المسألة الثانية :الزواج في السنة :

يشير النبي في أحاديثه إلى أن الرجل يأخذ المرأة : " **بأمانة الله** "[9] ويستحل ما أباحه الله له " **بكلمة الله** " ، فالزواج عقد ينشأ عنه حقوق وواجبات متبادلة ، يلزم بها كل من الزوج والزوجة ،عملاً بمبدأ التوازن والتكافؤ وتساوي أطراف التعاقد الذي

---

[1] تفسير ابن كثير ،ج1 ص619 .
[2] البقرة : 187 .
[3] صلاح البيوت ،ص12.
[4] تفسير ابن كثير ، ص298.
[5] البقرة : 232 .
[6] الطلاق : 6.
[7] النساء :3.
[8] النساء: 21.
[9] صحيح البخاري ، كتاب النكاح باب: الوصية بالنساء، حديث رقم 5186من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنها ، ج2 ص 581.

يقوم عليه كل عقد، وقد أشار القرآن الكريم لهذا المبدأ وثبوت هذه الحقوق والواجبات ، فقال تعالى : ﴿ ﴾ [1] أي أن للنساء من الحقوق على الرجال مثل ما للرجال على النساء من واجبات ، وأن أساس تقرير هذه الحقوق والواجبات هو العرف المستند إلى فطرة كل من الرجل والمرأة ، ومبدأ كل حق يقابله واجب[2]، قال رسُولُ اللَّهِ اللَّهِ :"**أَحقُّ الشُّروط أَن تُوفُوا به ما استحللتُم به الفروج**"[3] إذاً فالزواج هو عقد مؤتمن يوقعه رجل و امرأة ، من أجل حياة مشتركة بينهما تحت سقف واحد . عقد يتضمن مجموعة من البنود والضوابط التي تنظم علاقتهما معاً ، من أجل إرساء بناء متين يحفظ حقوقهما ويحدد واجباتهما[4] وقد أكد الرسول أن الزواج سنة من سنته سنته فقال عليه الصلاة والسلام : "**و أتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني** " [5].

يشير رسولنا الكريم ؛ أن الدين والخلق هما المقومان الأساسيان لصلاحية الزواج ، وهما هداية للعقل والضمير ، فقال عليه الصلاة والسلام: "**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه ؛الا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**"[6] ، وذلك لأن من شأن الرجل المتمسك بدينه وأخلاقه ،أن يتقي الله في زوجته امتثالاً لتعاليم الإسلام ، ومن ثم فإن المرأة التي تحظى برجل متدين ويتحلى بالخُلُق الحميد ؛ تكون آمنة في حاضرها ومستقبلها معه ، إذ أنه يترفق بها إن أساءت ، وينصحها بالتي هي أحسن إن أخطأت، ولا ينظر لغيرها من النساء نظرة شهوة ، وإن عاشرها عاشرها بمعروف ، وإن سرحها سرحها بإحسان وليس المراد بالتدين أن يكون حاصلاً على شهادة في التخصص الديني ويتنافى سلوكه كل التنافي مع مقتضيات ما تعلمه ، ولا الذي يتظاهر بالورع والصلاح بينما هو في الحقيقة لا يمت بصلة إلى الصلاح ؛وإنما

---

[1] البقرة : 228 .
[2] مصطفي وهبة الزحيلي ، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق ، ط : الرابعة ،ج9 ص6757.
[3] صحيح البخاري كتاب الشروط، باب : الشروط في المهر عند عقد النكاح رقم الحديث 2721ج3 ص 190.
[4] الزواج في الشريعة الإسلامية، مرجع سابق ، ص 74.
[5] صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب : الترغيب في النكاح ، حديث رقم 5063 ج 2 ص 556.
5 صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب : عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح ، حديث رقم 5120 ، ج2 ص 567.

المراد بالمتدين الذي لا يختلف ظاهره عن باطن[1].وكذلك أشار النبي لذات الخُلق الحميد والدين القويم ،[2] فقال عليه الصلاة والسلام: "**تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين**[3] **تربت يداك** " [4] .

عدّد هذا الحديث أربع خصال للزواج بالمرأة من أجلها، هي: المال، والحسب، والجمال، والدين، ولكنه أوردها بلفظ "تُنكح" بصيغة المبني للمجهول مما يعني أن هذه الخصال هي التي يبحث عنها الرجل في المرأة، وليست المطلوبة شرعاً، فالحديث يعكس عما في الواقع؛ لأنه وقع الأمر بمضمونه كله يدل على ذلك الأمر الوراد في آخر الحديث باختيار ذات الدين "فاظفر بذات الدين" ووصفه من لم يخترها كأنما نزعت منه البركة ؛لأنه لم يحسن الاختيار؛ ولكن الأحرى أن يكون الظفر بذات الدين وتكون مطمح نظرهم ، وهذا هو الأجدر و المنتهى في الطلب و الاختيار[5] .

فبهذا يتضح لنا أن النبي وضع القاعدة الأولى من قواعد حسن الاختيار للزوجة وهي الاختيار على أساس الدين وأيضاً قد أرشد إلى هذه القاعدة في حق الزوج ؛ فقال "**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**"[6]

وقد يتصور من ظاهر الحديث غير المتأمل له، أن النبي يرفض أن يُختار الزوج أو تختار الزوجة إلا على أساس الدين، وهذا فهم غير صحيح للحديث، بل الصواب في فهم هذا الحديث أن النبي يوجه المسلمين إلى أن لا يقصدوا شيئاً من الحسب أو المال أو الجمال لذاته ولو على حساب ضعف الدين ؛ إنما عليهم أن يقصدوا ذات الدين أولاً، ولو توفر في ذات الدين الحسب أو الجمال الباهر أو المال الكثير فذلك أفضل، لكن شيئاً من ذلك لا قيمة له إن لم يقترن بالدين.

---

[1] عبد القفار محمد أبو العينين ،**الإسلام والأسرة** ، دراسة مقارنة في ضوء المذاهب الفقهية وقوانين الأحوال الشخصية ، مكتبة العالمية ، مصر ، (د . ت) ص 97.

[2] أبو زكريا محيي الدين النووي ، المجموع شرح المهذب ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان 1421 هـ – 2000م ج18 ص180.

[3] المراد بالدين : الطاعات والأعمال الصالحة، والعفة عن المحرمات ، تربت يداك : أي سلبت منه البركة إذا لم يتزوج ذات الدين – **المجموع للنووي** ج17 ص387.

[4] صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب : الأكفاء في الدين ، حديث رقم 5090 ، ج2 ص561.

[5] محمد طاهر الجوابي ، المجتمع **والأسرة في الإسلام ، مرجع سابق** ،ص99.

[6] سبق تخريجه ، ص 31.

ولاشك أن الشرع الشريف عندما قبل أن يكون الأصل والحسب أساسين من أسس اختيار الزوجين، فقد كان ذلك لحكمة بالغة يمكن أن نستشفها من خلال معرفتنا بأن تجارب الحياة الكثيرة تقطع بأهمية البيئة والوراثة في الأخلاق، حيث يبدو أن شيئاً من الأخلاق والصفات النفسية يورث في صورة استعداد عضوي له .ولذا كان اختيار الزوجة والزوج طيبي الأصل والناشئين في عائلة متدينة شريفة يساعد الزوجين على الاتصاف بالأخلاق الكريمة مما يساعد على توفير الظروف المستقرة لحياة أولادهما فيما بعد .

أما الاختيار على أساس الجمال : فينبغي أن تكون الزوجة على قدر من الجمال بحيث تعجب زوجها ويرضى بها، وليس في هذا الجانب قدر محدود عند جميع الناس يتفقون عليه، حيث يتفاوت الناس في تقديرهم شيئاً ما، ولكن هناك مقاييس عامة في الجمال يتفق الناس عليها، ولكن الجمال الذي يعنيه رسول الله في الاختيار ؛هو الجمال الذي يرضى عنه الزوج ؛ ليكون رضاه معيناً له على أن يغُض بصره ويحصن نفسه؛ ولذا وجَّه النبي الصحابيَّ المغيرة بن شُعبة إلى النظر لوجه من يريد زواجها فقال له : " **اذهب فأنظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما**" [1].

فالإسلام حريص كل الحرص على أن يوفر الظروف الأسرية المناسبة التي تساعد على تنشئة الأولاد تنشئة صالحة طيبة؛ ولذا يجعل من أسس حُسن اختيار الزوجين؛ الاختيار بناء على اتصاف الطرفين بالقدر الذي يرضى به الآخر من الملاحة والجمال؛ لكي يساعد هذا على استقرار الأسرة بدلاً من البحث الدائم من الزوجين عن إشباع الرغبات خارج الأسرة مما يزعزع الأسرة وينال من أمانها الاجتماعي[2]. فقد قدَّمَ الرسول اختيار الزوجين على أساس الدين على كل مسوِّغات الاختيار

---

[1] محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي صحيح ابن حبان ، كتاب النكاح ،باب: الأمر للرجل إذا أراد خطبة امرأة ، المحقق: شعيب الأرنؤوط ، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت ،ط: الثانية/ 1414 - 1993 حديث رقم 4043ج9 ص 351،وسنن الترمذي ، كتاب النكاح ، باب: ما جاء في النظر إلى المخطوبة، حديث رقم 1087، ج2ص388،وسنن ابن ماجه، كتاب النكاح ، باب :النظر إلى المرأة إذا أراد أن يتزوجها ، حديث رقم 1865، 1866ج1 ص 599.

2 المرجع السابق ، ص100.

الأخرى؛ وذلك؛ لأن الاختيار على أساس الدين من أهم ما يحقق للزوجين سعادتهما الكاملة المطمئنة، ويحقق للأولاد الظروف التربوية المستقرة لتربية فاضلة ينعم فيها الأولاد بالطمأنينة والأمان الاجتماعيين، ويتحقق للأسرة الاستقرار المنشود.

المبحث الثاني : تعريف مفهوم التعامل

المطلب الأول: التعامل لغةُ واصطلاحاً

التعامل في اللغةً : يقال عاملت الرجل ، أعامله معاملة، والمعاملة في كلام أهل العراق والحجازيين ؛ هي المساقاة [1]. المعاملة مصدر عامل ، التي تدل على كل فعل يفعل ، يقال عمل يعمل عملاً ،فهو عامل ويقال إعتمل المرء إذا عمل بنفسه[2].

تعاملا: عامل كل منهما الآخر [3]. والمعاملة هي التصرف [4].

التعامل في الاصطلاح : هو الموقف الثابت الصادق الذي يتخذه الشخص أثناء تعامله مع سائر المعاملات على ما يكفل الرفق بالمتعاملين، وأن يفي الشخص ما أبرمه من عهود وعقود مع الآخرين مع الرفق بهم ، والإحسان إليهم ، والحلم معهم[5].

التعامل يعني : التعامل بالمعروف وبالحسنى ؛ هو الأساس لاستدامة الحياة[1].

---

[1] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، لسان العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط : الثانية / 2009م باب العين ، فصل اللام مادة " عمل " ج 11 ص 568.

[2] أبو الحسن بن فارس ابن زكريا ، مجمع مقايس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مأخوذ من مادة "ع م ل" دار الجيل ، بيروت – لبنان ، 1411- 991م ، ج 4 ص 144.

[3]شوقي ضيف ،مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ط : الرابعة / 1426هـ – 2005م ص 628.

[4] بطرس البستاني ، باب العين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط : الأولى / 2009م ، ج6 ص 311.

[5]منقذ بن محمود السقار، الدين المعاملة ، الناشر : رابطة العالم الإسلامي ، 1430 هـ – 2009م ص59.

المعاملة هي : الإنصاف من نفسك ؛ أي معاملة غيرك بالعدل والقسط، بحيث تحكم له على نفسك بما يحب له [2].

المسألة الأولى : مفهوم التعامل بين الزوجين

إنطلاقاً من مفهوم التعامل بين الزوجين ، هنالك خصائص وحقائق وأمور لابد من معرفتها؛ وعلى ضوئها تكون منهجاً لمسيرة حياة الزوجين معاً ، فينبغي على الزوج والزوجة ، فهم ومعرفة كل منهما الآخر ، ولعلهما يدركان أن الاختلاف في طبيعة تكوينهما يدعوهما إلى التفاهم والتعاضد والمصارحة ؛ ليتمكنا من العيش معاً ، وأن

يتفهم الرجل نفسية المرأة و يتعامل معها وفقاً لتركيبتها الرقيقة الشفافة ، وكذلك على المرأة أن تدرس وتفهم تركيبة الرجل النفسية .

المسألة الثانية: تأكيد الشريعة على حُسن العِشرَة بين الزوجين:

العلاقة بين الزوجين علاقة في غاية الأهمية، عُني الإسلام بتوثيقها، وعمل على بقائها واستمرارها، وأكد على ضرورة المحافظةِ على هذه الرابطة، وحضَّ الزوجين على الحرص على إنمائها وديمومتها؛ ولذلك نجد أن حُسن العِشرَة[3] بين الزوجين من أهم الركائز التي يؤكد عليها الدين الحنيف، وينتج عنها عيش الأسرة في ودٍ وسلام وصفاء ووئام، فالتعامل بالمعروف وبالحُسنى ؛ هو الأساس لاستدامة الحياة الزوجية ، وفق ما

---

[1] أبو مصطفى بن العدوى ، فقه التعامل بين الزوجين ، مكتبة مكة طنطا - مصر ص 14.

[2] زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج الدين المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى- مصر ط: الأولى / 1256 هـ ج 1 ص 644.

[3] **العِشرَةُ** : **المخالطة والمعاشرة** ، **قال طَرَفة**: ولَئِنْ شَطَّتْ نَوَاهَا مَرَّةً، ... لَعَلَى عَهْد حَبيب مُعْتَشِرْ(**لسان** العرب، لابن منظور ، باب الراء ، فصل العين المهملة ، ج4 ص 574.

جاء في الكتاب والسنة ، فقد أمر الله تعالى بإحسان معاشرة النساء في كثير من الآيات[1] فيقول سبحانه وتعالى : [2] .

حُسن العِشرَةُ :تعني أن يكون كل من الزوجين مطالب بإحسان الصلة بالطرف الآخر ، حتى يسود الأسرة جو من التواد والتراحم والتعاون، لكي يتحقق مقصد هذه العلاقة [3] أُأ [4] .

جاء في تفسير القرطبي : " وعاشروهن بالمعروف"، أَمر اللَّه سبحانه بحسن صحبة النّساء إِذا عقدوا عليهنَّ ما بينهم وصحبتهم على الكمال، فإِنه أَهدأ للنَّفس وأَهنأ للعيش، وهذا واجبٌ على الزوج، وأن يتصنع لها كما تتصنع له، على ما أمر الله به من حُسن العِشرَة ، والخطاب للأزواج ، وألا يعبس في وجهها ، وأن يكون منطلقاً في القول لا فظاً و لا غليظاً ولا مظهراً ميلاً إلى غيرها.[5]

والمعاشرة بالمعروف : هي الصحبة الجميلة بين الزوجين ،فعلى كل من الزوجين معاشرة صاحبه بالمعروف ، وأن يكف كل منهما عن الآخر أذاه ، وأن يفي كل واحد منهما بذل ما يجب لصاحبه من الحق عليه من غير مطل ولا اظهار للكراهية عند أدائه ، بل يبذله ببشر وطلاقة ولا يتبعه منًا ولا أذى ،وهذا من المعروف المأمور به[6]، ويقول تعالى :ُأ [7] يقول القرطبي رحمه الله : في قوله تعالى: **(ولَهُنَّ)** (أَيْ: لهنَّ من حقوق الزوجية على الرجال مثل ما للرجال عليهنَّ، جاء في الأثر عن ابن عباس . رضي الله عنهما وقف أمام المرآة يتجمل ويتزين ويأخذ من

---

2 أبو مصطفى العدوي ،فقه التعامل بين الزوجين، مكتبةطظا –مصر ،ص14.

[2] النساء : 19.

[3] الدعوة وأحوال المسلمين – الأسرة ، الكتلب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية ص18.

[4] الروم :21.

[5] تفسير القرطبي ، مرجعسابق ،ج5 ص97.

[6] أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة ،الكافي في فقه الإمام أحمد ، دار الكتب العلمية ، ط :الأولى /1414 هـ – 1994م ج3ص81.

[7] البقرة : 228.

لحيته ويرجل من شعره . فقال له نافع ما هذا يا ابن عم رسول الله؟ أتفعل هذا وإليك يضرب الناس أكباد الإبل من شرق وغرب يستفتونك في دين الله؟ فقال له: (وماذا في هذا يا نافع؟ إِنِّي لأُحبُّ أَن أَتزيَّن لامرأتي كما أُحبُّ أَن تزَّيَّنَ لي؛ وهذا في كتاب الله [1]، قال: أين هذا في كتاب الله؟ قال في قوله تعالى: ﴿ وما أُحبُّ أَنْ استنظف[2] كل حقي الذي لي عليها؛ فتستوجب حقها الذي لها عليَّ ؛ أيْ زينة من غير مأثم، وذلك بالتجمّل لها وإبداء الهيئة الحسنة في عينها ،حيث يؤكد الإسلام على التنظيف والأناقة وتزين الزوج لزوجته بما يتناسب معه وترضاه كما أن عليها ذلك في قباله أن تتزين المرأة لزوجها ،يعني إظهار الهيئة الحسنة في عينه ، والابتعاد عما ينفّره ولا يوافق ذوقه مع معرفتها لما يرغب فيه وما يرغب عنه. لا غنى بالزوجة فيما بينها وبين زوجها الموافق لها عن صيانة نفسها عن كل ريب حتى يطمئن قلبه بها في حال المحبوب والمكروه، ليكون ذلك عاطفاً عليها عند زلّة تكون منها، وإظهار المحبة له بالهيئة الحسنة منها في عينه[3]. يجب على الزوج أَن يُحسن عشرة زوجته بحيث تكون مصاحبته لها بالمعروف أي: بالمظهر و حُسنِ الهيئة ، أي لهُنَّ من حُسن الصحبة والعشرةِ بالمعروف على أَزواجهنَّ مثل الذي عليهِنَّ من الطاعة فيما أوجبه عليهن لأزواجهن. وقيل: إِنَّ لَهُنَّ على أَزواجهنَّ ترك مضارَّتهنَّ كما كان ذلك عليهن لأزواجهن) [4]. ويقول ابن عباس : أي : من الزوجة، لماذا؟ لأنه ؛ يملك العصمة والقوامة ،فقوامة الرجل في الإسلام المقصد منها الالتزام بالمسؤولية، وهي مبنية على الشورى بأن لا يستبد الزوج برأيه ، فعليه الاّ يسترسل مع ما يظهر من مشاعر

---

[1] أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي، **السنن الكبرى، كتاب القسم والنشوز ، باب : حق المرأة على الرجل ،المحقق: محمد عبد القادر عطا** ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،ط: الثالثة، 1424 هـ - 2003م، حديث رقم 14728 ج 7 ص 482.

[2] **استنظفت الشيء**: إذا أخذته كله ، **لسان العرب ، لابن منظور ، حرف الفاء فصل النون** ،ج 9 ص 337.

[3] الحياة الزوجية ، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية ، مركز نون للتأليف ، ط: السادسة ، 1423 هـ - 2012م ص52.

[4] تفسير القرطبي ، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ،ط: الثانية، 1384هـ - 1964م ج 3 ص 123-124.

الضيق من أهل بيته ، فإذا كان رب الأسرة حاد الطبع ، سيئ العِشرَة ، ضيق الأفق ، يغلبه حمق ، يعميه تعجل ، سريع لهن من حسن الصحبة والعشرة بالمعروف على أزواجهن مثل الذي عليهن من الطاعة فيما أوجبه عليهن لأزواجهن[1].

فنصت الآية على أن كل حق لأحد الزوجين يقابله واجب على الآخر يؤديه إليه ، وبهذا يحصل التوازن بينهما من كافة النواحي مما يدعم استقرار حياة الأسرة ، واستقامة شؤونها [2].

إن القاعدة الأساسية التي ينبغي أن تنطلق منها العلاقات بين الزوجين ؛ هي في هذه الآية الكريمة السالف ذكرها، فجعل الله لهنَّ من الحق مثل ما عليهنَّ، والمعروف هو كل ما عُرف حُسنه ونفعه ، ونقيضهُ المنكر وهو كلُّ ما استُنكر إثمه وضرره ، أما الدرجة التي للرجال على النساء فهي درجة تحمل المسؤولية المالية، والإشراف على شؤون الأسرة ، وليست درجة تمييز بين حقوقه وحقوقها ، وهذه الدرجة هي التي أهّلت الزوج لأن يخاطب بأمر الله ويُستودع أمانته سبحانه حيث أمر الرجال قائلاً :
ٌآ سم [3]. إن المعاشرة بالمعروف تدخل في كل تصرف وكل كلمة تدور بين الزوجين [4].
فالآية أوجبت المماثلة في تأدية كل واحد من الزوجين ما عليه من الحق لصاحبه بالمعروف، فكانت المماثلة بالمعروف هي ميزان المعاملة بينهما في جميع الشؤون والأحوال، فإذا همَّ الزوج بمطالبتها بأمرٍ من الأمور فيما يدخل في وُسعِها وطاقتها تذكَّر أنَّ عليه واجباً مثله بإزائه، فكان ميزان المماثلة في الحقوق يتبلور في أنه ما من حقّ للمرأة على الرجل إلاَّ وللرجل في مقابله حقٌّ على المرأة على وجهٍ يليق بكلِّ واحدٍ

---

[1] أحمد علي طه ريان ، فقه الأسرة ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، ط :الثالثة/1421 هـ -2000م ،ص 186.

[2] أحمد السيد كردي ، الحياة الزوجية حقوق وواجبات ، دار السلام للنشر ، - القاهرة ، 1420 هـ – 2007م ص 27.

[3] النساء : 19.

[4] إبراهيم العناني ،آداب التعامل بين الزوجين، الناشر : مركز الإسكندرية للكتاب ،مصر ، 1998م ، ص 42.

منهما ويناسبه، غير أنَّ المماثلة في الحقوق المشتركة بين الزوجين قد تثبت على أساس التقابل المتبادل بينهما في الحقوق على أنهما أكفاءٌ من غير شرط المطابقة بين أعيان تلك الحقوق، إذ لا يخفى أنَّ الزوج لا يجب عليه مثلاً إذا ما طهت له الطعام أن يفعل نحوها مثل ذلك، وإنما المقصود بالمماثلة مقابلة واجب لآخر، فما من عملٍ تعمله المرأة لزوجها إلاَّ وللرجل عملٌ يقابله لها، إن لم يكن مثلَه في شخصه وعينه فهو مثله في جنسه، فإن تعذَّر في جنس الفعل أو العين فيقابله بحسبه بما يليق بالرجال من زيادة التوسعة والإنفاق أو في حُسن العشرة والمعاملة والصحبة ، لقوله تعالى :نيني ير[1]. أي : زيادة في الحق والإنفاق والقيام بالمصالح وفي معنى الآية قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: (لهنَّ من حُسن الصحبة والعشرة بالمعروف على أَزوَاجهنَّ مثل الذي عليهنَّ من الطاعة فيما أَوجبه عليهنّ لأزواجهِنَّ) [2] . فالطاعة في مقابل حُسن الصحبة والعشرة بالمعروف . حُسن العِشرَة : تعني أن يكون كل من الزوجين ، مطالب بإحسان الصلة بالطرف الآخر ، حتى يسود الأسرة جو من التواد والتراحم والتعاون ،لكي يتحقق مقصد هذه العلاقة [3] ُّاً [4] .

فالتعامل بين الناس ضرورة اجتماعية ، لا يمكن لأي مجتمع أن يستغنى عنها، فاذا ضاعت الأخلاق والمعاملات الحسُنة ؛ تحطمت أركان الحياة الأسرية والاجتماعية، وفقدت قيم المحبة والتآلف والتعاون بين الزوجين وبين أفراد المجتمع ، وأصيب الدين وتفكك المجتمع وسرت فيهم البغضاء والتشاحن وحل الخلاف وعدم الاستقرار، وكذلك في المحيط الأسري ، فغياب التعامل الحسُن ؛ يحول الحياة الزوجية والأسرية إلى نزاعات وخصومات وعقوق ، ثم إلى تشتت وتفرق ثم إلى ضياع وحرمان ،وقد يفضي

---

[1] البقرة : 228.

[2] تفسير ابن كثير ، ج1ص271.

[3] الدعوة وأحوال المسلمين – الأسرة ، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية ص18.

[4] الروم : 19.

إلى الجريمة ، والقتل ويصبح البغض هو السائد بين الناس وتنعدم الثقة بين أفراد المجتمع .إذاً فالدين هو التعامل الذي يهدف إلى ترسيخ قيم المحبة والتعاون ، وتقوية الروابط والعلاقات الإنسانية بين الناس ، ويمنع حدوث الخلافات ، ويرفع الظلم وينشر العدل، ويمنع الشحناء والبغضاء والتدابر ،إذاً التعامل الإيجابي بين الزوجين وبين أفراد المجتمع ؛ هو سلوك والتزام ودعوة ، وطريق إلى الجنة.

المطلب الثاني : واجب الزوج في المحافظة على بيت الزوجية والمعاشرة بالمعروف

دعا الإسلام من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة الرجل إلى ضرورة احترام الزوجة ومعاملتها بالحسنى وأوصى بالمعاشرة بالمعروف ،و كذلك أوصى المرأة بحُسن التبعل، وذلك لا يتحقق إلا بمعرفة كل من الزوجين ما له وما عليه؛ بذلك يشعر الزوجان بنعمة الزواج واستقراره ، فالحفاظ على بيت الزوجية و العلاقة بين الزوجين أمرٌ مهم، فإنَّ استقامتها سببٌ لاستقامة الحال واستقرار للأسرة ، وانتظام شأن وحياة الأولاد بين الأبوين المتعاونين في سبيل إصلاحهم وتربيتهم التربية الصالحة. ومن أهم آثار المودة الزوجية؛ المعاشرة بالمعروف، وهي من مقاصد الشريعة في الزواج، والحفاظ على العلاقة الزوجية إلى انتهاء العمر. ولكن بعضاً من الناس لا يعرف أحكام هذه العشرة وضوابطها، وأهدافها التي أرادها الله تعالى، فتكدرت حياتهم، وتنغص عيشهم، وانقلب السرور حزناً، والسكينة وبالاً وجحيماً، فأصبحت تلك الأسر متنافرة متشاكسة ومتباعدة، لا يجمعها إلا المبيت أو الأكل والشرب، أما العلاقات فقد تشتت، وأما الرأفة والمودة والرحمة فقد عدمت، وأما مراعاة الشرع في تلك المعاشرة فقد تركت جانباً؛ فلذلك كان لزاماً علينا أن نعرِّف كل من دور الزوج والزوجة حتى تدوم العِشرَة الزوجية.

المسألة الأولى : مسؤولية الزوج في المحافظة على الأسرة

فهو رب الأسرة ، ومطالب بتبصير نفسه أكثر في الغضب ، بطي الرضى ، فإذا دخل إلى بيته فنجده كثير المنّ ، وإذا خرج فسيئ الظن ؛استحالت العشرة بينهما، فعلى الزوج أن يغفل عن الهفوات ، وأن يغفر الزلات والبعد عن الإساءات ، فبهذا يحصل التراضي ، وتدوم العِشرَة وتسود الألفة والمودة والرحمة بينهما ويبتغيان الأجر والثواب من عند الله تعالى، وذلك لأن ؛حُسن العِشرَة وأسباب السعادة لا تكون إلا في الرفق واللين في القول والفعل ، والبعد عن الريبة التي لا أساس لها ، فالريبة قد تذهب ببعض الناس إلى سوء الظن ، مما يحمله على تأويل الكلام والشك في التصرف ، مما ينقص العيش ، ويقلق النفس ، ويحول الحياة إلى جحيم لا يطاق[1] .

المسألة الثانية: وصية النبي ﷺ بالنساء:

من المسلّم به ابتداءً ،أن الرجل والمرأة كلاهما من خلقِ الله، وأن الله سبحانه وتعالى لا يريد أن يظلم أحداً من خلقِه ، وهو يهيئه ويعده لوظيفة خاصة، ويمنحه الاستعدادات اللازمة لإحسان هذه الوظيفة، وقد خلق الله الناس ذكوراً وإناثاً، ومن رحمة الله ورسوله جاءت التوصية بحق الإناث خاصة؛ فنجد في سنة رسول الله ﷺ ترغيب الأزواج في القيام بحق النساء، ووصيتهم بذلك، فقال عليه الصلاة والسلام: " ... **واستوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خُلقت من ضلع، وإن أعوجَ ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبتَ تقيمه كسرتَه، فاستوصوا بالنساء خيراً**" [2].

وتشبيه المرأة بالضلع الأعوج يقصد منه بيان طبيعتها، وأنها أكثر عاطفة وهذه فطرة وميزة ميزها الله بها؛ لأن العناية والحنان بالطفل تتطلب ذلك، كما أن هذا الضلع الذي خُلقت منه المرأة ؛ وظيفته حماية القلب والصدر لذلك جلت حكمة الله إعوجاجه، فتشبيه المرأة بالضلع لتقريب المعنى ، فهذا الضلع إذا استقام لا يؤدي مهمته ، وكذلك المرأة إن كانت كالرجل لا تستطيع أداء مهمتها، والتي في جوهرها تتعلق بالطفل الذي يحتاج إلى العطف واللين والحب ،وهذه الصفات جعلها الله في طبيعة الأنثى، فكانت

---

1 صالح بن عبد الله بن حميد ،البيت السعيد وخلاف الزوجين ، الناشر : وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ص9.

2 صحيح البخاري ،كتاب النكاح ، باب : الوصاة بالنساء ،حديث رقم 5186ج2 ص581و مسلم بن الحجاج أبو الحسن النيسابوري ، المحقق محمد فؤاد عبد الباقي كتاب الرضاع باب: الوصية بالنساء حديث رقم 1478 ج2 ص1091.

الوصية للرجل للترفق بها وعدم أخذها بالشدة ، وليس في ذلك أي نقص من قدرها، بل تنويه وتنبيه للرجل حتى لا يطلب منها أن تكون مثله ؛ لأن ذلك ينافي وظيفتها، فالمرأة خُلقت من ضلع الرجل لا من طينة أخرى، بل هي من الرجل، والرجل منها، ومن ثم زودت المرأة– فيما زودت به من الخصائص– بالرقة والعطف، وسرعة الانفعال والاستجابة العاجلة لمطالب الطفولة– بغير وعي ولا سابق تفكير– لأن الضرورات الإنسانية العميقة كلها– حتى في الفرد الواحد– لم تترك لأرجحة الوعي والتفكير وبطئه، بل جعلت الاستجابة لها غير إرادية! لتسهل تلبيتها فوراً وقت الضرورة ،وفيما يشبه أن يكون قسراً؛ ولكنه قسر داخلي غير مفروض من الخارج ، ولذيذ ومستحب في معظم الأحيان كذلك، لتكون الاستجابة سريعة من جهة ومريحة من جهة أخرى– مهما يكن فيها من المشقة والتضحية! صُنع الله الذي أتقن كل شيء، وهذه الخصائص ليست سطحية، بل هي غائرة في التكوين العضوي والعصبي والعقلي والنفسي للمرأة ، وقد خلقها الله لتكون شريكة و زوجة يسكن إليها الرجل، وهذا سر قوة العاطفة التي جبلت المرأة بها وهي تحتويه بعاطفتها وهو يحميها بقوته[1].

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ أَ [2] ، وقال عليه الصلاة والسلام :" **فاتقوا الله في النساء ... ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف** " [3] و قال أيضاً في هذا المعنى: "**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**" [4] ، فعليه أن يغض كل منهما الطرف عن المنقصات ، فإن ضروب الحياة لابد أن تعتريها بعض المشكلات والمنقصات ، وأن يتذكر الزوج جوانب الخير في زوجته ، فلئن رأى بعض ما يكره؛ فهو لا يدري أين يكمن الخير ومواطن الصلاح ، فلابد من المسايرة والتحلي بالصبر[5] .

---

[1] سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة،ط: السابعة عشر 1412 هـ ج2 ص650.

[2] الطلاق : 6 .

[3] صحيح مسلم ، كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء ،من خطبة الوداع ، حديث رقم 1468 ، ج2 ص190.

[4] سنن الترمذي، كتاب المناقب ، باب :فضل أزواج النبي ، حديث رقم 3895 ج 6 ص 192،سنن ابن ماجة ، كتاب النكاح ، باب : حسن معاشرة النساء ، حديث رقم 1977، ج1 ص 636.

[5] صالح بن عبد الله بن حميد ,البيت السعيد وخلاف الزوجين ، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ،ص9.

فإن المعاشرة الزوجية التي أرادها الله تبارك وتعالى هي ما ذكره في كتابه العظيم بقوله:ٌ[1]، هذه هي القاعدة الشرعية في المعاشرة، وهذا هو المفهوم الصحيح لمعنى المعاشرة، وهي المعاشرة بالمعروف، والنظر إلى المحاسن، والتغاضي عن المساوئ في كثير من الأحيان، (فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) ، وفي صياغ ذلك المعني يشير رسول الله وبين أن المرأة المؤمنة قد يكون منها شيء من الأخلاق التي لا يرضاها الزوج، وهي أخلاق لا تتنافى مع الشرف والفضل والفضيلة، ولكن تختلف طباع بعض الناس، فيقول: "**لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقًا رضي منها آخر**"[2]، وذلك من أجل الحفاظ على بيت الزوجية، فالمرأة المؤمنة قد يكره منها الرجل شيئًا من الطباع، ولكن في مقابل ذلك يرضى بأخلاق حسُنة وسيرة طيبة، فليكن ما لديها من خُلقٍ كريم وعملٍ طيب مقابل ما قد يرى منها بعض التصرفات التي لا تسره فعليه أن يصبر عليها وذلك لكي تبنى البيوت على العشرة والتغاضي عن الهفوات. وأن يكون الزوج مصدر إسعادها ويكون سبباً في إقامة البهجة في البيت ،فقد كان رسول الله يرعى أهل بيته ويؤانسهم ويساعدهم في أمور البيت؛ لأن مساعدة الزوج لزوجته أمر يجلب المودة والألفة ويشعرها بأن زوجها يهتم بها ويقدر مدى المشقة والتعب وحجم المسؤولية التي تقع على عاتقها.

كذلك الترويح عن النفس أمر مهم للأسرة عن طريق الخروج للتنزه أو الذهاب معاً للزيارات العائلية فإن ذلك يجدد من النشاط ومن رتابة الحياة وضغوطها .

المطلب الثالث: واجب الزوجة في المحافظة على بيت الزوجية و التعامل بالمعروف

لقد رسم لنا رسول الله منهجاً قويماً في كل شيء، ومن ذلك العِشرَة الزوجية، فهي علاقة قائمة على المحبة والصدق والأمانة، تبدأ منذ بداية الطريق عند اختيار الزوجة واختيار الزوج، حيث وجه النبي وبين أهمية المرأة الصالحة ذات الخُلُق

---

[1] **النساء** : 19.

[2] صحيح مسلم كتاب الرضاع ، باب: الوصية بالنساء ، رقم الحديث 1469. ج2 ص 1091.

والدين فقال: "**تُنكح المرأة لأربع:" لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك**"[1]، وقال أيضاً: "**الدنيا متاع، وخيرُ متاع الدنيا، المرأةُ الصالحة**" [2].

المسألة الأولى : مسؤولية الزوجة في المحافظة على الأسرة :

على الزوجة أن تعلم أن السعادة والمودة والرحمة لا تتم إلا حين تكون ذات عفة ودين ، تعرف ما لها وما عليها ، تستجيب لزوجها في حدود المعروف ، فهو الذي يصونها ويحفظها ويعفها ويحميها وينفق عليها، فتجب عليها طاعته بالمعروف وحفظه في نفسها وماله كما أمرها الشرع بذلك ، وأن تقوم بواجبها تجاه زوجها ، وأن تؤدي ما له من حق عليها ،وأن تصبر عليه والتغاضي عن الصغائر ، وذلك من أجل العشرة ولكي تنعم الأسرة بالحب و الطمئانينة ، وأن تكون الزوجة مصدر إسعاده وتكون سبباً في إقامة السعادة في البيت، وأن تهتم بنفسها وأولادها ،فهي بذلك زوجة صالحة وأم شفيقة ، راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ، تقر بجميل زوجها وتفانيه من أجلها و من أجل أولادهما ،لا تكفر العشير ولا تتنكر لفضله، وأن تعاشره بالتي هي أحسن ، قال عليه الصلاة والسلام : " **أيما امرأة ماتت زوجها عنها راضٍ دخلت الجنة**" [3]، وبحصول الوئام تنعم الأسرة بالسعادة ، ويتهيأ الجو الصالح لتربية النشء وينشأ البنين والبنات في بيت كريم يملأه الحب والدفء ، عامر بالتفاهم ، سعيد بالرضى، بين حنان الأمومة ، ورأفة الأبوة ، بعيداً عن صخب الشقاق والمنازعات والاختلافات وتطاول كل واحد على الآخر، فلتكن بينهما عشرة قوامها الدين والخُلُق ينتج عنها المودة والرحمة [4].

المسألة الثانية :إشراقات من سيرة الصحابيات في المحافظة على بيت الزوجية

---

[1] سبق تخريجه ص 34.

[2] صحيح مسلم ،كتاب الرضاع ، باب: (خير متاع الدنيا المرأة الصالحة) ، حديث رقم 1467، ج2 ص1090.

[3] سنن الترمذي ، باب : ما جاء في حق المرأة على زوجها ج3 ص 456 ، رقم الحديث 1161.

[4] صالح بن عبدالله بن حميد ،البيت السعيد وخلاف الزوجين، **مرجعسابق** ،ص12.

قدوتنا هن الصحابيات رضوان الله عليهن، اننا نجد في حياة الصحابيات الكثير من الإشراقات التي توقد حماس المرأة المسلمة للإقتداء بهن؛ فقد كن رضي الله عنهن في اجتهاد دائم للعبادة وحُسن العشرة مع أزواجهن، وفي سيرتهن دروس تستفيد منها المرأة المسلمة فتستحق الإقتداء بهن على نحو ما تميزن به من صبر وخصال حميدة وحب للطاعات والأعمال الفاضلة، فيجب بهداهن أن تقتدي المرأة المسلمة التي أصبحت في حاجة ماسّة لهذا، فهل من عودة لزمن الصحابيات وبهداهن نقتدي فذلك خير لنا في ديننا ودنيانا.

ومن إشراقاتهن نستضيء: فهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فلنرى دورها في المحافظة على بيتها وحبها لرسول الله □ ، فقالت: قال لي رسول الله □ : "**إِنِّى لأَعلم إِذا كنت عنِّى راضية ، وإِذا كنت عليّ غضبى** " . قالت فقلت من أَين تعرف ذلك؛ فقال: " **أَما إِذا كنت عنِّي راضية فإِنّكِ تقُولين لا وربِّ مُحمَّد ، وإِذا كُنت غضبى قلت لا وربِّ إِبراهيم** " قالت: قلت أَجل واللَّه يا رسول اللَّه ، ما أَهجر إِلاَّ اسمك "[1] .

من الإشراقة السابقة التي أضاءت لنا موقفاً لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وكيف كانت تتغلب على غضبها وتتحكم في عواطفها فلا يكون إلا الهجر للاسم ؛ فلنتعلم منها رضي الله عنها كيفية تحجيم الغضب والتحكم فيه؛ لا أن يتحكم بنا؛ فحينها ستختفي كثير من المشكلات و الاضطرابات الأسرية ؛لأن من الزوجات إن غضبت أحرقت الأخضر واليابس بنار غضبها ودمرت حياتها حتى لتصل الواحدة منهن لحد الطلاق لأتفه الأسباب، وبعضهن تتخذ منه وسيلة حين تهجر كثير من حقوق الزوج لتضغط عليه وتصل إلى مرادها وهذه حياة مشحونة بالنكد والتقصير بالحقوق الواجبة عليها، فلنتعلم من موقف أم المؤمنين رضي الله عنها وندرب أنفسنا على مواجه الغضب ونحجمه قبل أن يتعاظم، فسنرى نتيجة ذلك الأثر الإيجابي في

3 صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب: غيرة النساء ووجدهن ، حديث رقم 5228 ج7 ص 36.ومسلم كتاب فضائل الصحابة ، باب : في فضل عائشة رضي الله عنها، حديث رقم 2439 ج4 ص 1890.

حياتنا ونتدرب على هذه الأخلاق الفاضلة ، فقد كانت خير مثال للزوجة الصالحة المؤمنة المحبة لزوجها.

وفي مشهد آخر نرى فاطمة بنت رسول الله رضي الله عنها ، ما كان من أثر إدارة الرحى على يدها من كثرة العمل ومشقته. يروي لنا الحديث علي رضي الله عنه فقال: (أن فاطمة أَتت النَّبي تشكو إِليهِ ما تلقى في يدها من الرَّحَى، وبلغها أَنَّه جاءه رقيق، فلم تُصادفهُ، فذكرت ذلك لعائشة، فلمَّا جاء أَخبرته عائشة، قال: فجاءنا وقد أَخذنا مضاجِعنا، فذهبنا نقوم، فقال: «**عَلَى مَكَانِكُمَا**» فجاء فقعد بيني وبينها، حتى وجدتُ برد قدميه على بطني، فقال: «**أَلاَ أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَا؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَ أَوْ أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا فَسَبِّحَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ**» [1].

والقصة أن فاطمة شكت ما تلقى في يدها من الرحى على يديها، وأرته أثراً في يدها من الرحى، هو الأثر الذي يحصل لليد نتيجة العمل، وهو غلظ اليد الذي يحدث عند مباشرة الأعمال، فكل من عمل عملاً بكفه تجد فيه أثراً إذا كان يمارس العمل بكفه دائماً، فيقول علي رضي الله عنه وهو الزوج المشفق على زوجته ، قلت لفاطمة : لو أتيت النبي فسألته خادماً ،فقد أجهدك الطحن والعمل، ولكن لاشك أن النبي عليه الصلاة والسلام عرف من ينتقي لابنته ودلهما على مواطن الخير وهو التَّسبيح والحمد، أَي ما ذكر من الذِّكر (خيرٌ) أَي: أَفضل (لكما) (من خادم) وهو التسبيح لله عز وجل، وهذا أفضل لها من خادم ، وهذا فيه حث وترغيب على الصَّبر على مشقّة الدُّنيا ومكارهها من الفقر والمرض وغير ذلك، وفيه إِشارة إِلَى أَفضلِيّة الفقير الصَّابر على الغني الشَّاكر، فنأخذ من هذا المشهد أنه يستحب للمرأة أن تقوم على خدمة زوجها وأولادها في البيت قدر استطاعتها، وهذا شأن فضليات النساء الصحابيات [2].

---

1 صحيح البخاري ، كتاب النفقات ، باب: عمل المرأة في بيت زوجها ، حديث رقم 5361ج 7 ص65.

2 علي بن سلطان بن محمد أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري ،مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر بيروت – لبنان ط : الأولى / 1422 هـ - 2003م ج4 ص 1657

فهذه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، تروي لنا قصتها ودورها في مساعدة زوجها ومراعاة عدم إثارة غيرته ، وحرصها على عدم إغضابه؛ قالت : تزوَّجني الزُّبير، وما له في الأَرض من مال ولا مملوك، ولا شيءٍ غير ناضح وغير فرسه، فكنتُ أَعلفُ فرسه وأَستقي الماء، وأَخرز غربه وأَعجن، ولم أَكن أُحسن الخبز، وكان يخبُزن جارات لي من الأَنصار، وكنَّ نسوة صدق، وكنتُ أَنقلُ النَّوى من أَرض الزُّبير التي أَقطعه رسول اللَّه على رأْسي، وهي منِّي على ثُلُثي فرسخ، فجئتُ يومًا والنَّوى على رأْسي، فلقيتُ رسول اللَّه ومعه نفر من الأَنصار، فدعاني ثم قال: «**إِخْ إِخْ**» ليحملني خلفه، فاستحييتُ أَن أَسير مع الرِّجال، وذكرتُ الزُّبير وغيرته وكان أَغيرَ النَّاس، فعرفَ رسولُ اللَّهِ أَنِّي قد استحييتُ فمضى، فجئتُ الزُّبير فقلتُ: لقيني رسولُ اللَّهِ ، وعلى رأسي النَّوى، ومعه نفرٌ من أَصحابه، فأَناخ لِأَركبَ، فاستحييتُ منه وعرفتُ غَيرتك، فقال: واللَّه لحملُكِ النَّوى كان أَشدَّ عليَّ من رُكوبكِ معه ، قالت : حتى أَرسل إِليَّ أَبو بكر بعد ذلك بخادمٍ تَكفيني سياسة الفرس

فكأَنَّما أَعتقني "[1].

هذا الموقف الذي روته أسماء رضي الله عنها ؛ فيه إشارة وتنبيه لأمر مهم؛ فكثيراً ما تغفل عنه الزوجات؛ حيث أن أسماء وضعت لزوجها الزبير اعتباراً ، فهي تعرف مدى غيرته ، فراعت هذا الشيء وكأنه معها، فهذه دعوة لكل مسلمة أن تتخذ من أسماء رضي الله عنها قدوة ، فأين نحن من أسماء رضي الله عنها التي حال تذكرها لغيرة زوجها ،فتوقفت عن أي تصرف قد يثير غيرته ،فهي لقد راعت شعوره حاضراً وغائباً .

1 صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب : الغيرة ، حديث رقم5224 ج 7 ص35. ومسلم كتاب الآداب ،باب: جواز إرداف المرأة الأجنبية إذا أعيت في الطريق، حديث رقم 2182ج 4 ص 1715.

فتلك مشاهد و مواقف من حياة الصحابيات ،وما فيها من مشقة العمل ،ففاطمة رضي الله عنها ابنة الرسول عليه الصلاة والسلام؛ قد أثر الرحى في يدها ، والمشهد الثاني لأسماء ابنة أبي بكر رضي الله عنهما، فكيف كانت في خدمة زوجها الذي ماله في الأرض من مال و لا مملوك. فالملاحظ أنها حياة فيها كفاح ومشقة لمساعدة الزوج وخدمته، وتعاون وتعاضد لبناء كيان أُسري، فعلينا أن نتدبر ونتفكر في حالهن ونستلهم العِبر من تلك البيوت التي أصبح لها شأن عظيم في الإسلام ، فرغم مكانتهما العالية فلا خدم ولا جواري ! بل هناك قناعة و تضحية وتواضع وصبر على مشاق الحياة لخدمة الزوج ومساندته.

المبحث الثالث: المنهج النبوي في التعامل الزوجي

لقد كان رسول الله مثلاً أعلى لحُسن التعامل والعدل بين زوجاته، و معاملتهن بالمعروف، كان يعاملهن بكل حب ولطف في أسمى وأرقى صورة ، وكيف لا يكون وهو ميزان للكمال ، كان من أخلاقه عليه الصلاة والسلام ،أنه جميل العشرة ، لطيفاً في المداعبة مع أهل بيته، كان إذا شربت إحدى زوجاته من الإناء أخذه فوضع فمه في موضع فمها وشرب ،وكان يتكئ في حجر عائشة ويقرأ القرآن ، ويوسعهم نفقة و يضاحك نسائه ويمازحهن [1].

فحديثنا في هذا المقام عن معاملة النبي مع نسائه وأهل بيته ، فالواجب علينا التعرف على هديه ثم العض عليها بالنواجذ في مختلف أمور الحياة والتي تتعلق بالحياة الأسرية والزوجية خاصة . ويدفعنا إلى تلمس هذا الهدي ، إيماننا على أن هديه هو أفضل نموذج وضعه الله نصب أعيننا وطالبنا بإتباعه والسير على منهجه ، يقول تعالى :ﭐ ▫▫▫ [2] .

إن الأمور التي نحتاج فيها إلى الاستمساك و الاقتداء بمنهج النبي كثيرة تشمل كل حياتنا ، وهذه الوريقات لاتسع لكتابتها ولكن نسلط الضوء على جانب من الجوانب المهمة في حياتنا ، وهو التعامل في بيوتنا ، فنحن أحوج ما نكون إلى هذا المنهج مع فساد تعاملنا مع بعضنا ، فالدين معاملة مع الله ومع النفس ، ومع سائر

[1] أبو عبدالله مصطفى العدوي ، فقه التعامل بين الزوجين ،مرجع سابق ، ص37.
[2] الأحزاب : 21 .

الخلق ، لذا فالواجب علينا معرفة منهجه في تعامله مع أهل بيته ومع الخلق لنتأسى به ، فتنصلح علاقتنا الزوجية والأسرية والاجتماعية [1] .

المطلب الأول: قبسات من بيت النبوة

فمن صور تلطفه ومداعبته مع نسائه عليه الصلاة والسلام ، ما ترويه لنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقالت : (خرجت مع النبي في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبُدن بعد، فقال للناس: "**تقدموا**" فتقدموا، ثم قال لي: "**تعالي حتى أسابقك**" فسابقتُه فسبقتُه، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنُت ونسيت، ثم خرجتُ معه في بعض أسفاره، فقال للناس :" **تقدموا**" فتقدموا، ثم قال :" **تعالي حتى أسابقك**" فسابقتُه فسبقني ، فجعل يضحك وهو يقول : " **هذى بتلك**[2].

فحُسن العشرة مطلوب، والترفيه والترويح عن الأهل بين الحين والأخر مطلوب أيضاً. كان الصحابة رضوان الله عليهم يسألون أم المؤمنين عائشة عن أحوال النبي في بيته، فسئُلت رضي الله عنها: كيف كان رسول الله إذا خلا مع نسائه؟ قالت : كان كرجل منكم لنسائكم ،ألا أنه كان أكرم الناس خُلقاً، وأبين الناس، ضاحكاً بساماً ولا عجب أن يكون كذلك [3] فهو القائل :"**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وخيركم خيركم لنسائهم**" [4] ، قالت :(كان يكون في مهنة أهله– تعني خدمة أهل بيته– فإذا حضرت الصلاة قام الى الصلاة ، وفي رواية ، كان بشراً من البشر يخيط ثوبه ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه) [5] . ولم يكن النبي في بيته يأنف من

---

[1] منقذ بن محمود السقار، الدين المعاملة ، **منقذ بن السقار ، الناشر** : **رابطة العالم الإسلامي** ، 1430 هـ - 2009م ص 9.

[2] سنن ابن ماجه ، كتاب النكاح ، باب ، حسن معاشرة النساء ، حديث رقم 1979ج1 ص 636.

[3] **منقذ بن محمود** ، الدين المعاملة ، ص11.

[4] سنن ابن ماجه ، كتاب ، النكاح ، باب: حسن معاشرة النساء ، حديث رقم 1977 ، ج 1 ص 636 من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وسنن الترمذي ، باب : ما جاء في حق المرأة على زوجها ، حديث رقم ج3 ص 458

[5] صحيح البخاري ، كتاب الأدب، باب :كيف يكون الرجل في أهله ؟ ج3ص145.

شيء مما يأنف منه بعض الأزواج في زماننا هذا ، ويرونه قادحاً بالرجولة ، وغير متناسب مع مقامها ، فيتركون حتى خدمة أنفسهم في البيت ، ويأنفون من مساعدة زوجاتهم في أعباء المنزل، فهؤلاء نذكرهم بحديث أم المؤمنين عائشة في وصفها ما كان يصنعه النبي في بيته لكي يحذوا حذوه ويقتدوا بهديه ويسيروا على نهجه [1]. فإذا كان حقاً على الزوجين أن يتعاونا على البرِّ والتقوى والسعي للفوز بالآخرة ؛ فإن حقّاً عليهما كذلك أن يهتما بأمور الحياة الدنيا ،وأن يكون كل منهما عضداً للآخر ، ومسانداً له ، ومعايشاً لآلامه وآماله ، ومعاوناً له على القيام بمصالحه وأعماله ، خاصة من قبل الزوج لزوجته في أمور الأسرة وأعمال البيت ويكفينا شاهداً كما كان النبي عليه الصلاة والسلام يفعل مع أهله [2].

ومن حُسن لطف النبي ما صنعه مع عائشة حين جاء الأحباش ، ليلعبوا في المسجد بحرابهم ، تقول السيدة عائشة:(كان الأحباش يلعبون بحرابهم ، فسترني رسول الله وأنا أنظر ، فما زلت أنظر حتى كنت أنا أنصرف) [3] ، وتعقب عائشة رضي الله عنها على هذا الهدي الجميل بدعوة المسلمين التأسي به عليه الصلاة والسلام[4] .

فقد كان يجالس نسائه ويستمع لهن وإلى قصصهن، ومع هذه المعاشرة الطيبة، والخلُق الحسُن والمعاملة الكريمة لا يتوانى عن نصح، نسائه وأهل بيته وحثهن على طاعة الله عز وجل والإكثار من العبادة وفعل الخيرات[5] .

المطلب الثاني: السماحة في المعاملة

[1] منقذ بن محمود ،الدين المعاملة ، ص11.
[2] الحياة الزوجية ، ص53.
[3] صحيح البخاري ،كتاب النكاح ، باب : حسن المعاشرة مع الأهل ، ج2 ص582، حديث رقم 5190.
[4] الدين المعاملة ،ص24.
[5] مصطفى بن العدوي ،فقه التعامل بين الزوجين ص52.

ما زال النبي يعطينا الدروس والمثل العليا ويوصي مرة بعد مرة بحسن عشرة النساء ، وحسن التعامل معهن ، ومراعاة الاختلاف في طبيعة جنس الذكورة والأنوثة، وأيضاً اختلاف النساء في طبائعهن . ولن يفوتنا هنا التنبيه على حال تضطرب فيها كثير من النساء، فيحصل فيها ما قد يؤدي الى نفرة وجفاء ، وهي حال الحيض والحمل والغيرة في تغير مزاجهن ، والغيرة صفة حميدة يتصف بها المؤمنون والمؤمنات ،ولكن لا تزيد عن الحد المعقول فتتحول من غيرة محمودة الى مذمومة، ولكن نلاحظ البعض وخاصة من النساء تشتد بها الغيرة، فتخرج عن طور الاعتدال إلى الإفراط، وينتج عنها توتر الحياة الزوجية ،مما يصبغها بطابع النكد وكثرة الخلافات والخصام. وتزداد الغيرة في إحداهن إذا كان لزوجها أكثر من زوجة، فنراها ترتاب بظلمه لها وتجافيه عنها بحق وبغير حق ، وقد تتهمه بالميل الى ضرتها بمبرر وغير مبرر [1] . وبين أيدينا موقف آخر حدث في بيت النبوة، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : كان بيني وبين رسول الله كلام، فقال: "**بمن ترضين أن يكون بيني وبينك**[2] ؟ **أترضين بابي عبيدة بن الجراح** ؟ ، قلت : لا ذاك رجل لين يقضي لك علي ، قال : "**أترضين بعمر بن الخطاب** ؟" ، قلت : لا إني لأفرق من عمر ، فقال رسول الله : "**أترضين بأبي بكر؟**" ، قلت : نعم ! فبعث إليه فجاء ،فقال رسول الله : أقض بيني وبين هذه؛ فدُهش أبوبكر وقال : أنا يا رسول الله ؟ ثم بدأ رسول الله يحكي أصل الخلاف ... فقاطعته عائشة قائلة:(أقصد يا رسول الله) _ أي قل الحق_ فلطمها أبو بكر على وجهها فنزل الدم من أنفها، وقال لها: ومن يقصد إذا لم يقصد رسول الله، فاستاء رسول الله من أبي بكر فقال :" **ما هذا أردنا..**" وقام فغسل لها الدم من وجهها وثوبها بيده الشريفة [3] .

---

[1] **المرجع السابق** ، ص17 .

[2] عبد الحميد طهماز ، أم المؤمنين عائشة عالمة نساء الإسلام ، ط : الأولى /1407هـ -1987م ، ص74.

[3] أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** ، **مكتبة القدسي** – القاهرة ،1414 هـ – 1994م ، ج9 ص243.

نلاحظ في هذا الموقف استنكار النبي ضرب أبو بكر الصديق لابنته عائشة ! لقوله صلوات الله عليه : " **ما هذا أردنا**" بمعنى ما أردنا أن تحكم بيننا بضربها في حل المشكلة ، ورقم حِدة عائشة في هذا الموقف ، كان النبي مترفقاً بها فعاملها بكل رأفة وحنان .تقول عائشة :(ما ضرب رسول الله خادماً له قط ولا امرأة له قط ، بيده ، إلّا أن يجاهد في سبيل الله) [1].

نلاحظ أن السيدة عائشة رضي الله عنها تتعامل مع النبي كما تتعامل الزوجة مع زوجها في حالة الخلاف وهذا شيء طبيعي، وعلى هذا النحو عاملها النبي عليه الصلاة والسلام ؛ ولكن نجد أن أبا بكر موقفه بخلاف ذلك، فتعامله مع النبي على أنه رسول الله وليس على أساس أنه زوج ابنته فاستنكر كلام ابنته واعتبره تجاوزاً منها ولذلك كان رد الفعل حاداً، ولكن نجد أن تعاطُف النبي مع عائشة إن دل على شيء ؛إنما يدل على محبته لعائشة ،نجده في مواقف كثيرة لا يحتمل أذاها ويتألم لآلامها وكيف لا ؟! ، فهي المبرأة في كتاب الله بنت صاحب وخليفة رسول الله ، من أكبر فقهاء الصحابة، كان لها مكانة عالية ، ومقام ومنزلة رفيعة عند رسول الله . عن الزهري عن أنس بن مالك قال : أول حُبّ كان في الإسلام ، حُبّ النبي لعائشة رضي الله عنها تقول السيدة عائشة : قلتُ يا رسول الله :كيف حُبّك لي ؟ قال : " **كعقدة الحبل**" فكنت كثيراً ما أقول : كيف العقدة يا رسول الله ؟ فيبتسم ويقول : " **هي على حالها** " [2] .

نموذج من صور الغيرة في بيت النبي مع نسائه، وكيف تعامل رسول الله مع هذا الموقف الحرج.

---

[1] أبو عبد الله بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، مسند أحمد ، كتاب النساء مسند عائشة ، المحقق : شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد ، **الناشر: مؤسسة الرسالة** ،ط : **الأولى** / 1421 هـ – 2001م، حديث رقم 24034 ج40 ص37 .

[2] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن اسحق الأصبهاني ، دار الكتاب العربي – بيروت ج2 ص44.

يروي لنا الحديث أَنس بن مالك، فقال: كان النَّبي عند بعض نسائه، فأَرسلت إِحدى أُمَّهات المؤْمنين بصحفة فيها طعام، **إلى رسول الله** وهو في بيت ضرتها ، فتغار الزوجة صاحبة البيت ، فتضرب يد الخادم ، فتسقط الصحفة من يده وتنفلق ويتناثر ما فيها من طعام ، فجمع النَّبي فلق الصَّحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصَّحفة، ويقول: «**غَارَتْ أُمُّكُمْ**»[1] ثم حبس الخادم حتى أُتي بصحفةٍ من عند التي هو في بيتها، فدفع الصَّحفة الصحيحة إِلى التي كسرت صحفتها، وأَمسك المكسورة في بيت التي كسرت.

المشهد: يجلس النبي عند بعض نسائه ، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين وهي زينب بنت جحش بصحفة فيها طعام إلى رسول الله وهو في بيت ضرتها عائشة بنت أبي بكر ، فتغار الزوجة صاحبة البيت ، فتضرب يد الخادم ، فتسقط الصحفة من يده وتنفلق ويتناثر ما فيها من طعام .

كيف تصرف نبينا صلوات الله وسلامه عليه تجاه هذا الموقف الحرج ؟ فما صنعه ، لقد جمع فلق الصحفة ثم جمع الطعام الذي كان فيها ، وهو يردد ويقول: "**غارت أمكم، غارت أمكم**" . لينتهي الموقف بلطف ويسر ، لم يطلق ولم يشتم ولم يضرب ، لأنه كان يعلم أنها ما صدر منها نتيجة للغيرة، ولأن عقلها كان محجوب بشدة الغضب الذي أثارته الغيرة، وهكذا كان النبي يحتمل غيرة زوجاته ، ويرشِّد هذه الغيرة فلا يسمح بواحدة منهن أن تظلم أختها ، كان يقيم العدل بينهن ويكرمهن جميعا [2] .

وقوله : " **غارت أمكم** " إعتذار منه عليه الصلاة والسلام لئلا يحمل صنيعها على ما يذم ؛ بل يجري على عادة الضرائر من الغيرة ، فإنها مركبة في النفس ،

[1] صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب : الغيرة ، حديث رقم 5225 ، ج 2 ص 590 .
[2] الدين المعاملة ، ص 20 ، 22.

بحيث لا تقدر على دفعها هذا فيه إشارة إلى عدم مؤاخذة الغَيرَاء بما يصدر منها لأَنَّها في تلك الحالة يكون عقلها محجوباً بشدَّة الغضب الذي أَثارته الغَيرَة [1].

قال القاضي : (مُغاضبة عائشة للنَّبيِّ هي ممَّا سبق من الغَيرَة الَّتي عُفي عنها للنِّساء في كثير من الْأَحكام كما سبق لعدم انفكاكهنَّ منها حتى قال مالك وغيره من علماءِ المدينة يسقط عنها الحد إذا قذفت زوجها بالفاحشة على جهة الغَيرَةِ قال واحتجَّ بما رُوي عن النَّبي أَنَّه كان في سفرٍ لإحدى الغزوات وكان معه في الركب زوجتيه عائشة وصفية رضي الله عنهما ، تقول عائشة رضي الله عنها : (وكان متاعي فيه خفٌّ، وكان على جملٍ نَأجٍ [2]، وكان متاعُ صفيَّة فيه ثقلٌ، وكان على جملٍ ثَقالٍ بطيء يتبطّأ بالرَّكب، فقال رسُولُ اللَّه : «**حَوِّلُوا مَتَاعَ عَائِشَةَ عَلَى بعير صَفِيَّةَ، وَحَوِّلُوا مَتَاعَ صَفِيَّةَ عَلَى بعير عَائِشَةَ حَتَّى يَمْضِيَ الرَّكْبُ**»[3] . قالت عائشة: فلمَّا رأَيتُ ذلك قُلتُ: يا لعباد اللَّه غلبتنا هذه اليهوديَّة على رسُولِ اللَّه . قالت: فقال رسولُ اللَّه : «**يَا أُمَّ عَبْدِ اللَّه إِنَّ مَتَاعَكِ كَانَ فيه خَفٌّ وَكَانَ مَتَاعُ صَفِيَّةَ فيه ثِقَلٌ، فَأَبْطَأَ بِالرَّكْبِ فَحَوَّلْنَا مَتَاعَهَا عَلَى بَعِيرِكِ، وَحَوَّلْنَا مَتَاعَكِ عَلَى بَعِيرِهَا**»[4]، قالت: فقُلتُ: أَلست تزعم أَنَّك رسُولُ اللَّه؟ قالت: فتبسَّم؛ فقال: أَو في شكٍّ أَنْت يا أُمَّ عبد اللَّهx؟ " قالت: قُلتُ: أَلستَ تزعُمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّه؟ أَفَلا عدلت؟ وسمعني أَبو بكر وكان فيه غربٌ [5] ، فأَقبلَ عليَّ فلطم وجهي فقَالَ رسُولُ اللَّه : «**مَهْلًا يَا أَبَا بَكْرٍ**»[6] فقال أبو بكر: يا رَسُولَ اللَّه أَما سمعت ما قالت؟ فقال رسُولُ اللَّه : «**إِنَّ الْغَيْرَى لَا تُبْصِرُ أَسْفَلَ الْوَادِي مِنْ أَعلَاه**»[7] ولولا ذلك لكان على السيدة عائشة في ذلك

---

[1] حمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ،فتح الباري شرح صحيح البخاري، الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379ه ،ج9ص 325.

[2] **نأجٍ** : ونأَجَت الإِبلُ فِي سَيْرِهَا أي أسرعت ، لسان العرب ، ج 2ص371.

[3] . أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي مسند أبي يعلى **مسند عائشة** ،المحقق: حسين سليم أسد، **الناشر: دار المأمون للتراث** – دمشق ، حديث رقم 4670ط: الأولى/ 1404 هـ – 1984،ج 8 ص 129.

[4] حمد بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، الناشر : دار المعرفة – بيروت - ، 1379 هـ ، ج9 ص 325.

[5] أي حدة ؛ لسان العرب ج1 ص641.

[6] ، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي مسند أبي يعلى **مسند عائشة** ،المحقق: حسين سليم أسد، **الناشر: دار المأمون للتراث** – دمشق ، حديث رقم 4670ط : الأولى/ 1404 هـ – 1984حديث رقم 4670 ج 8 ص 129.

[7] مسند أبي يعلى ،(درجة الحديث رجاله ثقات) حديث رقم 4670 ،ج 8 ص 129.

من الحرج ما فيه ؛لأَنَّ الغضب على النَّبي وهجره كبيرة عظيمة، ولذلك قالت لا أَهجر إِلَّا اسمك؛ فدل على أَنَّ قلبها وحُبَّها كما كان وإِنَّما الغَيرَةُ في النِّساء لفرط المحبَّة [1] .

قال لها رسول : "**إِنَّ جبريل يقرأُ عليك السَّلام**"[2] قالت: فقلتُ : وعليه السلام ورحمةُ اللهِ فأي منزلة عظيمة تنعم بها رضي الله عنها.

وأصل غيرة المرأة من تخيل محبة غيرها عند زوجها منها أكثر ،أو الإكثار من ذكر امرأة أخرى أمامها، فكثرة الذكر تدل على المحبة، كما كانت تغير السيدة عائشة من السيدة خديجة ؛ من كثرة ذكر رسول الله إياها و مرادها بالذكر لها مدحها والثناء عليها.

المطلب الثالث: سيكولوجية الغيرة

المسألة الأولى : تعريف الغَيرة :

الغَيرة لغة : الغَيرة بالفتح، المصدر من قولك :غارَ الرَّجُل على أَهله يغَار غَيراً و غَيرةً و غَاراً و غيور و غيران وغار الرجل على أهله. والمرأة على بعلها تغار، وامرأة غيرة وغيراً وغاراً غيور و غيرى وغياراً. و تغايرت الأَشياءُ اختلفت. والغيرة هي الحمية والأنفة وَالْجَمْعُ (أَغْيَارٌ) [3].

الغَيرة اصطلاحاً : الغيرة بالفتح وهي تعني تغير القلب وهيجان الغضب بسبب المشاركة فيما به الاختصاص، وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين [4] ، كراهة شركة

---

7 أبو زكريا محيي الدين يحي بن شرف النووي ، المنهاج شرح صحيح مسلم ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط : الثانية /1392 ج 5 ص 203

1 صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب : في فضل عائشة رضي الله عنها ، حديث رقم 2447، ج4ص1895.

[3] ابن الأثير الجوزي ، النهاية في غريب الحديث والأثر، أحمد بن محمد الخراط أبو بلال ، الناشر : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ، ج3 ص 401. لسان العرب ، ج5 ص43. مختار الصحاح ، ص232

[4] فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج9 ص 325.

الغير في حقه[1].هي شعور طبيعي، و احتياج لإهتمام أكثر من قبل الشخص المعني ، فيريد أن يحتمي به في أوقات الأزمات ، ولو عن طريق الغيرة ، و الغيرة هي مزيج من القلق و الخوف والتوتر والضيق ، الغيرة هي عبارة عن إحساس مركب الخوف وعدم الأمان ، و الغيرة تظهر في السلوك ولا يعبر عنها مباشرة بالكلمات[2] .

المسألة الثانية: أنواع الغيرة : الغيرة نوعان:

النوع الأول: غيرة معتدلة

الثاني :غيرة مذمومة

الغيرة المعتدلة : تُبنى العلاقة بين الزوجين على الثقة المتبادلة فيكون كل منهما أكثر استيعاباً لحاجات الآخر النفسية والجسدية والفكرية، وتعد الغيرة شعوراً طبيعياً بالنسبة إلى كليهما؛ شرط أن لا تتجاوز الحدود المعقولة، لتتحول إلى حالة مرضيّة تهدد كيان الأسرة. والغيرة شعور لا ينظر إليه أحد بارتياح ، حتى ولو كانت في حدود المعقول والمقبول ، ومع ذلك فهي ليست دائماً شعوراً سلبياً؛ طالما لم يصاحبها حقد أو بغض أو رغبة في الإيذاء أو ربما أدى إلى الجريمة، والشعور بالغيرة سلوك طبيعي ، فالغيرة في العمل قد تكون حافزاً على المنافسة الشريفة والإجادة كما أن الغيرة في المحبة والعاطفة تكون بصورة متزنة ، وأنه لا حب بدون غيرة . وهذا ما حدث من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في القصة السالفة ذكراً ؛ لأننا عندما نحب نخاف أن نفقد الشخص الذي نحبه ، فالغيرة أحياناً تقوي العلاقة بين الزوجين ، وأحياناً قد تدمرها إذا

---

[1] علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ، التعريفات ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان،ط: الأولى 1403هـ - 1983م ص 163.

[2] محمد علي كامل ، الضغوط النفسية ومواجهتها ، كلية التربية – جامعة طنطا ، مكتبة ابن سيناء للطبع والنشر والتوزيع ،2004م ص59.

تجاوزت الحد المعقول ، ولا يوجد شخص كامل التكيّف ، و كل إنسان عرضة للشعور بالغيرة بقدر ما[1].

الغيرة المذمومة:

أما عن غيرة الرجل فهي محمودة ولكن بشرط أن لا تكون زائدة ؛ لأن غيرة الزوج الزائدة يكون سببها عدم ثقته في نفسه وفي زوجته، كما أن هناك بعض القيم والعادات السالبة والمفاهيم الخاطئة في مجتمعنا تغرس في الرجل حب التملك والسيطرة على الزوجة في كل شيء، على اعتبار أن المرأة ملكه يتصرف فيها كما يشاء! وهذا مفهوم خاطئ يتنج عنه كثير من المشكلات الزوجية ، هذا يعتبر جهل بالدين الذي كرم المرأة وجعلها مساوية للرجل في الحقوق والواجبات، وأن المرأة شريك للرجل لها ما له، وعليها ما عليه مثل ما أقره الشرع ، وقد تسيطر الغيرة على الشخص في بعض المواقف، وتجعله يغار بشكل زائد؛ لأنه عند حدوث موقف مثير للغيرة فهو يحتاج لاهتمام أكثر من قبل الشخص المعني ، كما أن مشاعر الغيرة قد تؤثر تأثيراً سلبياً على حياة الشخص الغيور الذي يفقد التحكم بالسيطرة على انفعالاته

فبهذا التصرف قد يفقد من يحب [2].

أما عن غيرة المرأة فهنالك العديد من الأسباب التي تثير الغيرة لدى الزوجة مثل عدم اهتمام الزوج بها أو إهمالها بسبب انشغاله بعمله وتركه للمنزل فترة طويلة من الوقت كل تلك الأمور تزيد المخاوف والشك ، فالغيرة تدل على عدم شعور الزوجة بالأمان

[1] أبو مصطفى بن العدوي، فقه التعامل بين الزوجين ، ص 17.
[2] محمد علي كامل ، الضغوط النفسية ومواجهتها ، مرجع سابق ، ص 59 .

والطمأنينة، كما أنها تدل على عدم ثقة الزوجة في نفسها وفي زوجها ، وبالتالي يجب على الزوجة العمل على زيادة ثقتها بنفسها؛ لأن الإحساس بالثقة ينعكس على الشريك، فإذا كانت الزوجة إيجابية وواثقة في نفسها أنعكس ذلك على علاقتها بزوجها ، فالزوجة تريد أن تشعر بأنها المرأة الوحيدة في حياة زوجها، ولا توجد امرأة أخرى تشاركها فيه، فالمرأة تغير على زوجها بدافع عاطفي، كما أن التنشئة الاجتماعية للزوجة تلعب دور مهم في غرس بعض القيم الخاطئة مثل محاصرة الرجل ، فزيادة تحكم الزوجة ورغبتها في السيطرة على زوجها ومعرفة كل ما يفعله بحكم غيرتها عليه، يعتبر من أخطر الأمور التي تؤدى إلى حدوث المشكلات بين الزوجين، فمن الأفضل أن تترك له قدر من الحرية والاستقلال الذاتي، فتدخل الزوجة في كل شؤون الزوج يجعله يشعر أنه محاصر ومقيد ، فخوف الزوجة الزائد عن الحد المعقول؛ يدل على المخاوف الداخلية التي تعانى منها، وعدم شعورها بالثقة في نفسها أو في زوجها، وبالتالي تزداد العلاقة توتراً؛ وبالمقابل تدخل الزوج في كل تفاصيل زوجته يشعرها بالملل وعدم الإرتياح النفسي

وأنها ليس لها حرية الإرادة في الأشياء الخاصة بها.

المسألة الثالثة: كيف نتحكم في الغيرة ؟

القليل من الغيرة تجعل الحياة الزوجية سعيدة وناجحة وجميلة ، كما أنها تجعل الطرف الآخر يشعر بأنه محبوب وأن هناك حب واهتمام به، وبالتالي يجب التحكم في التنشئة الاجتماعية والسيطرة على الأفكار التي تصل إلى الطرفين من خلال الأهل والمجتمع، فيجب التخلص من العادات السلبية، وتنمية القيم الإيجابية التي تساعد في تكوين أسرة سعيدة ،وعلاقة زوجية ناجحة تجعل الزوجين لديهم ثقة بأنفسهم وأصحاب شخصيات قوية قادرة على التفاهم والحكم على الأمور من زوايا مختلفة متعددت الأبعاد، كما أن الوضوح والصراحة بين الزوجين في التصرفات يساعد على تفادى المشكلات، والتعبير

عن المشاعر وتبادل كلمات المحبة؛ تساعد على إقامة جو من الألفة بين الزوجين، والحوار الدائم بين الزوجين مهم جداً لزيادة التقارب وإشعار الطرف الآخر بالأمان . وينبغي أن يتلطف الزوج مع زوجته ، ويتكلم معها بالكلام الطيب الذي يكون سبباً في محبته إلى قلبها وهي كذلك ينبغي لها أن تتكلم معه بالكلام الطيب الذي يكون سبباً في جلب محبتها إلى قلبه[1] .

فإذا عرّجنا لتلك الحادثة نلاحظ أن ما نتج عن زوجة النبي من غيرة دليل على حبها للنبي فالحب ينتج غيرة، والغيرة تحتاج إلى رفق ولين، كما تحتاج إلى عدل وإنصاف ، فالمتأمل في حياة النبي وكيفية تعامله مع مثل هذه المواقف الحرجة ؛ تكشف عن تقديره لما يستتر خلف الغيرة من حب كامل له في قلب زوجته المحبة له ، ورغبتها أن تكون الأثيرة في قلبه . وهكذا يقرأ الزوج المحب الوفي هذا الموقف بعين مفعمة بالحب و التسامح والرضا ويتعامل معه بكل اتزان و حكمة صلوات الله وسلامه عليه.

المسألة الرابعة : إستشارة الزوجة

وفي مشهد أخر يعلمنا النبي قيمة الاستشارة وفضل المشورة لزوجاته الفضليات، ولئن كان الكثير من الأزواج في عصرنا اليوم يأنف من استشارة زوجته في الأمور المتعلقة بشؤون الأسرة ،أو فيما يتعلق بأمور عمله خارج البيت ! ويرى أن من حقه الانفراد بالقرار وحده دون استشارة زوجته شريكة حياته ،التي تشاركه الحياة حلوها ومرها والآمها ، وما دري بأن النبي سيد الخلق أجمعين المسدد بالوحي، استشار زوجاته في قضايا تتعلق بالأمة لا بالأسرة فحسب ، كما استشار زوجته أم سلمة يوم الحديبية: يوم خرج النبي ومعه زوجه أم سلمة في ألف

[1] فقه التعامل بين الزوجين ، ص72.

وأربعمائة مسلم، متجهين إلى مكة لقضاء أول عمرة لهم بعد الهجرة، وحملوا معهم السلاح توقعاً لشر قريش، فلما وصل إلى ذي الحليفة أهلَ مُحْرماً هو ومن معه. فبعث النبي بُسر بن سفيان إلى مكة ليأتيه بأخبار قريش وردود أفعالهم. وحين وصل المسلمون إلى عسفان[1] جاءهم بُسر بأخبار استعدادات قريش لصد ومنع المسلمين من دخول مكة، فلما نزل الرسول بالحديبية أرسل عثمان رضي الله عنه، إلى قريش وقال له: " **إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُمُ الحَرْبُ، وَأَضَرَّتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً، وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرْ: فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلَّا فَقَدْ جَمُّوا، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي، وَلَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ** "[2]، وأرسلت قريش عروة بن مسعود للتفاوض مع الرسول .، ثم أرسلت سهيل بن عمرو لعقد الصلح ، فلما رآه النبي قال : " **قد سهل لكم أمركم**"[3]. فتكلم سهيل طويلاً ثم اتفقا على قواعد الصلح؛ وأسفرت المفاوضات عن اتفاق سُمِّيَ في التاريخ والسيرة **بصلح الحديبية** ، يقضي بأن تكون هناك هدنة بين الطرفين لمدة عشر سنوات، وأن يرجع المسلمون إلى المدينة هذا العام فلا يقضوا العمرة إلا العام القادم، وأن يرد محمد من يأتي إليه من قريش مسلماً دون علم أهله، وألا ترد قريش من يأتيها مرتداً، وأن من أراد أن يدخل في عهد قريش دخل فيه، ومن أراد أن يدخل في عهد محمد من غير قريش دخل فيه ،وافق الرسول على شروط المعاهدة، التي بدا للبعض أن فيها إجحافاً وذلاً للمسلمين، ، ذكر فيه أنه لما تم الصلح بين النبي ومشركي قريش قام رسول الله فقال: "**يا أيها**

[1](مكان بين مكة والمدينة).
[2] صحيح البخاري ، كتاب الشروط ، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة حديث رقم 2731 ج3 ص 193.
[3]صحيح البخاري ، كتاب الشروط ، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة حديث رقم 2731 ج3 ص 193.

الناس انحروا واحلقوا"[1] ، قال: فما قام أحد، قال: ثم عاد بمثلها، فما قام رجل حتى عاد بمثلها، فما قام رجل، فرجع رسول الله فدخل على أم سلمة فقال: "**يا أم سلمة ! ما شأن الناس؟**"[2] قالت: يا رسول الله قد دخلهم ما قد رأيت، فلا تكلمن منهم إنساناً، واعمد إلى هديك حيث كان فانحره، واحلق فلو قد فعلت ذلك، فعل الناس ذلك، فخرج رسول الله لا يكلم أحداً حتى أتى هديه فنحره ثم جلس فحلق، فقام الناس ينحرون ويحلقون [3].

فكان رأي أم سلمة رضي الله عنها ، رأياً سديداً وموفقاً ومشورة مباركة ، وفي ذلك دليل على استحسان مشاورة المرأة الفاضلة مادامت ذات فكر صائب و رأي سديد، كما أنه لا فرق في الإسلام بين أن تأتي المشورة من رجل أو امرأة ، طالما أنها مشورة صائبة ، فالشورى سلوك ينظم الحياة و الأسرة في كل شؤونها. يقول الله تعالى: ﴿ ﴾ [4] .وفي قبول النبي لمشورة زوجته أم سلمة تكريم للمرأة، التي يزعم أعداء الإسلام أن الإسلام لم يعطها حقها وتجاهل وجودها، وهل هناك اعتراف واحترام لرأي المرأة أكثر من أن تشير على نبي مرسل، ويعمل النبي بمشورتها لحل مشكلة واجهته في حياته .

وفي هذا الموقف أيضاً التأكيد على أهمية القدوة العملية، فقد دعا رسول الله إلى أمر وكرره، ومع ذلك لم يستجب أحد لدعوته، فلما أقدم رسول الله على الخطوة العملية التي أشارت بها أم سلمة رضي الله عنها ، تحقق المراد، فالقدوة العملية أجدى وأنفع، خاصة في مثل هذه المواقف فتعلم الصحابة من صلح الحديبية

---

[1] صحيح البخاري ، كتاب الشروط ، باب: الشروط في الجهات والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ، حديث رقم 2731 ج 3 ص 193.

[2] مسند أحمد ، باب : مسند الكوفيين ، حديث المسور بن مخرمة الزهري ومروان بن الحكم ، حديث رقم 18910، ج 31 ص 220.

[3] أبو محمد عبد الملك بن هشام . السيرة النبوية، تحقيق : وليد بن محمد بن سلامة ، خالد بن محمد بن عثمان ،مكتبة الصفا ،دار البيان الحديثة ،ط / الأولى 1422 هـ – 2001م ج3 ص200- 205.

[4] الشورى : 38.

وجوب طاعة النبي والانقياد لأمره وإن خالف ذلك العقول والنفوس، والقصة تبين فضل المشورة ، فهكذا يستشير النبي زوجته أم سلمة رضي الله عنها ، ويأخذ برأيها ولا يأنف من ذلك ولا يراه قدحاً في عقله أو رجولته أو رأيه صلوات الله وسلامه عليه .

المبحث الرابع : نماذج ومواقف من حياة الصحابة في التعامل الزوجي

إذا رزق اللهُ العبدَ تعلُّم الكتاب والسنة ؛ فقد حاز على كل الخير ، ووفق في دنياه وأخراه كل التوفيق ، فالعلم والعمل بكتاب الله وسنة رسوله أصل في نجاح كل ش+أن من شؤون الحياة فهذا ما يتقرب به العبد إلى الله عز وجل [1].

هنالك نماذج في حياة الصحابة كانت مليئة بالمواقف و الأحداث التي يستندون في التعامل معها بالكتاب والسنة.

المطلب الأول : مشهد حدث عند الِ البيت

فهذا نموذج وموقف حدث في عش الزوجية بين فاطمة وعلي رضي الله عنهما . كيف كان التعامل مع هذا الحدث عند ال البيت ؟

خرج رسول الله إلى ابنته فاطمة رضي الله عنها يزورها على عادته وكان ذلك في قائلة النهار، فلما وصل إليها لم يجد علياً في البيت ، وهي ساعة يكون فيها الأزواج في بيوتهم ، فقد كان من مألوف عادة العرب القيلولة في البيوت مع زوجاتهم، ولذا سأل النبي :" **أين ابن عمك!!؟**". شعر النبي أن شيئاً ما حصل بينهما أدى إلى خروجه في ذلك الوقت؛ لذا استعطف قلب ابنته على زوجها بذكر القرابة القريبة بينهما "**أين ابن عمك؟**" فقال عليه الصلاة والسلام :"**لعل بينك وبينه شيء؟**" قالت:(نعم ،كان بيني وبينه شيء فغاضبني ، فخرج ولم يقل عندي) فقال النبي لشخص معه:" **أنظر أين هو**" فبحث عنه فوجده نائماً في ظل جدار المسجد، فعاد الى النبي : يا رسول الله هو راقد في المسجد! فجاءه رسول الله

[1] مصطفى بن العدوي ،فقه التعامل بين الزوجين ،ص4 .

 وهو مضجع قد سقط ردائه عن شقه فأصابه التراب، فجعل رسول الله يمسح عنه التراب بيده ويقول مداعباً :" **قم يا أبا تراب، قم يا أبا تراب**"[1].

فاذا أطلقنا مخيلتنا وذهننا للصور التي تحدث بيت الأزواج والزوجات في عصرنا الحالي لنعلم يقينا ما هي مشكلتنا ؛ فهذا موقف أمامنا يجسد مشكلة من المشكلات الزوجية مر بها بيت من البيوت الطاهرة . هذه ابنة الرسول ، وهذا حالها وكيف تعامل النبي الكريم في حل المشكلة بينهما . نموذج حيّ نتأمل فيه حُسن التصرف والتعامل مع المشكلات ، نستلهم منه العظات والعبر في حل الخلافات الزوجية ،فكيف كان التعامل مع هذا الموقف ..؟!

فنجد الأدب العالي والذوق الرفيع لدى فاطمة رضي الله عنها حينما عبرت عما جرى بينها وبين زوجها بتعبير لطيف مجمل (كان بيني وبينه خلاف فخرج) ولم تسترسل بذكر التفاصيل ولم تعرّج على تحديد المسؤولية في الخطأ ، إنما جعلتها أمراً مشتركاً (كان بيني وبينه). لذلك تجاوب النبي مع الإجمال بترك السؤال عن التفاصيل ، فلم يسأل ابنته: ما هو الشيء الذي بينكما؟.

نلاحظ تعامل النبي مع زوج ابنته الذي غاضبها بأبوة حانية ، وهو يمازح عليا ويبعد الأسلوب الذي يشعر بالعتب عليه. ونلاحظ أيضاً حُسن تصرف علياً رضي الله عنه مع الخلافات الزوجية ،فإنه خرج من البيت إلى المسجد يقيل فيه، الغرض من ذلك قطع لتواصل المراجعة في الكلام، وللحجج في الخصام، وفرصة ليسكن الغضب ، وتهدأ النفوس وتعود إلى طبيعتها في المودة والرحمة ، هذا النموذج من القصص التي تعتبر مرجعاً في حل الخلافات الزوجية ، ورقم ما حدث نعلم مدى محبة علي

[1] صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب : نوم الرجال في المسجد، حديث رقم 441 ج 1 ص96، ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب : في فضل علي بن أبي طالب، حديث رقم 2409، ج4 ص 1874.

لفاطمة وغيرته عليها رضي الله عنهما ، ومن غيرته عليها يروى عنه أنه دخل يوما على زوجته فاطمة ، فوجدها تستاك بعود أراك فأراد أن

يلاطفها ، فسحب عود الأراك من فيها ووضعه أمام عينيه.

وقال مازحاً : حظيت يا عود الأراك بثغرها أما خفت يا عود الأراك أراك

لو كنت من أهل القتال قتلتك ما فاز مني يا سواك سواك[1]

هذا نوع من الملاطفة لزوجين هما قدوة صالحة ، والأجدر أن يحتذى بهما .

المطلب الثاني: مشهد حدث في بيت الفاروق:

وننتقل إلى بيت آخر ، ألا وهو بيت الفاروق ، فلنرى كيف كان يتعامل الصحابي الجليل عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع زوجاته وأهل بيته ؟

تشاجر صحابي مع زوجته فاشتد الخلاف بينهما ، فلم يجد ملجأ إلا بيت أمير المؤمنين ؛ وذلك لأن أمير المؤمنين عوّد رعيته أن بيته أقرب من يطرقون بابه ليحمل معهم همومهم ؛ وهو يفضل ذلك لأنه ؛ يخشى إن تعست بغلة في العراق فيسأل عنها يوم القيامة لماذا لم يسوّي لها الطريق ؟.

توجه الصحابي لبيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وعندما دنا من الباب وطرقه، فإذا بالصوت يصله من داخل بيت الخليفة ، إنه صوت زوجة عمر رضي الله عنها الغاضبة الصاخبة ، فأخذ الصحابي يحدث نفسه(الخليفة في خلاف مع زوجته!)، فتحرك بعيداً عن الباب ولكن صوت قرع الباب كان قد وصل إلى سمع أمير المؤمنين ، وكان لابد أن يستجيب فلعل الطارق في حاجة لابد للخليفة أن يقضيها له حتى ولو

[1]شمس الدين أبو عبدالله محمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء ،المحقق : شعيب الأرناؤوط ، **الناشر** : دار الحديث – القاهرة ، ط : **الثالثة** ، 1405 هـ / 1985م ، ج5 ص 496.

كان في وقت راحته أو خلافه مع زوجته، ففتح عمر رضي الله عنه الباب ليرى الصحابي يولي مبتعداً ، فناداه : (يا هذا ، ماذا تريد؟) يعود الصحابي ويقول: جئتك أشكو زوجتي، فوجدتك تعاني مما أعاني منه ، وما أردت أن أشغلُك بحالي، فيكفيك حالُك ؛ يبتسم أمير المؤمنين، ويقول: (يا هذا إنهن زوجاتنا إن كرهنا منهن سلوكاً قبلنا غيره، إنهن يربينا أولادنا، ويقمن على شأننا ولماذا لا نصبر عليهن[1] ورسولنا الكريم يقول:" **فاستوصوا بالنساء خيرا**"[2] .

المطلب الثالث: موقف من حياة الصحابي عبدالله بين رواحة

نموذج آخر في حُسن التعامل و الوفاء بين عبد الله بن رواحة وزوجته رضي الله عنهما، في ذات ليلة كان يقرأ هذا الصحابي الورع القرآن، فاستوقفته الآية في قوله تعالى : ﴿ ﴾[3]، وكان واضعاً رأسه في حجر امرأته ،فعندما قرأ هذه الآية ، فبكى فبكت زوجته ، فقال لها : ما يبكيك ؟ قالت رأيتك تبكي فبكيت ،قال لها يقول الله: ﴿ ﴾ فلا أدري، أنجو منها أم لا؟![4].

فهؤلاء العظماء من السلف الصالح أصحاب رسول الله ،لقد فهموا الإسلام بشموله وكماله ، وأعطوا كل ذي حقٍ حقه ، فأعطوا حقوق زوجاتهم كما أمرهم الله ،فإن حقوق الزوجة على زوجها ، حقوق مهمة وعظيمة ، وقد أعتنى بها هؤلاء السلف غاية الاعتناء ؛ لأنهم كانوا يعرفون حقها الذي أمر الله به ، مطبقين قوله تعالى : ﴿ ﴾[5] كثيراً من يتخيل أن هؤلاء العظماء ليس لديهم وقت لزوجاتهم وللجلوس معهن ، جلسات مفعمة بالحب والرحمة والألفة ، فهذه الجلسة لم تمنع هذا الصحابي

---

[1] المرجع السابق ،ج2ص399.
[2] سبق تخريجه ص ، 41
[3] مريم : 71.
[4] سير أعلام النبلاء ، ج3 ص 147.
[5] النساء : 19.

أن يقف عند تلك الآية الكريمة ويتدبر معناها ! ويبكي هذا البكاء المرير، فتبادله زوجته الوفية نفس شعوره، فتبكي لبكائه. فتعلُّق هذا الصحابي بالآخرة لم يمنعه أن يجلس مع زوجته هذه الجلسة الحميمية.

المبحث الخامس : سلوكيات في التعامل الإيجابي والسلبي بين الزوجين

المطلب الأول: إكرام الزوجة

يجب على الزوج تجاه زوجته ، إكرامها ومعاملتها بالمعروف ، وتقديم ما يمكن تقديمه إليها مما يؤلف قلبها نحوه ، حتى يسودهما الوئام ، ويظلهما السلام ، يقول الله تعالى : ﴿ [1] ومن مظاهر اكتمال الخُلُق ، ونمو الإيمان أن يكون المرء رفيقاً، رقيقاً ولطيفاً مع زوجته، يقول النبي : " **أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم وأنا خيركم لنسائي**" [2]، فإكرام المرأة من قبل الرجل دليل على الشخصية المتكاملة، وإهانتها علامة على الخسّة واللؤم [3]، كما جاء في حديث النبي : " **إنما النساء شقائق الرجال ، وما أكرمهن إلا كريم ، ما أهانهن إلا لئيم**" [4]، ومن إكرامها التلطف وإحسان القول معها ، وعدم تكليفها من الأعمال ما لا تطيق ، ومساعدتها إذا لزم الأمر ، الحفاظ على مالها وممتلكاتها وعدم التدخل في شؤونها المالية إلا بإذنٍ منها[5].

فالإكرام هو تعظيم المكرم وتوقيره والرفق به والشفقة عليه ونحو ذلك ، وضده الإهانة قال تعالى: ﴿ [6]. فإكرام الزوجة هو تعظيم حقها، والرفق بها، والشفقة عليها ، وعدم إهانتها ، وأن يصبر عليها ويحتملها إذا وجدها فيها ما يكره من أجل استقرار الأسرة، ويكون ذلك بامتثال ما أمر الله تعالى به رسوله ، فقد أمر الله سبحانه بحُسن معاشرة الزوجات حتى في حالة الإكراه ، يقول سبحانه : ﴿ [7] فقد نبهت هذه الآية إلى إمساك الزوجة

---

[1] **النساء** : 19 .
[2] سبق تخريجه ، ص53.
[3] فقه السنة ، ج2 ص 128
[4] سبق تخريجه ،ص 17.
[5]. إبراهيم العناني ،أداب التعامل بين الزوجين ، ص41.
[6] **الحج** : 18 .
[7] **النساء** ، 19 .

مع الكراهة لها ونبهت على معنيين :

الأول : أن الشخص لا يعلم وجوه الصلاح ، فرُبَّ مكروهٍ عاد محموداً ، ومحموداً

صار مذموماً .

الثاني : أنه لا يكاد نجد شخصاً ليس فيه ما يكره ، فليصبر على صاحبه ما يكره لما يحب [1]. أيضاً أكدت السنة على هذا المعنى إذ نهى النبي عن بغض المرأة بسبب خُلُق لم يرض به، فقال: "**لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منهاآخر**"[2] وأخبر النبي أن خير المسلمين خيرهم لأهله [3] ، فقال: "**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**"[4].إن المعاشرة بالمعروف تدخل في كل تصرف، وفي كل معاملة مع الزوجة.

المطلب الثاني : البعد عن الإيذاء الأسري

إنّ الخلافات الحادّة بين الزوجين غالباً ما تكون سبباً لبروز ما يُسمّى بالعنف الأسري بكل أشكاله : اللفظي والنفسي، والجسدي ، والإقتصادي والاجتماعي؛ فهو يعتبر سلوك غير سوي في حدوث التعامل السلبي بين الزوجين ، مما ينعكس آثاره أيضاً على الأبناء . فالزواج الغير موفق يسبّب حالات العنف الأسري الذي يظهر من خلال استخدام العنف، والاعتداء بالضرب على الزوجة أو على الأبناء من قبل الزوج ، أو من قبل الزوجة على الأطفال أو على الزوج في بعض الحالات ، إذ إنّ بعض الأزواج قد يُظهر توتّره من شريكه عبر أطفاله من خلال الضرب والتعامل السيّئ معهم، فحالات العنف الأسري هذه ، من المشكلات التي تهدد مستقبل الأسرة نظراً لما تحمله من الخطورة المتمثّلة في نشوء جيل عنيف متوتر يتوصّل إلى مآربه بالعنف والصدام الذي نشأ عليه [5].

---

[1] إبراهيم ابن مفلح ، الفروع ، دار الكتب العلمية – بيروت لبنان ، ط : الأولى / 1997م

[2] سبق تخريجه ، ص 43.

[3] عبد الكريم زيدان، المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط : الأولى / 1413هـ – 1993م ج 4 ص173.

[4] سبق تخريجه ،ص45.

[5] المرجع نفسه ، ص174.

إن الإسلام لم يُجِز العنف في الأسرة، بل نهى عنه بشدّة ، فورد عن النبي أنه نهى الأزواج عن ضرب الزوجات فقال :"**لا تضربوا إماء الله**"[1] وروي أنه عندما جاء عدد كبير من النساء إلى رسول الله يشكين أزواجهن الذين يضربوهن ، غضب النبي من عدم إتباع هؤلاء الأزواج لهديه الذي يوصي بالرفق والمودة والرحمة مع الزوجات، فلما أَصبح ، **قال: "لقد طاف الليلة بآل محمد سبعون امرأَة، كل امرأَة تشتكي زوجها، فلا تجدون أُولئك خياركم**"[2] وهذا يفيد بوضوح أن الذين يضربون زوجاتهم لا يمكن أن يكونوا ضمن خيار القوم ، ومما يؤكد هذا المعنى ؛ خطب النَّبي ، ثم قال: "**علام يجلد أَحدكم امرأَته جلد الأَمة؟ ولعلّه أَن يضاجعها من آخر يومه**" [3] ، وقال أيضاً: «**لاَ يَجْلِدُ أَحَدُكُمُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ العَبْدِ، ثُمَّ يُجَامِعُهَا فِي آخِرِ اليَوْمِ**»[4] يتضمن هذا المعنى إنكار هذا التصرف بصورة حادة ، كيف يضرب أحدكم زوجته ويعاملها بقسوة وعنف وهو بطبيعة العلاقة التي تربطه بها لا يلبث أن يضاجعها! هنا يتبين الفرق الشديد بين الحياة الزوجية التي تقوم على المودة والرحمة ؛ وبين القسوة والإيذاء في المعاملة، وفي الصيغة التي جاء عليها الحديث : تبدو المفارقة بين التصرف المتسم بالإيذاء والغلظة (**يجلد أَحدكم امرأَته جلد الأَمة؟**) وبين التصرف الزوجي الإنساني الذي يشير إلى تبادل المودة بين الزوجين وهما في حالة المضاجعة . فهذا الحديث يصور لنا إنكار النبي حيث تغدو الزوجة في صورة العبد ، بينما الإسلام يدعو إلى حُسن معاملة العبيد ، فضلاً عن الزوجة التي أحق بحُسن المعاملة وقد يكون هنالك تساؤل عن الآية الكريمة التي ورد فيها السماح للزوج بضرب زوجته ؟ فهذه الآية حالة استثنائية ، وهي حالة النشوز ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ ﴾[5].

---

[1] سنن بن ماجه ، كتاب النكاح ، باب :ضرب النساء ، حديث رقم 1985، ج 1 ص 638. وأبي داود كتاب النكاح باب : في ضرب النساء ، حديث رقم 2146، ج 2 ص 245.

[2] أبي داود كتاب النكاح باب : في ضرب النساء ، حديث رقم 2146، ج 2 ص 245.سنن بن ماجه ، كتاب النكاح ، باب :ضرب النساء ، حديث رقم 1985، ج 1 ص 638 ،صحيح الجامع الصغير ، للألباني ، حرف الألآم ، حديث رقم 51 37 ، ج 2 ص 913.

[3] سنن بن ماجه ، كتاب النكاح ، باب :ضرب النساء ، حديث رقم 1983، ج 1 ص 638.

[4] صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب: ما يكره من ضرب النساء ، حديث رقم 5204 ج7ص32.

[5] **النساء** : 34.

المسألة الأولى: النشوز بين الزوجين يعتبر النشوز من السلوكيات السلبية للتعامل بين الزوجين.

النشوز لغة: النشز :المكان المرتفع ،الجمع نشوز وأنشاز ونشاز، وقلبٌ ناشز: إرتفع عن مكانه رعباً، والمرأة تَنشُزُ وتَنشِزُ نُشوزاً: استعصت على زوجها، وأبغضته[1] .

اصطلاحاً:

النُّشوز : كراهية كل واحد من الزوجين صاحبه ، يُقال: نشزت المرأةُ تَنشِزُ ، فهي ناشِز[2].

امرأة ناشز: وهي التي تتعالى على زوجها وتمتنع عن طاعته بالمعروف.

ونشوز الزوجة : يعني امتناعها عن طاعة زوجها إذا دعاها إلى فراشه، وتكون ناشز إذا خرجت من بيت زوجها دون إذنه ، أو بدون رضاه، أو التي لم تمكنه من نفسها بلا عذر أو التي إدعت الطلاق [3].

والنشوز هو إما نشوز المرأة على الرجل ، وإما نشوز الرجل على المرأة ؛ ويسمى النشوز شقاقاً ؛ لأن الانسان إذا أبغض شخصاً يعطيه شقه[4].

والنشوز: كراهة كل واحد منهما صاحبه وسوء عشرته له[5].و نشزت المرأة استصعبت على بعلها ، ونشز بعلها عليها إذا ضربها وجفاها[6].

أولاً: نشوز الزوجة:

فالمرأة الناشز هي المرتفعة على زوجها ، المعرضة عنه ، المبغضة له ،التي لا تتواضع له ولا تمكنه من نفسها فإن المنهج الاسلامي لا ينتظر حتى يقع النشوز بالفعل ، وتعلق راية العصيان ، وتسقط مهابة القوامة، وتنقسم الأسرة الى فريقين، فعندما يصل الأمر الى هذا الوضع ؛ فلابد من معالجة النشوز قبل استفحاله ؛ لأنه لا

---

[1] مجد الدين الفيروز آبادي، القاموس المحيط ، باب: الزاي ، فصل النون ، ج 1ص 527.

[2] شرح السنة ، للبغوي ، كتاب النكاح ، باب: هجران المرأة وضربها عند النشوز ،ج9ص183.

[3] **المجموع ،للنووي** ، ج18 ص125.

[4] منصور بن يوسف بن صلاح الدين بن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي ، كشاف القناع ،الناشر : دار الكتب العلمية ، ط : الأولى / 1414 هـ -1994م ،ج5 ص209.

[5] **أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري**، النهاية في غريب الحديث والأثر، باب: (النون مع الشين) ،**الناشر** : **المكتبة** العلمية - بيروت 139هـ - 1979م تحقيق : طاهر أحمد الزاوى - **محمود محمد الطناجي**،ج5 ص56

[6]تفسير القرطبي ، ج5 ص 171.

يستقر معه سكن ولا طمأنينة [1].إن القرآن بعلاجه لنشوز الزوجة المتدرج المترابط ، يضع أول لبنة من لبنات التحليل النفسي فهو الوعظ ، فإذا ظهرت من المرأة أمارات النشوز وعظها[2]، لقوله تعالى: يم يي [3].

ثانياً : نشوز الزوج:

يقصد بنشوز الزوج إعراضه عن زوجته لمرض بها أو لكبر سن ،أو غير ذلك من الأسباب[4] فإن كان النشوز من قبل الزوج ؛ فإن القرآن أرشد الزوجات إلى أساليب لعلاج نشوز الزوج فقد قال تعالى: ٱ لخ لم لى لي ىن [5]

فالزوجة التي تلاحظ إعراض زوجها عنها، أو تخاف نشوزه ؛عليها أن تعمل على استرضائه واستمالته إليها من خلال الوسائل المشروعة التي لا تمس ديناً ولا خُلُقاً ، وذلك من خلال الكلام الطيب والمعاملة الحسنة وإرضاء مطالبه المشروعة [6].

المسألة الثانية : منهج الاسلام في معالجة النشوز :-

فالقرآن بعلاجه للنشوز المتدرج المترابط، يضع أول لبنة من لبنات التحليل النفسي؛ يقول تعالى: يي بر [7] ، في هذه الآية الكريمة دلالة اختلاف حال المرأة الناشز فيما تعاقب فيه وتعاقب عليه، لأن العقوبات تختلف باختلاف الجرائم ،وهذا ما يستحق بالنشوز، لا بخوف النشوز ، فكذلك ما يستحق بتكرار النشوز؛ لا بنشوز مرة ، فمتى ظهر من المرأة أمارات النشوز فليعظها وليذكرها بعقاب الله، فإن أوجب حق الزوج عليها طاعته بالمعروف [8].فإذا باتت الزوجة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة كما جاء في حديث النبي : "**إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع**"[9] .

---

[1] أحمد فايز ، دستور الأسرة في ظلال القرآن، مؤسسة الرسالة ،(د.ت) ص157.

[2] أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ، المهذب في فقه الإمام الشافعي، الناشر: دار الكتب العلمية،ج2 ص486.

[3] النساء : 34.

[4] الكافي لابن قدامة ،ج2 ص 486.

[5] النساء : 128.

[6] نبيل السمالوطي، بناء المجتمع الإسلامي ونظمه، ص99.

[7] النساء : 34.

[8] تفسير ابن كثير ،ج1 ص654.

[9] صحيح البخاري، كتاب النكاح ،باب: إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها، حديث رقم 5194 ج7 ص30.

هناك آداب معالجة تدريجية لنشوز الزوجة : وهي أن تكون بين الزوجين، ولا ينبغي أن يكون أمام أحد ؛ سواء كان من الأقارب أو الغرباء، وأن لا يكون أمام الأبناء؛ لأن ذلك سيكون له أثر غير محمود لديهم، وله مردود نفسي سلبي في نظرتهم تجاه والديهم، وقد يدفعها إلى البقاء على نشوزها [1].

وعلينا أن نتساءل لماذا يكون هناك نشوزاً من المرأة ؟!

لا يكون هنالك نشوزاً من المرأة عن زوجها؛ إلا أن تكون لديها أسباب قاهرة جعلتها غير طائعة لرغبات زوجها؛ ولكنها تشعر بالحرج من ذكرها، كبغضها له أو كانت غير راغبة في الزواج منه ، ولكنه فُرض عليها ،أو لعدم استلطافها له، أو لا يهتم بنظافته الشخصية، أو يطلب منها أشياء وهي غير راضية عنها .فهذا على سبيل المثال ليس الحصر، فهناك كثير من الأسباب المنطقية التي تكون سبباً لنفور الزوجة عن زوجها، فهي في نظر الشرع و القانون ناشز دون الرجوع لحقيقة الأمر التي جعلها ناشز.

أما وسيلة الضرب التي تعتبر آخر وسيلة يلجأ لها الزوج ؛ فهذه الوسيلة قد تجعلها أكثر عناداً من ذي قبل؛ ففي هذه الحالة الطلاق أهون من حياة زوجية لم تحقق الهدف المنشود منها؛ وهي إقامة المودة والرحمة بينهما، فما فائدة الضرب مادام هي كارهة له ؟! فهذه الوسيلة لم يفعلها رسولنا الكريم وهو قدوتنا ، فنهى الأزواج عن ضرب الزوجات فقال :"**لا تضربوا إماء الله**"[2] والذين يضربون زوجاتهم ليس من خيار القوم ، فالتحمل والصبر على سوء أخلاقها وترك الضرب أفضل وأجمل، بمعنى: إن الأكمل في حق الرجل أن تكون معاشرته على أحسن الوجوه، وأن يكون لطيف المعاشرة، وحُسن الخُلق، أما الرجل الذي يضرب المرأة ويتأذى من يعاشره فإن ذلك ليس بالكمال .

المطلب الثالث: عدم ظلم المرأة

[1] المهذب في فقه الإمام الشافعي، مرجع سابق ، ج2 ص488.
[2] سبق تخريجه ، ص 71.

إن الدين الإسلامي رفع النساء إلى درجة سامية، لم تصل إليها أمة قبل الإسلام أو بعده؛ وقد كان النساء في أوربا يعانين من جاهلية فكرية واجتماعية ، ففي بعض الدول الأوروبية تحصل المرأة على نصف أجر الرجل على الرغم من قيامها بنفس العمل المهني الذي يقوم به الرجل، كذلك فإن قوانين بعض هذه الدول تمنع المرأة من حق التصرف في مالها دون إذن زوجها، أما الإسلام فقد أعطى المرأة استقلالها الاقتصادي ومنع الرجل من أن يأكل من مال المرأة، فضلاً عن تملكه أو التصرف فيه، أو فرض الوصاية عليها. ولا يحق للرجل أخذ شيء من مال زوجته إلا إذا كان عن طيب نفس[1]؛ كما جاء في قوله تعالى: ﴿ ﴾[2]

فالعادات والتقاليد هي أصل الظلم الواقع على النساء، وتستخدم تلك العادات والتقاليد كمبرر لإرتكاب كثير من الممارسات ضدهن وحرمانهن من حقوقهن التي أقرتها الشرائع السماوية والمواثيق الدولية، وتتعرض العديد من النساء لإساءة المعاملة وإيذائهن وعدم إكرامهن، و ما نراه في المجتمعات الإسلامية اليوم، من مخالفات لهذه القواعد والأسس الواضحة، فما هو إلا تجاوز عن أحكام الشرع وصراطه المستقيم، وإن ما تعاني منه الأسر الكثيرة من المعضلات العائلية، ليس إلا نتاجاً سلبياً، لهذا الانحراف والبعد عن الظلال الظليلة الّتي يوقّرها شرع الله تعالى ودينه القويم، فالأسرة السوية هي أساس الحياة الاجتماعية السوية، وهي أساس المجتمع المتكامل، ولا يخفى أن المجتمع ليس إلا مجموعة من الأسر المتفاعلة فإذا صلحت الأسرة صلح المجتمع، ولعل المشكلة الكبرى في المجتمعات المتقدمة صناعيا وتكنولوجياً تتمثل في تفكك الأسر وتسيب العلاقات داخلها، وهذا هو ما دعا إليه العلماء والمصلحين إلى التركيز على ضرورة الحرص على بناء الأسرة على دعائم قوية، وتتضح هذه الدعائم بشكل واضح ومعجز في التنظيم الإسلامي للأسرة [3]. ومن صور الظلم أيضاً عدم العدل بين الزوجات حال التعدد لقوله سبحانه: ﴿ ﴾[4]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه

---

[1] نبيل السمالوطي ، **بناء المجتمع الإسلامي، الناشر**: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة ،**ط** : **الثالثة** / 1418هـ-1998م ص83.

[2] **النساء**: 4.

[3] **المرجع السابق** ، ص77.

[4] **النساء** : 129 .

قال: قال رسول الله : "**من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة شقيه مائلٌ**" [1]. فإن الله جل وعلا لمّا أباح التعدد شرطه بالقيام بالواجب، وأن يأمن عدم الظلم، والقدرة على العدل، قال تعالى: ﴿ [2] وإن كان ظلم الرجل للمرأة محرماً؛ فهناك أيضاً ظلم محرم قد يقع من المرأة على زوجها فتظلم زوجها بأنواع من الظلم، إنها المرأة المقصرة في حق زوجها التي لا تبالي ولا تحقق الرعاية المطلوبة منها، فإنها راعية ومسؤولة عن رعيتها، فزوجها وأولادها وبيتها أمانة في عنقها، فالزوجة سيئة الخُلُق تحمله على القطيعة وعلى عقوق الوالدين وقطيعة الرحم، أما المرأة الصالحة تصبر على زوجها وترعى أموره الخاصة ولا تكلفه ما لا يُطيق، ولا تحمله من النفقة ما يعجز عنه بل تراعي كل ظروفه وتعيش معه بأمانة وصدق وإخلاص، الزوجة الصالحة تحمل زوجها على صلة الرحم، وعلى البر بالأم والأب، وعلى الإحسان إلى الجيران، وعلى التعامل الحسُن .

وردت آيات تنص على النهي عن ظلم المرأة وهضم حقوقها، منها: قول الحق تبارك تعالى: ﴿ [3] ﴾. ويقول سبحانه: ﴿ [4]. ويقول سبحانه:

﴿ [5].

قال ابن كثير :(أَي: لا تقهروهنَّ في العشرة لتترك لك ما أَصدقتها أَو بعضه أَو حقا من حقوقها عليك، أَو شيئًا من ذلك على وجه القهر لها والاضطهاد؛ وذلك أَنَّ الرجل كان يرِث امرأَة ذي قرابته، فيعضِلُها حتى تموت أَو ترد إِليه صداقها، فأَحكم اللَّهُ عن ذلك، أَي نهى عن ذلك)[6] .

وأما ما يتعلق بالوعيد بالعقاب على ظلم المرأة، فمنها: قوله تعالى: ﴿ [7] إلى قوله تعالى: [8]، وقوله

---

[1] سنن أبي داود ، كتاب النكاح ، باب: القسم بين النساء ، حديث رقم 2133 ، ج2 ص242.
[2] **النساء** : 3 .
[3] **النساء** : 20 .
[4] **النساء** : 21.
[5] **النساء** : 19 .
[6] القرآن العظيم ، ج2 ص 241.
[7] **البقرة** :229.
[8] **البقرة** : 229.

وقوله جلا وعلا :ُّ ◻ ◻ ◻ [1]. وفي كل تلك النصوص وعيد وتحذير وتخويف وعظة لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، كما قال تعالى: ُّ ◻ [2].

فكل هذه الآيات دالة على صيغة النهي عن ظلم واضطهاد النساء، وسلب حقوقهن بالإكراه ، والله جل وعلا أعز المرأة المسلمة، ورفع قدرها، واستنقذها مما كانت تُعامل به في الجاهلية من هضم لحقوقها، وإذلالها وامتهان لكرامتها، فجاء الشرع بالنهي عن ظلمها بكل أنواع الظلم، فمن صور ظلم المرأة سوء العشرة وقسوة المعاملة وهذا كله من الخطأ، ونبينا يقول: "**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**"[3] ، فمن عباد الله من يجعل السب واللعن للمرأة والإذلال لها لأجل كونه قيّماً عليها، وهذا أمر يخالف شرع الله ، فالعدل والإحسان وحسن القول مطلوب من المسلم، يقول تعالى: ◻ [4].

المطلب الرابع: طاعة الزوج بالمعروف

أمر النبي المرأة بطاعة زوجها، في غير معصية لله ، وذلك حتى تقوم العلاقة الأسرية على أساس متين من النظام والانضباط يحترم كل طرف فيه التزاماته التي يقتضيها هذا العقد [5]. وأن تمتنع عما يضايقه وأن تحفظ سره ونجواهُ، و تصبر عليه من أجل مصلحة الأسرة [6]. عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلتُ يا رسولَ اللهِ :أيُّ :أيُّ الناسِ أعظمُ حقّاً على المرأة ؟ قال :" **زوجها**" قلتُ فأي الناسِ أعظمُ حقّاً على الرجل؟ قال: "**أمه**"[7].

---

[1] البقرة : 231.
[2] البقرة : 232.
[3] سبق تخريجه ، ص45.
[4] الإسراء : 53.
[5] الأسرة : ص 16 .
[6] فقه السنة ، ج2 ص 119 .
[7] أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع ، المستدرك على الصحيحين ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ،ط: الأولى، 1411 هـ –1990م، رقم الحديث 7244، ج4 ص 167.

ويؤكد النبي عليه الصلاة والسلام هذا الحق فيقول :" **لو كنت آمر أحداً أن يسجد لأحدٍ ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها كما عظم الله من حقه عليها**" [1]. ويشير رسولنا الكريم ويؤكد على حق الزوج عند المرأة وحفظها لنفسها وماله ؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله : أي النساء خير؟ قال :" **التي تسره إذا نظر ، وتطيعه إذا أمر ولا تخالفه فيما يكره في نفسها وماله**" [2]. فطاعة الزوجة لزوجها له سحر عظيم في نفس الزوج ومحبته لها، وبه تنال الأجر والثواب من الله تعالى ، وتكون بذلك زوجة صالحة، وقد وصف الله سبحانه وتعالى الزوجات الصالحات فقال : **ﭽ** [3] يقول بن كثير :(والقانتات هن الطائعات ، والحافظات للغيب : أي اللاتي يحفظن غيبة أزواجهن، فلا تخنه في نفس أو مال)[4] وهذا أسمى ما تكون عليه المرأة ، وبه تدوم الحياة الزوجية ويهنأ بها الزوجين ، ومحافظة الزوجة على هذا الخُلُق العظيم وتلك القيم النبيلة يعتبر جهاداً في سبيل الله ،روى ابن عباس رضي الله عنهما : أن أسماء بنت يزيد الأنصارية جاءت إلى النبي فقالت : يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك ؛ هذا الجهاد كتبه الله على الرجال ، فإن يصيبوا أُجروا وإن قُتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون ، ونحن معشر النساء نقوم عليهم ، فما لنا من ذلك ؟ فقال الرسول : "**أبلغي من لقيت من النساء ،إنَّ طاعة الزوج واعترافاً بحقه يعدلُ ذلك ، وقليلٌ منكن تفعلُهُ**" [5].

ومن أعظم حقوق الزوج طاعته إذا دعاها إلى فراشه وجب عليها طاعته وأكد رسول الله في حديثه على ذلك، عن أبي هريرة عن النبي قال : "**إذا دعا الرجل**

---

[1] سنن ابن ماجه ، كتاب النكاح ، باب: ما جاء في حق الزوج على المرأة ، ج1ص595 ح1852،**سنن الترمذي** ، كتاب الرضاع ، باب : ما جاء في حق الزوج على المرأة حديث رقم 1159 ج 2 ص 456.

[2] سنن النسائي ،كتاب النكاح ، باب: أي النساء خير؟ حديث رقم 3231ج6 ص68.

[3] **النساء** : 34 .

[4] القرآن العظيم ، ج1 ص 653.

[5] نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي ، باب : ثواب من أطاعت زوجها ،تحقيق: حبيب الرحمن **الأعظمي**، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت،**ط: الأولى**/ 1399 هـ - 1979م،حديث رقم 1474 ج2 ص 181.

امرأته إلى فراشه فأبت عليه لعنتها الملائكة حتى تصبح" [1]. فالمرأة إذا اتقت ربها في زوجها، كانت تقواها لله فيه سبباً لدخولها الجنة ، وعلى العكس من ذلك إذا لم تتقي الله فيه ولم تؤدي حقه ؛ كان ذلك سبباً لدخولها النار، والدليل على ذلك حديث النبي فعن الحصين بن محصن أن عمة له أتت الرسول في حاجة ، ففرغت من حاجتها، فقال لها النبي : "**أذاتُ زوجٍ أنتِ ؟**" قالت : نعم قال : " **فأين أنت له ؟**" قالت : ما آلُوهُ إلا ما عجزتُ عنه قال : " **فانظري أين أنت منه ، فإنما هو جنتك ونارك** " [2].

المطلب الخامس: إطعامها بيده:

لقد حرص الإسلام أن يجعل كل شأن من شؤون الحياة الزوجية طقساً من المحبة، وأن يعطي كل ذي حقٍ حقه، وأَنَّ رجُلًا سأَل رسُول الله ما حقُّ المرأَة على الزَّوج؟ قال : " **أَن يُطعمها إِذا طعم ويكسوها إِذا اكتسى ولا يهجُر إِلَّا في البيت، ولا يضرب الوجه ولا يُقَبِّح** " [3] ويقول النبي : " **... وإنك مهما أنفقت من نفقة ، فإنها صدقة ، حتى اللقمة التي ترفعها إلى فيّ امرأتك**" [4]، حديث عظيم ولاشك إذا كان الله عز وجل تكفل لصاحب هذا الصنيع بالأجر والثواب في الآخرة، فإن فوائده في الدنيا لا تخفى، حديث فيه الخير للأسرة وتماسكها، وتوادها و تراحمها، فإذا تأملنا هذا الحديث نجد أن المقصد الذي أشار إليه النبي ليس في اللقمة ؛ بل في طريقة تقديمها، فاجتماع زوجين على مائدة طعام ليس مجرد تناول الطعام لسد الجوع فحسب ؛ بل هذا التصرف اللطيف يميزنا ويحولنا من كائنات مُقتاتة إلى كائنات محبة،

---

[1] صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب: إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء أمين ... حديث رقم 3237، ج4 ص 116.

[2] **محمد ناصر** الدين **الألباني**، صحيح الترغيب والترهيب، كتاب اللباس والزينة، باب: التغيب في غض البصر و الترهيب من اطلاقه، **الناشر: مكتبة المعارف** – الرياض، ط : الخامسة ،حديث رقم1933، ج 2 ص 196، **وأبو** عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير، حديث رقم 1509، ج1 ص316.

[3] أبو بكر البيهقي ،**السنن الكبرى ، كتاب القسم والنشوز باب حق المرأة على الرجل** ج 7 ص 482.

[4] سنن الترمذي ، كتاب الوصايا ، باب : ما جاء في الوصية بالثلث ، حديث رقم 2116 ج3 ص 501.

وتحول الطعام من غذاء للجسد إلى غذاء للروح والقلب، كذلك الثناء والمدح من قبل الزوج تجاه زوجته على بذل مجهودها لإعداد الطعام، فهذه المواقف تجعل الحياة رغم تكبدها ؛ جنة . فأكثر ما يعاني منه كثير من الأزواج فقر في الأحاسيس وقلة الإهتمام بين الطرفين، فمنهم من يجف إحساسه من قلة الإهتمام كما يجف الزرع من قلة الماء! فهذا ما نسميه بالجفاف العاطفي .

ففي ذلك الحديث يدعونا رسولنا الكريم للتوادد واتصال المشاعر بين الزوجين ، وأن يبقى حبل الود متصلاً بينهما حتى في تناولهما للطعام [1].

فالزوج هو المكلف على الانفاق تجاه أسرته ، فليس له العذر عن تخليه لهذه المسؤولية التي كلفه بها الشرع ، وهذا مما أكد إليه الرسول الكريم" **الرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته**" [2]. فكلمة (راعٍ) هذه تحمل في مقتضاها معاني كثيرة ، فلابد من النظر والتأمل في معانيها وما تحمله من قيم ومبادئ حثنا عليها نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام ، ولو شعر كل زوج بمسؤوليته تجاه أسرته لعاش المجتمع في خير ، ووجد كل طفل حقه في الحياة وعاش حياة طيبة ، والمرأة أيضاً شريكة لزوجها ومهمتها أكبر في الرعاية والتربية والاهتمام والشعور بالمسؤولية تجاه أسرتها وبيتها ، فهذا الذي اشار إليه رسولنا الكريم:" **والمرأة في بيت زوجها راعيةً وهي مسؤولة عن رعيتها**" فهي مسؤولة عن تربية الأولاد ، وعن تدبير المنزل ، يقول الرسول : " **حُسن التدبير نصف المعيشة**"[3] فالزوجة إن كانت صالحة قدرت مسؤوليتها، وصلُح أولادها لصلاحها ؛لأن الأم لها تأثير مباشر نحو أولادها ، والتطبع بأخلاقها ، فيتصفون بصفاتها إيجاباً أو سلباً ؛ وذلك لأنها الأقرب لهم من حيث تواجدهم معها منذ الصغر، ووجودها معهم لفترة زمنية أطول خلال اليوم أكثر من الأب بسبب غيابه عن البيت أثناء فترة العمل ، لذلك عُني الإسلام بحُسن اختيار الزوجة وشدّد عليه

---

[1] نبيل السمالوطي ، **بناء المجتمع الإسلامي، مرجع**سابق ، ص 84-85.

[2] صحيح البخاري ، كتاب العتق ، باب : العبد راع في مال سيده ،حديث رقم 2558، ج3 ص 150.

[3] **سنن الترمذي ، كتاب الحج ، باب : ما جاء في كسر الكعبة** ،ج3 ص 224.

وذلك للمصلحة العامة، فقال عليه الصلاة والسلام:" **الدنيا متاع ، وخيرُ متاعها المرأة الصالحة**" [1].

إما إذا كانت الزوجة من اللاتي يقومن بعملٍ وظيفي أو غيره ؛ فعليها أن تؤدي واجبها نحو أسرتها على الوجه الذي يرضاه الله ، فيثمر الثمار الطيبة ، ولها الأجر العظيم على ذلك ، فهي تعمل داخل البيت من أجل راحة أسرتها، وتعمل خارج البيت من أجل زيادة دخل الأسرة وخدمة المجتمع، وهي بذلك تعين زوجها على نفقات البيت ، فعلى الزوج أن يقدر ذلك ويشاركها في مسؤولية إدارة شؤون البيت ورعاية الأبناء؛ فلا يكلفها فوق طاقتها، يقول الله تعالى : ﴿ ﴾ [2] .

[1] سبق تخريجه ، 47.
[2] الطلاق : 7 .

المبحث الأول: ضوابط الاختيار على الدين والخلق

لقد وضع الإسلام للحياة الزوجية مقوّمات تضمن لكلا الزوجين ، ديمومة الاستقرار والعشرة بالمعروف على الوجه الأمثل تحقيقاً للمقاصد التي شرع الزواج من أجلها ، والتي بوجودها ينعم الفرد والمجتمع بالحياة المستقرة، ولكي يصل الإنسان إلى تحقيق الغاية من الزواج ويسعد بحياته الزوجية، ما دام كل من الزوج والزوجة متمسك بهذه المقوّمات قبل وبعد الزواج . كما يكون لها أثرها أيضاً في الآخرة ؛ و كل ما يفعله المسلم ابتغاء وجه الله ، له الجزاء الأوفى في الآخرة ، فلذا كان لزاماً علينا معرفة المقوّمات الأساسية لاستقامة الحياة الزوجية ، وما هي المرتكزات الأساسية التي يُبنى عليها هذا الزواج ؟ وعلى ضوئها يكون التعامل بين الزوجين، ليتثنى لهما تحقيق الهدف المنشود وهو العيش في سعادة ومودة ورحمة .

المطلب الأول : تعريف مفهوم الدين والخُلُق لغة واصطلاحاً

الدِّينُ لغة : العادة والشأن ، تقول العرب ما زال ذلك ديني وديدني أي ؛ عادتي، والجمع أديان [1] .

الدِّينُ في الاصطلاح العام :1/ ما يعتنقه الإنسان و يعتقده ، ويدين به من أمور الغيب والشهادة [2] .

---

1 **لسان العرب ،باب النون** ، فصل الدال المهملة ، ج13 ص169 .

2 **علوي بن عبدالقادر السقاف**، موسوعة الملل والأديان ، الناشر : الدرر السنية ، 1433 هـ ،ج1ص5 .

و**في الاصطلاح الإسلامي** : التسليم لله تعالى و الإنقياد له ، والدين هو : ملة الإسلام وعقيدة التوحيد ، التي هي دين جميع المرسلين ، جاء في القرآن : **ألا**

بر ◘[1] **و يوم الدَّينُ** : هو يوم الحساب للخلائق، ويقول تعالى :

ألا ◘**نى** [2]، وهو يوم القيامة ، يدينهم بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، إلا من عفا عنه [3] .

المسألة الأولى : تعريف مفهوم الدين :

الدين هو المنهج أو النظام الذي يحكم حركة الكون والإنسان والحياة، ويحكم العلاقات والارتباطات بين كلياتها وجزئياتها في تكامل وإتساق، يقول عز وجل: ألا **نى**[4] أن "الدين" هو منهج الحياة، ونظام لتوجيه النشاط الإنساني في الحياة الدنيا، ولمجازاة الإنسان على عمله في الحياة الآخرة، وأن كل "دين" هو "منهج حياة"، وكل "منهج للحياة" هو "دين". وعليه؛ فدين الجماعة من البشر هو المنهج أو النظام الذي يصرف حياة هذه الجماعة، فإن كان "الدين" أو "المنهج" الذي يصرف حياة الجماعة عبارة عن فلسفة من صنع البشر أو تصور من صنع القبيلة أو الحاكم، فهذه الجماعة تتبع غير دين الله [5].

الخُلُق لغة: بضم اللام وسكونها، وهو السجية والطبع ، والخليقة وهي الطبيعة والفطرة سواء كانت خيراً أوشراً، ويقال: فلانٌ يتخلّقُ بغير خُلُقِه، أي: يتكلّفُهُ والجمع أخلاق [6] .

اصطلاحاً : فهو الصورة الباطنة للإنسان، والتي يمكن أن تظهر للآخرين بأشكال مختلفة على جوارحه الظاهرة . وعرفه ابن المبارك فقال : هو طلاقة الوجه ، وبذل المعروف ، وكفَّ الأذى ، وقيل: هو صلاح القلب وصلاح الجوارح [1].

---

[1] **آل عمران** : 19.
[2] **الفاتحة** : 4 .
[3] تفسير ابن كثير ، مرجع سابق ، ج1 ص 47.
[4] **المائدة** : 48 .
[5] علي أحمد مدكور ، مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، دار الفكر العربي ، 1421هـ -2001م ص23
5 زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي ، مختار الصحاح ،مادة (خ ل ق) المكتبة العصرية – **الدار** النموزجية بيروت- صيدا، ط : الخامسة : 1420 هـ -1999م جج1 ص 95.

المسألة الثانية : مفهوم الأخلاق :

الأخلاق : عبارة عن المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني ، والتي يحددها الوحي لتنظيم حياة الناس على نحو يحقق الغاية من وجوده في الحياة على الوجه الأكمل والأتم ، ويتميز هذا النظام الإسلامي في الأخلاق بطابعين :

الأول : فطري ؛ بمعنى أنه مراد الله سبحانه وتعالى .

الثاني : مكتسب ؛ أنه ذو طابع إنساني ، أي للإنسان مجهود ودخل في تحديد هذا النظام من الناحية العملية ، وهو طراز السلوك ، وطريقة التعامل مع الله ، ومع النفس ، ومع الزوج والزوجة ، ومع المجتمع ، وهو نظام يتكامل فيه الجانب النظري مع الجانب العملي منه [2] .

الخُلُق نوعان :

النوع الأول : خُلق حسن : وهو الأدب والفضيلة ، وتنتج عنه أقوال وأفعال يقبلها العقل والشرع .

الثاني : خُلق سيء : وهو سوء الأدب والفُحش ، وتنتج عنه أقوال وأفعال مستقبحة عقلاً وشرعاً [3] .

المطلب الثاني: حُسن الاختيار

حُسن الاختيار بين الطرفين أساس للحياة الزوجية ، وعليه يكون الوفاق والوئام والتكامُل والانسجام ؛ إلاَّ أنَّ التقصير في هذا الجانب ومخالفة منهج الإسلام فيه ؛ يجعله سبباً للمعضِلات، فمن ذلك إجبار المرأة على رجلٍ لا تريده بسبب أعراف بالية

---

[1] أنور بن أهل الله بن أنوار الله ، مكارم الأخلاق لمن أراد الاخلاق ، ص 6.
[2] محمد عبد القادر حاتم ، الأخلاق في الإسلام ، وزارة الأوقاف السعودية ،(دت) ص 1.
[3] المرجع نفسه ، ص3.

لتزويجها على قريبها الذي لا ترغبه ، أو طمعاً من وليِّها في جاه الخاطب أو مالِه، وهذا حرام وظلم، فالنبيّ يقول: «**لا تُنكَح الأيِّم حتى تُستأمَر، ولا تنكَح البكر حتى تستأذَن**»[1] إلاَّ أنّ الفتاة يجب أن تتفهّم مشورة وليِّها، وأن تكون المصلحة مناط الاختيار[2] .

كمال الشريعة الإسلامية تتمثل في الأخلاق والنبي أخبر أن من مقاصد بعثته إتمام محاسن الأخلاق، فقال: " **بُعثتُ لأُتّمم حُسن الأخلاق**" [3]. فالشرائع السابقة التي شرعها الله للعباد ، كلها تحث على الأخلاق الفاضلة، ومحاسن الخصال ، ولقد مدح الله جلا وعلا النبي الكريم في قوله تعالى: "ٌآ ىنى[4] ، وتكمن أهمية اختيار الزوجين أحدهما للآخر ؛ في أن يكون بناء الأسرة قائماً على التجانس والقدرة على التكامل المشترك بين الطرفين ، الذينِ تتكون منهما رابطة العلاقة الزوجية ، كما تقوم على التعاون والتسامح والاحترام الكامل بين الطرفين ، فحُسن الاختيار بين الطرفين أساس للوفاق والتكامل بينهما. فالاختيار الصحيح هو لبنة من مراحل السير في البناء السليم للحياة الزوجية والأسرية، وهو أحد الأركان للقواعد التي يمكننا الاعتماد عليها في بدء بناء الحياة الزوجية السليمة [5] .

إن الاختيار الناجح سبب في العشرة الصالحة، فمتى كان الاختيار سليماً؛ أُقيم البيت على أساس متين وطيد، وهذا بعكس إن كان الاختيار سيئاً [6].

جعل الاسلام الحق في الاختيار للطرفين، كما أنه تشريف وتكريم للمرأة وإشعارها باهلتيها وأهميتها، وحقها في اختيار ما يناسبها في أخص الأمور المتعلقة بحياتها ومستقبلها ؛ لأن في الزواج ربط بين أسرتين برباط الألفة والمودة ، ولكي يستمر هذا الرباط ويبقى مستقراً ؛ لابد من الاختيار السليم . فذكر القرآن الكريم أسس للاختيار،

---

[1] صحيح البخاري ، كتاب الحيل ، باب: في النكاح ، حديث رقم 6970 ، ج3 ص 351.
[2] أمة الله بنت عبد الله ، رفقاً بالقوارير ، مكتبة المسجد النبوي ، ص 11.
[3] أبو عبد الله مالك بن أنس بن عامر الأصبحي ، الموطأ ، كتاب حُسن الخُلق، باب: ماجاء في حُسن الخُلق ، حديث رقم (1627/8) ص 532.
[4] القلم : 4.
[5] مصطفى المسلماني ، الزواج والأسرة ، المكتب الجامعي الحديث – الإسكندرية (د. ت) ص54.
[6] محمد عقلة ، نظام الأسرة في الإسلام ،مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان – الأردن ،ط : الأولى / 1983م ج 1 ص 120.

تقوم على اختيار الطيب من النساء والرجال، والحث على اختيار الزوجة المؤمنة الصالحة ، و أيضاً الحث على اختيار الزوج المؤمن الصالح ، وذكر الصفات التي ينبغي للرجل والمرأة مراعاتها عند الاختيار [1] .

المطلب الثالث : الأدلة الشرعية من الكتاب والسّنة على مشروعية الاختيار

المسألة الأولى: من الكتاب : يقول الله عز و جل: [2] .

قال القرطبي : في معنى هذه الآية "وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ". وجهُ الدَّليل من الآية أَنَّ اللَّهَ سبحانه خاير بين نكاح الأمة المؤمنة و بين المشركة ، فلولا أن نكاح الأمة المشركة جائز؛ لما خاير الله تعالى بينهما ؛لأن المخايرة إنما هي بين الجائزين؛ لا بين جائز وممتنع، ولا بين متضادين ، والجواب أن المخايرة بين الضدين تجوز لغةً وقرآناً، ففي هذه الآية إخبار بأن المؤمنة المملوكة خيرٌ **من المشركة؛ وإن كانت ذات الحسب والمال (ولو أعجبتكم) في الحُسن** وغير **ذلك** [3] فالله سبحانه وتعالى أمر باختيار الطيب من النساء والرجال، وفي هذه الآية الحث على اختيار الزوج المؤمن الصادق، أو الزوجة المؤمنة سليمة القلب صحيحة الاتجاه ، لا يختار المشركة فاسدة العقيدة ضالة المقصد و لو كانت تتفوق مالاً وجمالاً، يقول تعالى : [4] ، حدثنا ابن بشار ، قال: عن عبد الرحمن، قال : عن سفيان ، عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد، الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس، والطيبات من الكلام للطيبين من الناس [5] .

المسألة الثانية : من أدلة السنة النبوية : إذ وجه النبي المرأة و أوليائها الى أن يجتهدوا في اختيار الزوج ، قال عليه الصلاة والسلام :"**إذا جاءكم من ترضون**

---

[1] المرجع السابق ، ج1 ص121.
[2] البقرة 221
[3] تفسير القرطبي ، مرجع سابق ،ج3 ص69،70.
[4] النور : 26 .
[5] تفسير الطبري ، ج 19 ص 142 .

دينه وخلقه فانكحوه ، الاّ تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير" [1]. وقال أيضاً : " **تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس**" [2].

فوجه الرجل عند اختيار المرأة إلى ذات الخُلق الحميد والدّين القويم، وحذر من آثار الاختيار السيء ، وأرشد إلى ما ينبغي أن يكون محط أنظار الرجال في اختيارهم للزوجات ؛ هو الصلاح والدين، وإن كانت رغبات الناس تتفاوت ما بين المال والجمال والحسب، فقال :" **تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها، ولدينها، فظفر بذات الدين تربت يداك**" [3] . الحديث إخبار الى أن الذي يدعوا الرجل الى التزويج أحد هذه الأمور الأربعة، ، فأمرهم إنهم إذا وجدوا ذات الدين فلا يعدوا عنها، وإلا أصيب الرجل بالإفلاس والفقر فالمستحب ألا يتزوج إلا ذات الدين، وذات عقل راجح [4].

فإن ظاهر الحديث أجاز اختيار الزوجة للصفات الأربع الواردة فيه أو لبعضها، وعليه، فما يستخلص منه؛ أن الصفة التي تجب مراعاتها في الزوجة عند الاختيار هي الدين، وأنه بالإمكان بعد ذلك البحث عن بقية الصفات الورادة فيه، وهي الحسب، والمال، والجمال، كلها أو بعضها، والمتتبع لآراء الأئمة يجدهم أجمعوا على صفة الدين، واختلفوا في أولوية الصفات الأخرى بعده؛ لأن الدين صفة جامعة للاعتقاد، وطيب المعاشرة، والوفاء بالواجبات، وكل مكارم الأخلاق [5]. ثم نهى عن زواج المرأة لغير دينها، وحذر من عاقبة المال والجمال، فقال:" **لا تنكحوا النساء لحسنهن، فلعله يرديهن، ولا لمالهن فلعله يطغيهن، وانكحوهن للدين، ولأمة سوداء خرقاء ذات دين أفضل** "[6]. وقد اهتم الإسلام باختيار الزوجة الصالحة ، وذلك؛ لأن الزوجة سكّن

---

[1] سبق تخريجه : ص 31.
[2] سنن ابن ماجه ، كتاب النكاح ، باب: الأكفاء ، حديث رقم 1968، ج1ص633.
[3] سبق تخريجه ، ص32.
[4] وهبة مصطفى الزحيلى ، الفقه الإسلامي وأدلته ، دار الفكر – دمشق ،ط : الرابعة ،ج9 ص 6495.
[5] **الجوابي، المجتمع والأسرة في الإسلام ، ص 100 .**
[6] سنن ابن ماجه ، كتاب النكاح ، باب: تزويج ذات الدين ، حديث رقم 1859، ج1 ص597.

للزوج، وحرث له، وهى شريكة حياته، وربة بيته ، وأم أولاده ومأوى فؤاده ، وموضع سره ونجواه. وهى أهم ركن من أركان الأسرة إذ هي الراعية للأولاد ، وعنها يرثون كثير من المزايا والصفات ، وفي أحضانها تتكون عواطف الطفل وتتربى ملكاته ويتلقى لغته، ويكتسب منها كثيراً من تقاليده وعاداته ، ويعرف منها دينه ويتعود السلوك الاجتماعي ، من أجل هذا عنى الإسلام باختيار الزوجة الصالحة، ولكن كثيراً ما يتطلع الناس الى ذات المال الكثير أو الجمال الفاتن أو الجاه العريض، أو النسب العريق ،غير مبالين لكمال النفوس وحُسن التربية ، فتكون ثمرة الزواج مرة وتنتهي بنتائج وخيمة [1] .

المطلب الرابع: فضل وضوابط الاختيار على الدّين والخُلُق :

وضعت الشريعة الإسلامية أسس وضوابط ينبغي مراعاتها عند الاختيار وهى: الدّين والخُلُق.

حرص الإسلام على ديمومة الزواج بالاعتماد على حُسن الاختيار، وهو الأساس الذي يحقق الصفاء والوئام، والسعادة والاطمئنان للزوجين ، فالدين يقوى مع مضي العمر، والخُلق يستقيم بمرور الزمن وتجارب الحياة، أما الغايات الأُخرى التي يتأثر بها الناس من مال وجمال وحسب، فهي وقتية الأثر، ولا تحقق دوام الارتباط، وتكون غالباً مدعاة للتفاخر والتعالي، واجتذاب أو لفت أنظار الآخرين.

أولاً: الاختيار على الدين : وهو الأساس الأول الذي يجب البحث عنه عند إرادة الزواج وهو الفهم الحقيقي للإسلام ، والتطبيق العملي لكل فضائله السامية ، وآدابه الرفيعة ويقصد به الالتزام الكامل بمناهج الشريعة الإسلامية ومبادئها العامة الشاملة [2]. لأن العلاقة الزوجية لا تقتصر على إشباع الغريزة فحسب ؛ بل لها أهداف أسمى

---

[1] سيد سابق ، فقه السنة ، مرجع سابق ، ص 13.

[2] **عبد الله ناصح علوان** ، آداب الخطبة والزفاف وحقوق الزوجين، **دار السلام** ،ط: **السابعة** /1997م ص32.

وغايات أنبل، وهى المودة والسّكينة والرحمة والأمن والاستقرار والاستمرار لحفظ النوع الإنساني، و كل ذلك لا يتحقق إلا في رحاب النفوس المؤمنة بالله المطمئنة بوعده، ومن هذا المنطلق أولت الشريعة الإسلامية، عنصر الدين أهمية خاصة ، ونبهت أن يحرص الرجل أو المرأة كل الحرص عند الاختيار على وجوده في شريك حياته، ورفيق دربه[1]. ذلك لأن؛ الدين هداية للعقل والضمير، ثم تأتي بعد ذلك الصفات التي يرغب فيه الإنسان بطبعه وتميل إليها نفسه [2].

ثانياً: الاختيار على الخُلُق :

إن الخلق الطيب هو من أبرز معالم الدين، ولذا قرنه النبي به فقال: «من ترضون دينه وخلقه» وحصر النبي البر في حُسن الخُلق فقال: «**البرُّ حُسنُ الْخُلُقِ**» [3] ، ويتبين من ذلك؛ أن الخُلُق الحَسن من بدهيات الدين القويم وأساسياته، ولم يفرد الحديث عن الخُلُق الطيب مع دخوله في الدين دخولاً أولياً إلا؛ لأن النبي أفرده فقال: «من ترضوْن دينه وخُلُقُهُ» . وذلك احتياطاً منه للنساء من الأنذال من الرجال الذين جبلوا على سوء الخلق وسيء الطباع، فيؤذون المرأة في نفسها بالضرب وتقبيح وجهها وسبها ونحو ذلك مما يؤذي المرأة نفسياً وبدنياً، وأمر آخر في إفراد الخُلُق عن الدين ؛هو أن هنالك مفهوماً خاطئاً ، منتشراً يقضي بأن صاحب الدين هو صاحبُ الخُلُق دون سؤال عن خُلُقه، والحقيقة أنه لا تلازم بين الدين والخُلُق عند البعض من الناس ، فكان لزاماً على ولي المرأة أن يسأل عن توفر الشرطين وهما الدين والخُلُق، ولا يغني أحدهما عن الآخر خاصة في هذا الزمان الذي انتشر فيه الجهل بالدين وامتلأ بالمتناقضات [4].

---

[1] عبد الحكم عبداللطيف الصعيدي ، **الأسرة المسلمة أسس ومبادي**، الدار المصرية للكتاب، ط الثانية /1996م.

[2] فقه السنة ، ص 14.

3 صحيح مسلم ،كتاب البر والصلة والآداب، باب : تفسير البر والصلة والإثم ، حديث رقم 2553، ج4 ص 1980

[4] أمة الله بنت عبد المطلب ،رفقاً بالقوارير ، مرجع سابق ، ص 43.

المسألة الأولى: اختيار الزوجة

الزوجة ركن فعّال وأساسي في الأسرة؛ بسبب مهامها المتعددة، فهي طرف كبير في تحقيق طمأنينتها وتوفير الظروف الملائمة لكل أفرادها، وهي التي تربي الأولاد، وترعاهم، وتوجههم ؛ من أجل هذا فإن التأني في اختيارها أمر أساسي ينبني عليه ما بعده، ومن اللازم معرفة الصفات التي أمر الشرع بالبحث عنها في المرأة المراد الزواج منها، وبالنظر في الحديث التالي يمكن الوقوف على بعضها[1]. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي قال: "**تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**"[2].وقال أيضاً : «**تزوجوا الودود الولود**"[3].

فالوصية المبذولة لكل شاب أن يتزوج المرأة الودود الولود؛ لأن في ذلك تحقيقاً لرغبة النبي في مكاثرة الأمم بأمته.

ونجد من معايير اختيار الزوجة الذي يرغب فيه كثير من قبل الراغبين في الزواج، الجمال وحُسن المظهر وهو أمر فطر الله النفوس على الرغبة فيه، وجاءت أصول الشرع مؤيدة له ، ولم تشرع رؤية الرجل لمخطوبته إلا للتأكد منذ ذلك [4]؛ لكي يؤدم بينهما كما أشار إلى ذلك رسول الله "**فانظر إليها فإنَّه أَجدر أَن يُؤدم بينكما**"[5]

ولكن الأمر الذي ينبغي أن يُعلم ويتنبه إليه جيداً ؛هو أن الجمال أمر نسبي لا تترك النساء بسببه وقد تختلف فيه وجهات النظر كثيراً ، و تتفاوت نظرة الناس في معيارية الجمال، والإنسان بحاجة لإشباع حاجاته البيولوجية والنفسية والاجتماعية ، فالمرأة ذات الدين تشمل كل شيء وتعرف كيف تتعامل مع زوجها وتحترمه ، والرجل ذو الدين أيضاً يهتم بالمرأة ويقدرها ، فالعبرة بالدين والخُلُق، فعليهما يكون التعامل في الحياة الزوجية [6].

---

1 محمد طاهر الجوابي ، المجتمع والأسرة في الإسلام ، مرجع سابق، ص99.

[2] سبق تخريجه ، ص32.

[3]سبق تخريجه ، ص27.

[4] المرجع نفسه ،ص27.

أبو عبد الله أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي ، السنن الكبرى ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط [5]: الأولى /1421 هـ - 2000م حديث رقم 5328، ج5 ص162.

[6] محمد الجوابي، المجتمع والأسرة في الإسلام، ص 100.

فإذا كان اختيار الزوجة من أَهل بيت الدِّين والصّلاح؛ فإنها ستُربِّي بناتها وبنيها على الخُلُق؛ فإذا لم تَكن مُؤَدَّبة لم تحسن التأديب والتربية ، فإن تم اختيار المرأة ذات الخُلُق للارتباط بها إعتنت بتربية أولادها ، وبثت فيهم كل خلُق حميد ، وعودتهم محاسن العادات ، وجنبتهم سيء الأخلاق وقبيح العادات ، إذاً؛ فينبغي على الزوج اختيار الزوجة ذات الخُلق والدين التي تحسن معاملة زوجها، وتكون عوناً له على الدين [1] ، وذلك أصل في طلب الاستعانة على الدين، وأنها إذا كانت سليطة اللسان ، سيئة الخلُق ، كافرة للنعم؛ كان الضرر منها أكثر من النفع ، و شاغلة عن الدين ومشوشة له [2].

المرأة الصالحة جليس صالح للزوج ، تعينه على طاعة الله عز وجل ومرضاته ، وهي خير من تحسن تربية العيال ، وتنشئتهم التنشئة الصالحة فيكونوا قرة عين لوالديهم ، وصالحين للمجتمع ، وإذا أردنا أن ينشأ الأطفال نشأة إسلامية فعلينا أن نهيئ لهم البيئة الصالحة التي تظهر شعائر الدين فهي متمثلة في صلاح الوالدين [3] لذلك فقد كان تركيز الإسلام الأكبر على الأسرة الصالحة؛ لأن البيت هو المحض الذي ينشأ فيه الطفل حتى يكبر، ويلتقط منه الانطباع الأول الذي قد يؤثر فيه مدى الحياة [4].

فإن استقرار الحياة الأسرية وسعادتها ، يكمن في اختيار المرأة التقية الصالحة. كذلك ابعاد الزوج عن الندم ؛ لأنه إذا اختار المرأة لإعتبارات أخرى غير الدين ؛ قد يصيبه الندم ، فإن اختار ذات المال على سبيل المثال ؛ فقد تفقد المرأة هذا المال، ولربما بخلت على زوجها بمالها فيضيق بها زرعاً ، وإن اختار ذات الحسب غير المتدينة ؛ ربما تعالت عليه بحسبها وأذته بدوام التذكير بآبائها، وإن اختارها لجمالها ، ربما كان

---

[1] العلاقات الأسرية في الإسلام ، مرجع سابق ، ص 179

[2] أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، إحياء علوم الدين، الناشر : دار المعرفة – بيروت ، ج2 ص41.

3عبد الرحمن الصابوني ، نظام الأسرة وحل مشكلاتها في الإسلام ، دار التوثيق والطباعة ، ط : التاسعة/1983م ص9.

4 محمد قطب إبراهيم ، منهج التربية الإسلامية ،الناشر : دار الشروق، ط : السادسة عشر،ج2 ص325،332.

جمالها محل غيرة و شك وريبة بالنسبة له ،أما ذات الدين والخُلق ، فإنها تحمي الأسرة من عواصف الحياة ، وتحفظها من عوامل الإنهيار ، وتحي البيت وتجعله عامر بالحب والحنان والدفء، وهي أيضاً تتعايش مع ظروف زوجها من عسر ويسر فلا تكلفه ما لا يطيق ، وتصبر على الضراء. فالزوجان المتدينان، عند حدوث الخلاف يحتكمان إلى الشريعة الإسلامية لحلها[1]. قال أبو حامد الغزالي : في اختيار الزوجة " أن تكون صالحة ذات دين ، فهذا هو الأصل، وبه ينبغي أن يقع الاعتناء" [2] .

فكل ما سبق يؤكد أهمية هذا الأصل ، باعتباره الأساس الأول الذي يجب البحث عنه في شريكة الحياة ، إذ به تستمر الأسرة وتدوم ،وهي خير ما يحصل عليه الإنسان بعد تقوى الله عز وجل ، وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام : " **الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة** " [3] .

قال بعض العرب : لا تنكحوا من النساء ستة : أنّانة ، منّانة ، حنّانة ، حدّاقة ، برّاقة ، ولا شدّاقة .

الأنّانة : فهي التي تكثر الأنين والشكوى ، المتمارضة لا خير فيها .

المنّانة : التي تمن على زوجها فتقول: فعلتُ لأجلك كذا وكذا .

الحنّانة : التي لا ترضى بوضعها مع زوجها ، وتقارن بينه وبين غيره من الرجال.

الحدّاقة : التي ترمي كل شيء بحدقها فتشتهيه وتكلف زوجها شراءهُ .

---

1 محمد عقلة ، نظام الأسرة في الإسلام ، مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان – الأردن ط: الأولى / 1983م ج1 ص124 .

[2] إحياء علوم الدين ، مرجع سابق ، ج3 ص 27.

[3] سبق تخريجه ، ص 43.

البرّاقة : التي تكون طول الوقت في تصقيل وجهها ، وتزينيه ليكون لوجهها بريقاً.

الشدّاقة : هي المتشدقة كثيرة الكلام بفائدة ودون فائدة [1].

المسألة الثانية :اختيار الزوج:

فإذا كان اختيار الزوجة الصالحة ضروريا وهاما؛ لأنها المدرسة الأولى للنشء، فإن اختيار الزوج لا يقلُّ عن ذلك في الأهمية؛ لأنَّ الزوج هو ربُّ الأسرة، وهو القدوة للأبناء ؛ لأنه على أساس كل من هذين الاختيارين تنشأ نواةٌ جديدة في المجتمع، وهي الأسرة، ونظرًا لأهمية هذه النواة؛ فقد أولى الإسلام الحنيف جلَّ عنايته في وضع المعيار القويم، الذي يتمُّ بناءً عليه اختيار كل من الزَّوجين، اتفق الفقهاءُ على أنَّ معيار اختيار الزوج أو الكفاءة يتمثَّلُ في الدين؛ والمقصود بالدين على وجه الخصوص التقوى والصلاح، بل إنَّ بعضهم كالإمام مالك والأمام أحمد اعتبرا التدين هو المعيار الوحيد لاختيار الزوج، واعتبره البعض الآخر كالإمامين أبي حنيفة والشافعي المعيار الأول لاختيار الزوج، ثم تأتي بعده معاييرُ أخرى؛ كالنسب والحرفة والمال وغيرها، والحكمةُ من هذا المعيار الأول لاختيار الزوج؛ هي أنَّ التقوى والصلاح من أعظم المفاخر، وأنَّ الصالحين الأتقياء يعيرون بمصاهرة الفُسَّاق، فليس الفاسق كفؤاً لعفيفة ؛ لقيام الدليل على عدم المساواة [2]،لقوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ [3].

فمعيار اختيار الزوج معروفٌ لدى فقهاءِ الشريعة الإسلامية، بشرط الكفاءة بين الزوجين، فالتكافؤ بين الزوجين يعتبر الخطوة الثانية والمهمة بعد حُسن الاختيار لتحقيق زواج ناجح ، إلا أن العديد من الناس لا يدركون حقيقة هذا الأمر إلا بعد فوات الأوان، والشيء الذي يجب أن نؤكد عليه هو التكافؤ في الدين ؛ وهو الأكثر أهمية لإقامة حياة طيبة بين الزوجين ، وهو من أكثر المقومات لإنجاح الحياة الزوجية وللانسجام الروحي والفكري بينهما، فإذا لم يكن مقوم الدين غير متوفر لكلا الطرفين؛ هنا تكون العلاقة بينهما على طرفي نقيض، مما يؤدي ذلك إلى اختلال في توازن

---

[1] الغزالي ، إحياء علوم الدين، ج2 ص 38.

[2] شرح فتح القدير،ج3 ص 300.

[3] السجدة : 18.

العلاقة الزوجية وإلى التناقضات المستمرة بينهما، والتي قد تكون سبباً في إنهاء الحياة الزوجية، إذاً فالدين شرطٌ لصلاح الزواج، وإنَّ معيار اختيار الزوج الصالح ذو الخُلُق والدين هو المقياس الذي يجب أن تطالب به الزوجة أو ولي أمر الزوجة في انتقاء الزوج؛ بحيث يتم عرض المُتقدم للزواج على هذا المقياس، فإذا كان الرجل طالب الزواج مطابقًا في جميع صفاته لهذا المقياس؛ كان أهلاٌ للزواج. وأفضل موازين الاختيار تلك التي وضعها الإسلام؛ فينبغي مراعاتها عند الاختيار ؛عن أبي حاتم المزني، قال: قال رسول الله :"**إذا جاءكم من ترضون دينه، وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض، وفسادٌ كبير**"[1] تضمن هذا الحديث صفتين من الصفات المطلوبة من المؤهَّل للزواج وهما:

1- الإسلام، فلا تزوج مسلمة بكافر.

2- الالتزام به عقيدةً ، وعملاً ، وأخلاقًا ، فإن الفاسق غير مرغوب في تزويجه [2].

فقد أمر النبي في هذا الحديث بتزويج من كان مرضي الدين والخُلُقُ، وهذا يدل على أنه من كان فاسد الدين سيئ الخُلُق لا ينبغي تزويجه، ففيه حث على اختيار الأزواج، واعتبار المؤهلات الشرعية، وكثير من الأولياء لا يُعير هذا الجانب اهتماماً عند تزويج موليته، فلا يختار لها الرجل الذي أرشد إليه الرسول ، وإنما يختار لها الرجل الذي تهواه أو يهواه هو لمصلحة، حتى ولو كان فاسداً في دينه، سيئًا في خلقه لا مصلحة للمرأة من الزواج به، وإن رفض الرجل مع كونه صالحا يدلُّ على تغير الموازين والقيم التي أراد الإسلام إرساءها في المجتمع المسلم، وهو ما عبر عنه النبي بقوله: "إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض". إن صلاح الرجل هو سياج للمرأة في كل حالها ، فإن أحبها أكرمها، وإن كرهها لم يظلمها، وهو في كلا الحالتين لا تجنح نفسه إلى حرام فيبقيها كالمعلقة، استجابة لقوله تعالى: ﴿ ﴾ [3] ، ومن المعلوم أن اختيار الولي للزوج الصالح هو اختيارٌ لصلاح المرأة

---

[1] سبق تخريجه ، ص 31.

[2] محمد طاهر الجواري، المجتمع والأسرة في الإسلام ، ص 98.

[3] **البقرة** : 229.

وأولادها، واختياره للزوج الفاسد هو اختيار أيضاً لفساد المرأة وأولادها ؛ ذلك لأن تأثير الزوج كبير ، وهو مؤثر في تنشئة ذريته على الصلاح أو الفساد[1].

إنَّ أهمية اختيار الزوج على أساس الدين؛ تأتي من منطلق أنه يرتكز على مقوماتٍ ثابتة لا تتغير مع عوارض الحياة ، فالتدينُ بمعنى التقوى والصلاح والأخلاق، وهي فهي من الأمورِ التي إذا تحلَّى بها الإنسان؛ فإنها تظلُّ ملازمةً له مدى الحياة مهما طرأ عليه من عادياتِ الدهر، على العكس من الأمورِ الأخرى؛ كالمال مثلاً، الذي هو عرضةٌ دائمًا للتغيرِ من الزيادةِ إلى النقص، وربما إلى المحق بالمرة، بل إنَّ التدين والأخلاق هما سياجُ حمايةِ الإنسان من تقلباتِ الزمن التي تلحقُ بالأمورِ الأخرى، فإذا ما أُصيب الإنسانُ بالكسادِ في ماله، فإنَّ التدينَ خيرُ معينٍ له على التغلب على مثل هذه المحنة كما جاء في الشعر:

إذَا الْإِيمَانُ ضَاعَ فَلاَ أَمَانٌ وَلاَ دُنْيَا لِمَنْ لَمْ يُحْيِ دِينَا

ومن رضي الحياة بغير دينٍ فقد جعل الفناء لها قرينا[2]

أما فضل اختيار الرجل ذو الدين والخُلُق في الزواج : له ثمار طيبة تعود عليه وعلى أسرته وعلى مجتمعه بالخير ، إذ أنه يكون رحيماً ، ليناً، رفيقاً مع زوجته وأولاده ، ونجده يتعامل معهم بالرفق واللين ؛ لأن الأصل في التعامل الرفق واللين، سأل النبي أصحابه فقال: "**على من حُرمت النّار؟**" قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : "**على اللّين السهل القريب**[3]"[4] والتعامل بالإحسان أساسه الدين والخُلُق وإذا كان اختيار الزوجة الصالحة من أهم عناصر ديمومة الحياة الزوجية، فإن اختيار المرأة للرجل الصالح أكثر أهمية؛ لما يترتب على سوء اختيار الرجل من معاناةٍ للمرأة وهضمٍ

---

[1] أمة الله بنت عبد المطلب ، رفقاً بالقوارير ، ص 38 ، 41.

[2] محمد إقبال ، حديث الروح ، ترجمها الصاوي شعلان ،دار القلم للطباعة، ص 19.

[3] قريب : أي: من يجالسهم في محافل الطاعة وملاطفتهم قدر الطاعة ، (سهل) أي: رفيق ولين في قضاء حوائجهم **لسان العرب ، حرف الباء فصل القاف** ، ج1ص 662.

[4] سنن الترمذي ، باب: صفة القيامة والرقائق والورع ، حديث رقم 2488، ج4 ص 235.

لحقوقها [1] .وعن الحَسن بن علي رضي الله عنهما ،أتاهُ رجل، فقال: إن لي بنتاً أُحبها وقد خطبها غير واحد، فمن تشير عليَّ أن أزوجها؟ قال : زوّجها رجلاً يتقي الله ، فإنه إن أحبها أكرمها ،وإن أبغضها لم يظلمها"[2]. وبالتقوى يتطمئن المؤمن على ذريته وعلى مستقبلهم ، يقول تعالى : [3]

فالدين والخُلق هما الصفتان الأساسيتان اللتان لابد أن يكونا البوابة الرئيسة التي يمر عبرها كل من يتقدم لخطبة امرأة.

اليسار أو (المال) [4] اختلف العلماءُ في تحديد الكفاءة، فذهب أَكثرهم إِلى أَنها بأَربعة أَشياء: الدَّين، والحرية، والنسب، والصنعة، والمراد بالدين: الإسلام والعدالة، كما لا يكون الكافر كفؤاً للمسلمة، ولا العبد للحرَّة، ولا المعتق للحرة الأصلية، ولا دنيء الحرفة لمن فَوْقه[5]، روت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عن النبي قال " **تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم** " [6].

الكثير من المشكلات التي تحدث في البيوت يكون من أهم أسبابها خلل في التكافؤ بين الزوجين ، لذا ينبغي مراعاة التكافؤ في عدة أمور:

أولاً: التكافؤ في الدِين : فلابد أن يكون الزوج مكافئاً للزوجة في دينها من حيث المحافظة عل حدود الله وسننه ويفضل أيضاً تكافؤ العائلتين في الدين، فالزوج ذو الخُلُق والدين يقوم بواجباته ،يخاف الله في زوجته وأولاده ويحرص على تربيتهم وتدينهم دوره مهم في استقرار الأسرة؛ لأنه بعدم قيامه بواجبه ؛ يختل نظام الأسرة وقد يؤدي إلى تفكك الأسرة وليس بخافٍ أنَّ اختيار الزوج وفْقًا لمعيار شرع الله لا يحرم صاحبه

1أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل بن شاكر الخرائطي ،مكارم الأخلاق ومعاليها وطرائقها ،تحقيق : أيمن عبد الجبار بن البحيري ، دار الأفاق العربية ، القاهرة ط : الأولى / 1419هـ- 1999م رقم الحديث 143ص63.

[2] أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش ، **الناشر: المكتب الإسلامي** - دمشق، بيروت، ط: الثانية/ 1403هـ - 1983م ، **رقم الأثر** 2241ج9ص11.

[3] **النساء** : 9.

[4] **كشاف القناع عن متن الإقناع**، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى ،**الناشر** : **الدار** العلمية للكتاب ،(د.ت)ج5 ص72.

[5] **البغوي شرح السنة ،مرجع سابق**، ج9 ص9.

[6] سنن ابن ماجه ، كتاب النكاح ، باب: الأكفاء ، حديث رقم 1968، ج1ص633.

من الثوابِ الجزيل في الآخرةِ، يوم يقوم النَّاسُ لربِّ العالمين؛ جزاءَ ما قدَّم من حسنِ الاختيار، وتجنب الأمة ويلات الفتنة والفساد الكبير الذي يلحقها نتيجة سوء اختيار الأزواج[1] .

ثانياً: التكافؤ في الشهادة الدراسية: فيفضل أن تكون شهادة الزوج والزوجة الدراسية متساوية، لما يترتب عليه من تقارب مستوي التفكير وإن كانت شهادة الزوج أعلي فلا مانع من ذلك ولكن لا يُفضل العكس ، فشهادة المرأة العلمية الأعلى من شهادة الرجل قد تكون هي الجرثومة الخفية وراء المشكلات الزوجية ووراء حساسية الرجل لكل كلمة من زوجته.

ثالثاً : التكافؤ في الوضع الاجتماعي: وذلك بتقارب مكانة الوالدين الاجتماعية "والدي الزوج والزوجة" وتقارب المناطق السكنية وأسلوب المعيشة وغير ذلك من الأمور[2].

رابعاً: التكافؤ في السن: هناك علاقة ما بين نجاح الزواج وبين توفر التكافؤ العمري بين الزوجين ،فالنفس تأنس بالنظير والشبيه، فكلما كان السن متقارباً **كان أدعى إلى** التفاهم ،على الرغم أنه لا توجد ضوابط لهذا الأمر، الا أنه يفضل أن يكبُر الزوج الزوجة بما لا يقل عن خمسة سنوات و لا يزيد عن سبعة، فالنديَّة في التعامل في السن المتساوي والغربة في التعامل في السن المتباعد يؤديان الي كثير من المتاعب[3].

المسألة الثالثة: التعامل بين الزوجين وفق الدين:

فالإنسان ذو الدين والخُلُق ، يكون حسن المعاشرة مع من يعاشره ، لا يضيق به ولا يضيّق عليه ،بل يدخل السرور على قلبه بقدر ما يمكنه ، ولكن كثير من الناس لا يحسن الخُلُق مع أهل بيته، وهذا خطأ عظيم، وغلبٌ للحقائق، إذ كيف يحسن الخُلق مع الأباعد؟ ويسيء الخُلق مع الأقارب ! فالأسرة أحق الناس بأن يحسن إليها في

---

[1] محمد عقلة ، **نظام الأسرة في الإسلام** ، ص 35 .
[2] سيد عبد العاطي ، الأسرة والمجتمع ،دار المعرفة الجامعية ، 1997م ، ص35.
[3] محمد عقلة ، **نظام الأسرة في الإسلام** ،ص 35.

الصحبة والعشرة ، فهذا من مكارم الأخلاق . فإذا كان الاختيار على الدين والخُلق ؛ يكون التعامل وفقاً للمعاير الشرعية من مبدأ الإعتقاد الجازم أن الله تعالى مطلع عليه في كل أحواله ، لذلك يتقي الله في شريكهِ ، وأن يعطي الطرف الأخر حقه ولو لم يكن راضٍ عنه ، أو حدث بينه وبين شريكه خلاف ، أو كان غاضباً عليه ، لماذا ؟ لأنه يخشى السؤال يوم الحساب، ويخاف العقاب في التقصير في حق افترضه الله على كل منها للآخر، ويؤمن أن الحياة الزوجية هي عقد مؤتمن على "الحقوق والواجبات" ،وليست عقد على "المشاعر والعواطف" فقط . لذا حث الإسلام على صاحب الدين والخُلُق وذات الدين؛ لأنه إذا أبغض لم يظلم ، وأعطى الحق كاملاً موفوراً بغيرظلم [1] .

المسألة الرابعة: التعامل بين الزوجين وفق الخُلُق

التعامل بين الزوجين وفقا للأخلاق الحسنة ، والقيم النبيلة، والعادات الأصيلة، والأعراف الكريمة ؛ سببه : أن صاحب الخُلق يكون من معدن طيب ، كما قال رسول الله : " **النّاس معادن، كالذهب والفضة**" [2]، ويكون من بيت رفيع ، تلقى فيه تربية قائمة على قيم ومبادئ كريمة ، فهو يدفع الحسنة بالسيئة ، ولا يبادل المسيء بالإساءة حتى ولو كان غاضباً عليه أثر خلاف حدث بينهما، فهو يتعامل مع شريكه ومع الناس ؛ كما يحب أن يعامله الناس به ، ويحب للآخرين ما يحبه لنفسه ، فهو يتعامل بالأخلاق الحميدة مع شريكه ، ويرجى الثواب من الله عز وجل، فما أجمل لو اجتمع الدين والخُلق والعواطف ، فهنا تعمر البيوت، ويكون بيت صلاح ومودة وتُقى وسعادة وتحلو الحياة ، و كثيراً من الناس يذهب فهمه إلى أن حُسن الخُلق خاص بمعاملة الخَلقِ دون الخالق ، وهذا الفهم قاصر ؛ فإن حُسن الخُلُق كما يكون في معاملة الخَلقِ ، يكون أيضاً في معاملة الخالق ، فحُسن الخُلُق مع الله أن يؤدي العبد

[1] محمد بن صالح بن محمد العثيمين ، **مكارم الاخلاق ، دار الوطن ،ط : الأولى**،ص30
[2] صحيح **مسلم** ، كتاب البر والصلة والآداب باب : الأرواح جنود مجندة حديث رقم 2638 ، ج4 ص2031

العبادة وقلبه منشرح مطمئن ، ومن أحسن الخُلُق مع الله سبحانه وتعالى ؛ لا شك أنه سوف يحسن الخُلُق مع الخَلقِ [1] .

المسألة الخامسة: أهمية الأخلاق في التعامل

إن للأخلاق أهمية كبرى في حياة الإنسان، سواء في تعامله مع أسرته ،أو مع المجتمع الذي يعيش فيه ، فالإنسان بدون مكارم الأخلاق يصبح عديم الخير والفائدة كثير الشر والضرر، ولمحاسن الأخلاق في الإسلام مكانة فريدة لم تكن في دين من الأديان ، وقد بلغ بها الإسلام أرفع مكانة [2] ، إذ قال رسول الله : "**إن خياركم أحسنكم أخلاقاً**" [3]، وقال أيضاً : "**إنّ من أحبكم إليّ أحسنكم أخلاقاً**" [4] ويوصي أيضاً عليه الصلاة والسلام فيقول :"**اتقوا النّار ولو بشق تمرة ، فإن لم تجد فبكلمة طيبة**" [5] . وجاء في حديث أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول : **"اتقِ الله حيثما كنت وأتبع السيئةَ الحَسنةَ تمحُوها وخَالِق الناسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ**".[6]

المسألة السادسة: الأصول الثلاثة التي يقوم عليها حُسن الخُلُق في المعاملة

أولاً : كف الأذى : وهو أن يكف الإنسان أذاه عن غيره ، سواءً كان هذا الأذى بالمال ، أو ما بالنفس ، أو يتعلق بالعرض .

ثانياً : بذل الندى : الندى هو الكرم والجود، وبذل المال وبذل النفس والجاه وبذل العلم ، وقضاء حوائج الناس ، ومساعدتهم في شؤونهم ، ونشر العلم بين الناس ، هذا هو حُسن الخُلُق ولهذا قال النبي : "**... وخالق الناس بخلق حسن**" [7] .

---

[1] مكارم الأخلاق ، ص 16.
[2] عبد الله ضيف الله الرحيلي، الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها ، الناشر : مطبعة سفير ، ص 3-4.
[3] صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب حُسن الخُلق، حديث رقم 6035 ، ج3 ص145
[4] صحيح البخاري ،كتاب فضائل الصحابة ،باب : مناقب عبد الله بن مسعود، حديث رقم 3759 ج2ص227
[5] صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب : الصدقة ، حديث رقم 1417 ج2ص109
[6] سنن الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب: ما جاء في معاشرة الناس ،حديث رقم 1987،ج3 ص 424.
[7] سنن الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب : ما جاء في معاشرة الناس ، حديث رقم 1987 ج3 ص 423

ثالثاً : طلاقة الوجه : طلاقة الوجه هي : إشراقة الوجه حين مقابلة الناس ، وضدُّه عبوس الوجه ، ولهذا قال رسول الله :" **لا تحقّرن من المعروف شيئاً ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**" [1]، وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه سُئل عن البِر فقال : (وجه طلق، ولسان لين) ، فطلاقة الوجه تدخل السرور على النّاس ، وتجذب المودة والمحبة بين الزوجين ، وتوجب انشراح الصدر بينهما، فإن طلاقة الوجه والبشاشة ؛ من أهم الأسباب في التعامل الإيجابي بين الزوجين[2].ولقد بشرنا رسولنا الكريم بكمال الإيمان مع حُسن الخُلق، فقال:" **أكمل المؤمنين إيماناً،أحسنهم خُلقاً**" [3] .

.

إذاً فالدّين والخُلق؛ هما أهم مقياسين شرعيين للقبول، وماذا تعني المكانة المادية أو الاجتماعية أو المهنية إذا فُقد الدّين والخُلُق ؟ فإن قاعدة التعامل بين الزوجين ليس أساسها العواطف والمشاعر فقط ؛ وإنما أساسها الدّين والخُلُق فنجد أكثر الراغبين على الزواج ، يتم الاختيار لديهم وفقاً للمشاعر والعواطف؛ فيتعاملون مع بعضهم البعض من منطلق هذا الأساس ! ولكن هذا الاختيار يكون هشاً وعرضة للسقوط في معترك الحياة الزوجية المليئة بالهزات العاطفية والاختلافات الحياتية ، والتباين الشخصي و الفكري، فإذا دخل الغضب بين هؤلاء تحطمت المشاعر وحدث الشقاق والخصام والنزاع ، ونجد كل واحد منهما ساخط وغير راضٍ عن الآخر و يتعامل وفق مشاعره اللحظية ، ولا يراعي دين ولا خُلُق ، ولا أدب ولا تربية ولا عقل، ولن يتعامل معه بحُسن خُلُق ، وربما ظلمه وجعله من الخصوم والأعداء ، وتختفي تحت هذه المشاعر السالبة ، كل الحقوق والواجبات والأخلاق، فالقاعدة السلوكية تكون وفق تقدير الطرف للآخر، إذا كان الشريك موافقاً لهوى شريكه ، فالمشاعر هي المحركة له ، و ليس

2صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب : استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء ، رقم الحديث 2626، ج4 ص2026

[6] مكارم الأخلاق ، ص24-29.

[3] سبق تخريجه ، ص 53.

الدين والخُلُق ، وحينما تتحول الحياة بينهما إلى جليد عاطفي، وقحط في المشاعر؛ تبدأ المشكلات في الظهور ويقل الشعور بالأمان بينهما ، وتتحول الحياة بينهما إلى عدم توافق ، وهذا نتاج سوء الاختيار ، أو اختيار تم على أُسس ناقصة ، إذاً فحُسن الاختيار يعتبر أهم مقوّم وصمام أمان لحياة زوجية ناجحة ومستقرة .

المبحث الثاني: مهارات في الحِلم والتواضع والاحترام بين الزوجين

المطلب الأول : الحِلم بين الزوجين

المسألة الأولى : الحِلم لغةً واصطلاحاً :

الحِلم لغة : الحِلم بالكسر الأناةُ والعقل، وجمعه ؛ حُلماء ، وحُلُومٌ [1].

والحلم خلاف الطيش ، يقال : حَلمتُ عنه أحَلُم ، فأنا حليم [2] .

وقال الجوهري : والحلم بالكسر الأناةُ والتثبت. تقول حَلُمَ الرجل بالضم ، وتحلّم : تكلّف الحِلمَ .

وقال : تحلّم عن الأدنين واستبق وُدّهُم .... ولن تستطيع الحِلمَ حتى تحلّما [3]

الحِلمَ اصطلاحاً : عُرف الحِلمَ بعدة تعريفات منها : الحلم ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب [4] . هو الطمأنينة والصبر عند ثورة الغضب ، وقيل تأخير مكافأة الظالم [5] . الحِلم اسم يقع على زم النفس عن الخروج عند الورود عليها ضد ما تحب إلى ما نُهي عنه [6].

المسألة الثانية: مفهوم الحِلم

تتفاوت قدرات الناس في ضبط النفس عند الغضب والصبر على الأذى ، فمنهم من يصبر من غير ضعف ولا عجز ابتغاء وجه الله تعالى؛ فهذا هو الحِلم ، ويقابل الأذى دون النظر في العواقب ، ويتمالك نفسه ، ويكبح جماح غضبه ويتحلى بالصبر ،

---

[1] لسان العرب ، حرف الميم ، فصل الحاء المهملة ، مادة "ج ل م" ج12ص146

2 معجم مقاييس اللغة مرجع سابق ، كتاب الحاء ، باب : الحاء واللام وما يثلثهما ، ج2ص93.

3 الجوهري ، الصحاح ، تحقيق : ،ج5 ص1903

4 الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن ، كتاب الحاء ، ج1 ص253.

5 الجرجاني ، التعريفات ، ص92 .

6محمد بن حبان بن أحمد بن معاذ بن معبد البُستي ، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، المحقق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية – بيروت ص 205.

ومنهم من لا يصبر؛ فهذا نقيض الحِلم . وقد كان رسول الله يوصي أصحابه رضوان الله عليهم بالتحلي بالصبر والحلم في تعاملهم مع زوجاتهم ، وفيما بينهم ، ويحثهم عليه بنفس القدر الذي يحثهم فيه على طلب العِلم [1]

فالحِلم دُعامة العقل الذي يكون ثمرته الوقار، وهو مفارقة الطيش عند الغضب . فتماسك المؤمن عند الغضب ودفعه ؛ هذا من دواعي تعلقه ومحبته لله جلا وعلا ، لينال الأجر والثواب من عنده سبحانه وتعالى ؛ فعندما يتعلق قلب المؤمن بمن يحب سوف يميل إلى التقرب أكثر، فالحِلم وكظم الغيظ من الصفات التي يكسب بها المرء قلوب أقرب الناس إليه، وقلوب كل الناس ، فكن حليماً تكن عظيماً ،إن صاحب الحلم ينال الدرجات العلا والجزاء الأوفى من الله عز وجل .

ويعد الحِلم وسيلة إلى تبوء المراكز المهمة في المجتمع ، وكانت العرب تقول في أمثالها : (من حَلِم ساد) وكثير من الذين يتصفون بالحِلم تزعموا أقوامهم بسبب حِلمهم فالحلم فضيلة خُلُقية حيوية تدل على اعتدال العقل، ومسايرته لمقتضى العقل السليم و الآثار النافعة والخيرة التي تترتب عليه ، ولقد ضرب رسول الله ، أروع المثل في الحِلم في تعامله مع زوجاته، ومع عامة المسلمين ، ونقيض الحِلم الغضب ؛ وهو مفتاح الشر ، فالشخص الذي يغضب سريعاً؛ كثيراً ما يصدر عنه تصرفات خاطئة ، وكثيراً ما حذر منه رسولنا الكريم، فوردت أحاديث كثيرة تنهي عن الغضب منها ؛ روي أن أبا الدرداء رضي الله عنه قال: يا رسول الله دلني على عمل يُدخلني الجنة ، قال: عليه الصلاة والسلام " **لا تغضب ولك الجنة** "[2]. فالحِلم فضيلة حيوية ، فهو يصون العلاقة بين الزوجين ، وكلما كان الزوجين معاملتهما تتصف بالحِلم ؛ كان أنفع لهما ولمن حولهما [3].

---

[1] محمد عبد القادر حاتم ، **الأخلاق في الإسلام** ، الناشر : وزارة الأوقاف السعودية ، ص28

[2] **سنن الترمذي** : باب : **ما جاء في كثرة الغضب** 2020 ج3 ص439.

[3] المرجع نفسه ، ص30.

المسألة الثالثة: الحِلم مقوّم للمودة والرحمة في الحياة الزوجية

المودة والرحمة أمران ضروريان لحُسن العشرة بين الزوجين ، فلا بدَّ من تحقيقهما ولو اقتضى الأمرُ استعمال المعاريض والكنايات والتورية في حديث كل واحد منهما مع الآخر، استجلاباً للمودة والألفة ، وفي سياق هذا المعنى قال ابن حزم : (ولا بأس بكذب أحد الزوجين للآخر فيما يستجلب به المودة) [1] ، في سياق ذلك جاء في الحديث عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أنها سمعت رسول الله يقول : " **لَا أَعُدُّهُ كَذِبًا، الرَّجُلُ يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ يَقُولُ الْقَوْلَ يُرِيدُ الصَّلَاحَ، وَالرَّجُلُ يَقُولُ الْقَوْلَ فِي الْحَرْبِ، وَالرَّجُلُ يُحَدِّثُ امْرَأَتَهُ، وَالْمَرْأَةُ تُحَدِّثُ زَوْجَهَا** " [2] .فينبغي على كل من الزوجين أن يحمل كل منهما للآخر أكبر قدرٍ من المحبة الخاصة التي تدفع كل منها أن يكون عوناً لشريكه في تفقد أحواله وتلبية حاجاته ، كما يحمل كل منهما لصاحبه قدراً من الرحمة يبذلها تجاه الآخر طيلة حياتهما الزوجية ، فيوصي بها ويدعو إليها مصداقاً لقوله تعالى :ُّ [3]

الحِلم قبل أن يكون دواء للنفس ؛ فهو صفة يحبها الله ورسوله ، ولقد وصف الله عز وجل نفسه بالحِلم ، وسمى نفسه بالحليم ، ولقد وردت آيات قرآنية وأحاديث نبوية كثيرة تدل على هذا المعنى و تدعو المسلمين إلى التحلي بهذا الخُلق النبيل ، والحث على الدفع بالتي هي أحسن ، والترغيب في الصفح عن الأذى والعفو عن الإساءة فمن القرآن قال تعالى :ُّ ي

[4] قال بن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة (أي : لا يعملون غضبهم في الناس ، بل يكفون عنهم شرهم ، ويحتسبون ذلك عند الله عز وجل ، ومع كف الشر، يعفون عن ظلمهم في أنفسهم ، فلا يبقى في أنفسهم موجدة على أحد ، وهذا أكمل الأحوال ،

---

[1] أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري ،**المحلّى بالآثار، دار الفكر** – بيروت ، ط: (د .ت) ،ج9 ص 229.

[2] أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي ، **السنن الكبرى ، كتاب عشرة النساء باب** : الرخصة في أن تحدث المرأة زوجها ، حديث رقم 9075 **الناشر** : **مؤسسة الرسالة** – بيروت ط : الأولى / 1421 هـ – 2001م ج8 ص 236 .

[3] **البلد** : 17 .

[4] **ل عمران** : 134.

ولهذا قال سبحانه : ﴿ ﴾ ، فهذا من مقامات الإحسان [1]. ومن آثار المودة الخالصة والرأفة الشاملة المبذولتين بين الزوجين؛ دفع الحزن والهم وشد الأزر عند الشدائد والمحن، والمواساة عند المرض والعجز، والتغاضي عن الهفوات، ولا يكلفه ما يشقُّ عليه ويعسر، ولا يحمله ما لا يطيق، ونحو ذلك من المعاملة الحسنة المكسوة بالمحبة والرحمة التي تكون سبباً للالفة والتعاون على جلب السعادة لاستمرار الحياة الزوجية، وتأكيداً لهذا المعنى جاء في حديث أنس رضي الله عنه عن النبي قال : **أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِنِسَائِكُمْ فِي الْجَنَّةِ؟**» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّه. قَالَ: "**كُلُّ وَدُودٍ وَلُودٍ إِذَا غَضِبَتْ أَوْ أُسِيءَ إِلَيْهَا قَالَتْ: هَذِهِ يَدِي فِي يَدِكَ، لَا أَكْتَحِلُ بِغَمْضٍ حَتَّى تَرْضَى**" [2] وقال أبو الدرداء رضي الله عنه يوماً لزوجته أم الدرداء : (إِذَا غَضِبْتُ فرضيني وإذا غضبت رضيتك فإذا لم نكن هكذا ما أَسْرَعَ مَا نَفتَرِقُ) [3].فكل ذلك مصحوب بطهارة نفس وطيب روح ، تحقيقاً لقوله تعالى : يحرص الإسلام على دوام العشرة بين الزوجين وإبقاء رابطة الزوجين متماسكة ملؤها المودة والرحمة ، وإزالة كل عائق يكدر صفوها أو يعيق سيرها [4].

وصف الله أنبيائه بالحلم، ولقد نعت به إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ ﴾ [5]، كما نعت ابنه إسماعيل في قوله تعالى : ﴿ ﴾ [6] أمرنا ديننا الحنيف بالصبر عند الغضب ، فإذا فعل الزوجان ذلك عصمها الله من الشيطان ، و أيضاً التأني وعدم التسرع في إتخاذ القرار ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله "**التأني من الله والعجلة من الشيطان وما أحد أكثر معاذير من الله وما من شيء أحب إلى الله من الحِلم**"[7] وعن أبي الدرداء، قال رسول الله "**إنما العلم بالتعلم وإنما الحِلم بالتحلُم ، فمن يتحرى الخير يعطيه ومن يتق الشر يوقه**" [8]، وقال أيضاً

---

[1] تفسير ابن كثير ، ج2 ص 122.
[2] الطبراني ، المعجم الأوسط ، باب: الألف ، حديث رقم 1743، ج2 ص 206 .
[3] روضة العقلاء ، ص 72.
[4] في ظلال القرآن ص 28
[5] التوبة : 114.
[6] الصافات : 101.
[7] الخرائطي ،مكارم الأخلاق : باب: ما يستحب من الرفق والأناة وترك العجلة حديث رقم 686ص228.
[8] أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، الحِلم، الحِلم، 2محمد عبد القادر أحمد عطا ، الناشر : مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ط: الأولى / 1413هـ ص2.

عليه الصلاة والسلام "**ليس الشديد بالصرع إنما الشديد الذي يمسك نفسه عند الغضب** " [1]. ورد في الأثر عن الحِلم فيما أوصى به الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، قال علي بن أبي طالب:(إن أول عوض الحليم من حلمه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل)[2] . وقال أبو الدّرداء : (ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ؛ ولكنّ الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك) [3]، وقال معاوية بن أبي سفيان : (لا يبلغ العبد مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله ،وصبره شهوته ، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة الحلم)[4].

ما نلاحظه في هذا العصر الذي نعيش فيه، لهث الناس خلف الماديات ، وترك التعاليم الربانية ، إلا من رحم ربي ، ولذا ظهر في هذه الحقبة من الزمان من الأمراض الخطيرة ، والعلل الوبيلة التي لم تظهر في أسلافنا الصالحين .فمن المعالجات التي تهدأ النفس وتريح القلب؛ هو الحِلم و التحالم ، فكم من بيت خُرّب بسبب الغضب ، وكم من إمرأة طُلّقت بسبب غضب زوجها ، وكم من رجل شُل بسبب الغضب ، وكم من أُناسٍ مَرضوا بسبب الغضب، وكم من أولاد قد شُرّدوا بسبب الغضب ، لذا تبدوا أهمية التواصي بالحِلم و التحالُم واضحة ومهمة للغاية [5].

فالحِلم والأناة من شعائر العقلاء و دليل كمال العقل وسعة الصدر، وامتلاك النّفس ، قليل من الخلقِ من يتصف به، فالحِلم صفة من صفات الله جل وعلا ، وأيضاً من صفات أنبيائه وأوليائه . يعمل الحِلم على تآلف القلوب ، ونشر المحبة بين الناس عامة، وبين الزوجين خاصة، فبين الناس يزيل البغضاء ويمنع الحقد والحسد ، وبين الزوجين يدعم المودة والرحمة بينهما [6] .

---

3 صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب : الحذر من الغضب ، حديث رقم 6114 ج8 ص28. ومسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب : من يملك نفسه عند الغضب ، حديث رقم 2609 ج4ص2014.

4 المرجع نفسه ،ص.27

5 حلية الأولياء ، مرجع سابق ، ج3 ص 178.

6 الحلم لابن أبي الدنيا ، مرجع سابق، ص60.

7مجدي السيد، **دواء القلوب وصلاح النفوس** ، المطبعة السلفية – القاهرة ،ط: الثانية /1399 هـ ص121.

1 صالح بن عبد الله بن حميد ، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ، دار الوسيلة للنشر والتوزيع ، جدة ،ط / الرابعة ، (دت) ج5 ص172 .

المطلب الثاني : التواضُع بين الزوجين

المسألة الأولى : التواضُع لغة واصطلاحاً :

التواضُع لغة : بمعنى التذلل، يُقال :وضع فُلان نفسه وضعاً ، أي : أذلها ، وتواضع الشخص: إذا تذلل، وقيل: ذلّ وتخاشع [1]. وضُع الرجل بالضم أي: صار وضيعاً[2] .

التواضُع اصطلاحاً :التواضع هو ترك التّروس، وكراهية التعظيم ،والزيادة في الإكرام، وأن يتجنب الإنسان المباهاة بما فيه من الفضائل ، والمفاخرة بالجاه والمِلل ، وأن يتحرز من الإعجاب والكِبر[3] . وقيل هو: رضا الإنسان بمنزلة دون ما يستحقُّه فضله ومنزلته ، وهو وسط بين الكبر والضّعة ، فالضّعة : وضع الإنسان نفسه مكاناً يزري به بتضييع حقّه ، والكِبر : رفع نفسه فوق قدره [4] . وقيل هو : إظهار التذلل عن المرتبة لمن يراد تعظيمه ، وقيل هو تعظيم من فوقه فضله [5].

قال ابن القيم : (التواضُع وهو انكسار القلب لله وخفض جناح الذل والرحمة بعباده فلا يرى له على أحد فضلا ولا يرى له عند أحد حقاً، بل يرى الفضل للناس عليه والحقوق لهم قبله وهذا خلق إنما يعطيه الله عز وجل من يحبه ويكرمه ويقربه) [6] .

المسألة الثانية : التواضع على ضوء الكتاب والسنة

---

2 محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، دار الهداية ،ج 22ص343 .

[2] مختار الصحاح ، ج 3 ص 1300.

3أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه ، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، مكتبة الثقافة الدينية ،ط: الأولى ، ص205.

4 أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، الذريعة إلى مكارم الشريعة ، دار السلام للنشر – القاهرة 1428 – 2007م ، ص 213.

5 أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار المعرفة – بيروت 1379ه ،ج11ص213

1 محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، الروح ،الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ص234.

هنالك آيات وأحاديث حثت على التواضع ورغبت فيه ، منها قوله تعالى :ﭐ ﱡ ﭐ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ [1] . كما أمر سبحانه وتعالى رسوله الكريم أن يلين جانبه للمؤمنين وأن يتواضع لهم فقال تعالى :ﭐﱡﭐ ﱹ ﱺ [2] يقول القرطبي: (أي ألن جانبك لمن آمن بك وتواضع لهم) [3] .

كما رغبت السنّة في التواضُع وحثت عليه ابتغاء مرضات الله، وأن من تواضع جازاه الله تواضعه بالرفعة ،قال عليه الصلاة والسلام: "**وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**" [4] لقد كسب رسول الله ﷺ بتواضعه ولين جانبه قلوب النّاس من حوله. دخل عليه رجل فأصابته من هيبته رعدة ، فقال له رسول ﷺ : "**هون عليك فإني لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد**[5] " [6].

فإن تواضع وعدل النبي عليه الصلاة والسلام ينطلقان من سِمات عميقة في شخصيته العظيمة، فهذه السمات : مع أنه سيد الخَلق وحبيب الحق جل وعلا ، و مع أنه تفوق على كل الخَلق، في العلم والخُلق، والفهم والإشراق، وضع نفسه مع كل الخَلق جنباً إلى جنب، أصل العدالة أن لا تشعر بالتميز، أصل العدالة أن لا تشعر بالخصوصية، أصل العدالة أن يرفعك الناس لتواضعك، ولأخلاقك، لا أن ترفع نفسك فوقهم فيضعوك، فإن تواضعت لهم يرفعوك، أما إن علوت عليهم يخفضوك . وبهذا الأسلوب والتواضع ولين الجانب استمال عليه الصلاة والسلام، قلوب النّاس من حوله ، فعن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال : "**لا يغُرَّنَّ الرَّجُل من نفسه كثرة النَّاس حولهُ**" [7]، وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : (إنكم لتُغفلُون أفضل العبادة : التواضُع) [8].

---

[1] الفرقان : 63 .
[2] الشعراء 215
[3] الجامع لأحكام القرآن ،ج10ص56.
[4] صحيح مسلم, كتاب البر والصلة والأدب ، باب : استحباب العفو والتواضع حديث رقم 2588ج 4 ص2001
[5] القديد اللحم المملوح المجفف في الشمس ، لسان العرب ،حرف الدال ، فصل القاف، ج3 ص344.
[6] سنن ابن ماجه ، كتاب الأطعمة ، باب : القديد ، حديث رقم 331،ج2 ص1102
[7] أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك ،الزهد والرقائق ، باب : التواضع ،حديث رقم 851 , دار الكتب العلمية – بيروت ص 292.
[8] الزهد والرقائق ، ص.132

فالتواضع هو أحد أهم الأسباب للتعامل الحُسن بين الزوجين، فلا يتعالى أحد الطرفين على الآخر، فإن كان هناك فرق اقتصادي أو اجتماعي أو ثقافي بين الزوجين ، فلا يشعر المتميز فيهما أنه أعلى من الآخر أو أفضل منه ، بل يتواضع ويلين جانبه تجاه الطرف الآخر، فالمتميز منهما يتنازل إلى مستوى الطرف الأقل منه حتى لا يشعره بأنه أرفع منه أو أفضل منه ؛ لكي لا تحدث فجوات ونفور في العلاقة بينهما ، ولكي يتم التفاهم وتدوم العشرة . وبالتواضع يحصل الاحترام وتحل المشكلات الزوجية بكل سهولة . فالتواضع يثمر المحبة والسكينة بين الزوجين ، ويورث الألفة ويؤلف القلوب ويدفع الحقد ، ويذهب وقر الصدر ويطفئ الغضب . فإذا تأملنا سير السلف الصالح وحياتهم الأسرية ؛ لوجدنا التواضع هو شجرتها التي لا يتساقط أوراقها ولا ينقطع ثمارها ولا تذبل أزهرها [1] .

كان رسول الله جمٌ وآية في التواضع ،لا يعتريه كِبر ولا بطر على رفعة قدره وعلو منزلته، يخفض جناحه لأهل بيته وللمؤمنين ولا يتعاظم عليهم ، ويجلس حيث ينتهي به المجلس لا يترفع عليهم ، وكان من تواضعه القيام بخدمة أهل بيته وأصحابه، وكان أيضاً متواضعاً حتى مع الصبيان فإذا مر بهم ، سلم عليهم ومسح على رؤوسهم ، فنجد أصحابه أيضاً ساروا على نهجه إقتداءً به صلوات الله وسلام عليه ، لقد ضربوا مثلا في التواضع ، فكان أبو بكر رضي الله عنه من تواضعه ، يحلب الشاة لجيرانه ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينفخ النار ليصنع الطعام لإحدى رعاياه ومعها أطفالها الصغار ، وغيرهم كثير من أهل التواضع [2]، فهم يبتغون الثواب ؛ لأن الله سبحانه وتعالى يمنح من تواضع له ؛ الجزاء الأوفى في الآخرة ، ويثبت له في القلوب محبة ومكانة وعزة في الدنيا، فينبغي لكل من الزوجين أن يتواضع للآخر، ولا يترفع عنه ، ولا يتعالى عليه، بل يجعله مثله ، وأن

---

[1] ظلم الأسرة في الإسلام ، ص126.

[2] علوي بن عبد القادر السقاف ،موسوعة الأخلاق- الدرر السنية ، ربيع الأول 1433 هـ (د.ت) ج2 ص 162. 162.

يتعامل معه بكرم أكثر، وأن يراعي الجانب النفسي لشريكه .فكان من عادة السلف رحمهم الله ، أن المرء منهم يجعل من هو أصغر منه مثل ابنه ، ومن هو أكبر منه مثل أبيه، ومن هو مثله ، مثل أخيه ، فينظر إلى ما هو أكبر منه نظرة إكرام وإجلال، وإلى من هو دونه نظرة إشفاق ورحمة ، وإلى من هو مثله نظرة مساواة ، فلذلك نجد المرأة شقيقة للرجل ومساوية له في الإنسانية [1] . ولها من الحقوق مثل الذي عليها من الواجبات، ولها شخصيتها المستقلة ، فلذلك ينبغي أن ينظر لها نظرة مساواة [2] .

فالتواضع والحِلم والصبر من شيم الأنبياء، مع إنهم أعلى درجة من البشر ومع ذلك فهم يتواضعون مع الناس ومنهم من تبوأ المناصب الرفيعة، كما ورد في القرآن الكريم من قصة سيدنا يوسف عليه السلام قيل ليوسف وهو في السجن :ﱡ [3] وأيضا قيل له وهو على خزائن مصر ،ﱡ [4] هذا دليل أن المعدن الطيب لا تغيره المناصب و لا المصائب فهذا مشهد يجسد لنا الذوق الرفيع في التعامل المنبثق من التواضع، فهذه دعوة للإحسان مع الآخرين حتى وإن لم نلق إحساناً منهم ؛ نكون مُحسنين ليس لأجلهم بل ؛ لأن الله يحبُ المُحسنين.

المسألة الثالثة: طرق اكتساب خُلُق التواضُع بين الزوجين :

أولاً : تقوى الله : وهذا من أهم الأسباب التي تعين على التواضع ؛ لأن التقوى وقاية من كل ما يغضب الله سبحانه وتعالى ، فيعلم المرء الذي يتقي ربه أن الدنيا تمضي إلى زوال ، كما جاء في قوله تعالى :ﱡ [5] ،فمن تذكر دائماً هذه السنة الكونية ، خفض جناحه لأسرته وأهله وإخوانه ولعامة الناس .

يجب على المرء أن يعامل الناس بما يحب أن يعاملوه به ، وأن يخفض جناحه لهم وأن يتعامل برفق ولين فهذا من تقوى القلوب[6].

---

[1] **النووي** ،شرح رياض الصالحين ، ج3 ص 53.
[2] وهبة الزحيلي ،الفقه الإسلامي وأدلته ، ج8 ص6450.
[3] يوسف : 22.
[4] يوسف : 78.
[5] **ل عمران** : 140.
[6] سليم الهلال ،التواضع في ضوء القرآن والسنة الصحيحة ، ،دار ابن القيم – **الدمام** ، ج31ص32.

ثانياً :التفكر في أصل الإنسان ومعرفة الإنسان قدره ومما خُلق: الواجب على العاقل لزوم التواضع ومجانبة التكبر ، إلا أن المرء كلما كُثر تواضعه ؛ ازداد بذلك رفعة عند الله وعند النّاس ، فالتواضع يكسب السلامة ويورث الألفة ، ويرفع الحقد ويذهب وقر الصدر ، وثمرة التواضع المحبة ، كما أن ثمرة القناعة الراحة، وإن تواضع الشريف يزيد في شرفه، كما أن تكبر الوضيع يزيد في ضعته، وأن يتفكر الإنسان في أصله ونفسه مما خُلقَ؟ وكيف لا يتواضع من خُلقَ من نطفة مذرة وآخره يعود جيفة ، فإذا عرف الإنسان نفسه ومن أي شيء خُلقَ ،علم أنه أذل من كل ذليل ، ويكفيه نظرة في أصل وجوده بعد العدم خُلقَ من تراب ، إذن لما كل هذا الكبّر؟! [1] قال تعالى :ٌّآ [2] ، وأن يتذكر الأنسان الأمراض والمصائب والابتلاءات، فإذا صلح القلب وطهر؛ صلح العمل كله بإذن الله ، فالواجب على العاقل أن يتحبب إلى الناس بلزوم التواضع و حُسن الخُلُق وترك سوء الخُلُق ؛لأن الخُلُق الحُسن يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد ، وإن الخُلُق السيء ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل، وقد تكون في المرء أخلاق كثيرة صالحة وخُلُق سيء، فيفسد الخُلق السيء الأخلاق الصالحة كلها . فحُسن الخُلق بذر اكتساب المحبة، كما أن سوء الخُلق بذر استجلاب البغض، ومن حَسُنَ خُلُقه صان عِرضه، ومن ساء خُلقه هتك عرضه ؛لأن سوء الخُلق يورث الضغائن، والضغائن إذا تمكنت في القلوب ؛أورثت العداوة ، والعداوة إذا ظهرت من غير صاحب الدين؛ أهوت صاحبها إلى النّار إلا أن يتداركه المولى بتفضل منه وعفوٍ[3]. فعلى من أراد اكتساب خُلُق التواضُع أن يطهر قلبه من كل أمراض القلوب والنفوس[4] .

إن التواضع بين الزوجين لا يقل درجة عن درجات العبادة ، فالمرأة المتواضعة هي امرأة صالحة آثرت أن تجعل من بيتها روضة من جنات الحب والسعادة ، والزوج المتواضع هو الذي يحسن معاملة زوجته ، فيعاملها بالعطف والرحمة وبشاشة الوجه والاحسان والعفو عند الإساءة ، والمداراة والحكمة .ولكن إذا تتبعنا حالة مجتمعاتنا في

---

[1] روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، ص 59-61.
[2] عبس : 18 ،19.
[3] المرجع السابق، ص65.
[4] موسوعة الأخلاق الإسلامية ، ج1 ص161.

عصرنا هذا ليدرك أن القليل من الأزواج من يحسن معاملة زوجته ، فلا يتواضع ولا يصفح ولا يعفو، كما أمر الرسول ، وأيضاً قد تتعالى الزوجة على زوجها، وهذا مما يؤدي إلى البغض والحقد، ويكون هذا من أسباب توتر العلاقة وسوء المعاملة بين الزوجين وبالتالي إلى انهيار بيت الزوجية. ولنا في رسول الله القدوة الحسنة في تعامله مع زوجاته فعلينا الاقتداء به والسير على نهجه حتى ننعم بحياة هانئة ومستقرة تحفها المودة والرحمة .

المطلب الثالث: الاحترام بين الزوجين

المسألة الأولى : الاحترام لغة واصطلاحاً:

الاحترام لغة : مصدر احترمَ ، يحترم ، احتراماً فهو مُحترِم ، والمفعول مُحترم احترمه : كرّمه وأكبره ، هابه ورعى حرمته ، أحسن معاملته ،احترم نفسه : عبارة تقال لمن يتجنب القيام بما يسئ إلى سمعته [1].

الاحترام اصطلاحاً: هو أحد القيم الحميدة التي يتميز بها الإنسان، ويعبر عنه تجاه كل شيء حوله أو يتعامل معه بكل تقدير وعناية والتزام، فهو تقدير لقيمة ما، أو لشيء ما أو لشخص ما إحساساً بقيمته وتميزه [2].

المسألة الثانية: مفهوم الاحترام بين الزوجين

يعد الاحترام أهم مقوّم لاستمرار الحياة الزوجية والأسرية، فلا تستقيم الحياة، إلا إذا توفر هذا المقوّم المهم بين الزوجين، فالإنسان يحبُ أن يُحترم ، ويوقّر من يحترمه، وذلك لأن الاحترام ،حاجة نفسية للإنسان، فكما يحتاج الإنسان إلى الطعام والشراب

---

[1] إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر/ محمد النجار، المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، النشر : دار الدعوة ،(د.ت) ، باب : الحاء ج1 ص169.

[2] خالد عبد الرحمن العك ، آداب الحياة الزوجية في ضوء الكتاب والسنة ، دار المعرفة – بيروت، لبنان ط : الخامسة/2003م ص 295.

وغيرها من المقوّمات الأساسية للحياة ؛ كذلك يحتاج إلى احترام ذاته وعدم إهانته والتقليل من شأنه ، فما دام الإنسان يحب أن يُحترم ؛ يجب عليه أن يحترِم الآخرين وكل المحيطين به. فعندما يحترم الزوجان بعضهما البعض ؛ ينعكس ذلك إيجابياً على أولادهما في الحاضر والمستقبل ، فالاحترام خُلُقٌ مهم بين الزوجين ، إذ يعتبر هو المقوّم الرئيس لحُسن العُشرة بينهما ، وسبباً لاستمرار المودة والرحمة ، ويهيئ الجو الأسري الملائم ليعيش كل فرد في الأسرة حياة مستقرة كريمة [1].

وتتجلى صفة الاحترام كنوع من الأخلاق، أو القيم ،كما هو الحال في المفهوم الشائع "احترام الآخرين" و مبدأ التعامل بالمثل، ويفضل عدم المبالغة في الاحترام حتى لا يساء الفهم ، فالاحترام يكون للحق أو الامتياز أو موقف متميز ، أو شيء ما له حقوق أو امتيازات أو اظهار الاحترام بين الزوجين و احترام الوالدين ، والاحترام للعلم والعلماء، واحترام المسنين [2].

المسألة الثالثة: ثمرة الاحترام بين الزوجين :

الاحترام بين الزوجين ثمرته؛ اللطف في المعاملة، وهو أحد المكونات الرئيسة لنمو مشاعر دافئة بين الزوجين، وفي الحقيقة فقد يكون اللطف في المعاملة هو نتاج لاحترام العلاقة الزوجية، وللاحترام في المعاملة فوائد ؛بداية من حرص الشريك على شريكه واهتمامه به، و تجنب المناقشات حرصاً من تحوله إلى شجار، فالاحترام بين الزوجين ينتج عنه تعامل إيجابي، وبالمقابل عندما تسوء المعاملة ينشأ عدم احترام بين الزوجين ، فيستهين كل منهما بالآخر، فلا يقدره ولا يحترمه، بل يهينه ويهزأ به، وتظهر الخلافات بين الزوجين وتؤثر على الحياة الزوجية ويمكن أن تدمرها ؛ فعدم

[1] نبيل السملوطي، بناء المجتمع الاسلامي ونظمه ، **دار الشروق – جدة ط :الرابعة /2005م ص 84.**
[2] **أسامة علي متولي** ، الحياة الزوجية مشكلات وحلول ، الدار المصرية للكتاب ،ط : الثانية /1990م ص 285.

الاحترام بين الزوجين يؤثر سلباً على الحياة الزوجية ، وقد يكون سببًا في الفُرقة؛ لأنها تنعكس سلباً على استقرار الأسرة[1].

المسألة الرابعة: مظاهر الاحترام بين الزوجين:

تتجلى مظاهر احترام الزوجين لبعضهما، بدءاً في احترام الزوج لزوجته في التعامل معها بإحسان ، والتسامح معها، وهذا ليس قاصراً على الرجال تجاه زوجاتهم فحسب ؛ بل هو أيضاً مطلوب من قبل الزوجات ، فهي حقوق متبادلة بين الطرفين ، فعلى الزوجة أن تبدئ لزوجها الاحترام ، وأن تعاملە بشكل يليق به كزوج، هذا ما دعا إليه النبي في حديثه :" **لو كنت آمر أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**"[2] فهذا الحديث دليل على عظمة حق الزوج على المرأة ، وللزوج حقوق على زوجته عليها أن تراعيها لكي تستقر الأسرة ،وتسير في الطريق القويم وحتى تتحقق المودة والرحمة بينهما كما أرادها الله سبحانه وتعالى لتكون أساس للعلاقة بينهما [3]، فمن حق الزوج على زوجته؛ أن تطيعه في غير معصية لله ، وأن تحفظه ، وأن تمتنع عن أي شيء يضايقه وهذا من أعظم الحقوق ، جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل يا رسول أي النساء خير؟ قال :"**التي تسره إذا نظر وتطيعه إذا أمر ولا تخالفه في نفسها وماله بما يكره**" [4]. فاحترام الزوجين لبعضهما البعض ينعكس ذلك على كل أفراد الأسرة ، فينشأ البنين والبنات، يحترموا بعضهم بعضاً، إلى أن يصيروا أزواج وزوجات في المستقبل [5] . فمن مظاهر الاحترام: إعطاء الزوج قوامته في البيت ، مادام هو قائم بمسئوليته كاملة، وهذا بداية الاحترام، كما جاء في القرآن الكريم: ﭐﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﭐﱅ [6] ، والمسلّم به ابتداءً؛ أن الرجل والمرأة كلاهما من خلق الله، وأن الله سبحانه، لا يريد أن يظلم أحداً من خلقه، وهو يهيئه ويعده لوظيفة خاصة، ويمنحه الاستعدادات اللازمة لإحسان هذه الوظيفة! وقد

[1] آداب الحياة الزوجية في ضوء الكتاب والسنة ، مرجعسابق، ص 297.
[2]سبق تخريجه ، ص 78.
[3] علي عبد الواحد وافي ، الأسرة والمجتمع ، دار النهضة للطبع والنشر- مصر ط : السابعة / 1977م ص 136.
[4]سبق تخريجه ص 78.
[5] فقه السُّنة ، ج2 ص 119.
[6] النساء : 34.

خلق الله الناس ذكراً وأنثى، زوجين على أساس القاعدة الكلية في بناء هذا الكون، وهما شطري النفس البشرية، وجعل من وظائف المرأة أن تحمل وتضع وترضع وتكفل ثمرة الاتصال بينها وبين الرجل؛ وهي وظائف ضخمة أولاً وخطيرة ثانياً. وليست هينة ولا يسيرة، بحيث تؤدَّى بدون إعداد عضوي ونفسي وعقلي عميق غائر في كيان الأنثى! فكان عدلاً كذلك أن ينوط بالشطر الثاني–الرجل– توفير الحاجات الضرورية، وتوفير الحماية للأسرة ،كذلك للأنثى كي تتفرغ لوظيفتها الخطيرة ولا يحمل عليها أن تحمل وتضع وترضع ؛ ثم تعمل وتكد وتكفل وتنفق وتسهر لحماية نفسها وأطفالها في آن واحد! وكان عدلاً كذلك أن يمنح الرجل من الخصائص في تكوينه العضوي والعصبي والعقلي والنفسي، ما يعينه على أداء وظائفه هذه، وأن تمنح المرأة في تكوينها العضوي والعصبي والعقلي والنفسي، ما يعينها على أداء وظيفتها تلك، وكان هذا بالفعل، ولا يظلم ربك أحداً [1].

الله سبحانه وتعالى علل القوامة التي جعلها للرجال، بسببين :

السبب الأول: وهبي فطري– أجمله في قوله سبحانه وتعالى: **أأ نى ني ير** [2] فهذا نص صريح من الله تعالى على تميز الرجال على النساء بشأن القوامة بما جعل الله عز وجل في الرجال من صفات وسمات وخصائص خِلقِية اقتضت طبيعة الرجل من حيث القوة والشدة من أجل القيام بالكسب والإنفاق، والزود عن الحمى ، وبالمقابل جبلت النساء على الرقة والعطف واللين، وليس في هذا ما يشين أو يحط من قدر المرأة؛ لأن الصبغة العاطفية والحاسة الرقيقة التي تغلب عليها لا غنى عنها في خصوص قيامها على رعاية الأولاد وتدبير شؤون الأسرة داخل البيت ؛ بل إن هذا الطبع يمثل جانباً تفضل فيه المرأة على الرجل، وتتقدم عليه فيه ، وسبحان الذي أحسن كل شيء خلقه وجعل لكلٍ منهما ما يناسبه [3].

---

4 سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي ، في ظلال القرآن ، الناشر: دار الشروق – بيروت – القاهرة ، ط : السابعة عشر /1412ه ج2 ص650.

[2] البقرة : 228.

[3] محمد بلتاجي ، مكانة المرأة في القرآن والسنة ، دار السلام للطباعة والنشر ،(د.ت) ص 99-100، زينب عبد السلام أبو الفضل ، قوامة النساء المشكلة والحل الإسلامي، مكتبة جزيرة الورد ، مصر ،(د.ت) ص133

السبب الثاني؛ أمر كسبي: هو النفقة الواجبة على الرجل المتضمنة في قوله تعالى : ﴿فى

فالإسلام فرض على الزوج الإنفاق على أسرته بالمعروف ، وإن مقتضى القوامة قيام الرجل بواجباته تجاه زوجته وأسرته ، ابتداءً من تقديم المهر ، وتوفير المسكن وأداء كل ما يلزمه من نفقة واجبة عليه؛ فكان له حق القوامة ، والإشراف على الأسرة [1]. كما أن الإسلام عندما جعل القوامة للرجل ؛ لم يشرع استبداد الرجل بالمرأة ، ولا بإرادة الأسرة ، ولم يرد أن تكون تلك القوامة سيف مسلط على المرأة . وأن القوامة لا تعني سلب حقوق المرأة وتهميش شخصيتها ، ولا تعني أيضاً الإذن للرجل بإيذاء المرأة ، وليس من شأن القوامة إلغاء شخصية الزوجة في البيت ولا في المجتمع الإنساني ، ولا إلغاء وضعها "المدني" ، وإنما هي وظيفة داخل كيان الأسرة لإدارة هذه المؤسسة الخطيرة والمهمة ، وصيانتها وحمايتها ، ووجود القّيم في مؤسسة ما؛ لا يلغي فيها شخصية أو حقوق الشركاء أو العاملين في وظائفها، وإنما شرع القوامة القائمة على الشورى ، والتعاون والتفاهم والتعاطف المستمر بين الزوج وزوجته، وما يصاحب قوامة الرجل من رعاية وصيانة وحماية وتكاليف في نفسه وماله ، وآداب في سلوكه مع زوجته وأولاده [2]. وإذا تقرر هذا الاختلاف الدقيق في التكوين بين الذكر والأنثى ، فمن الطبيعي والبديهي أن يكون هنالك اختلاف في اختصاص كل منهما في هذه الحياة، اختلاف يناسب تكوينه وخصائصه التي جُبلت فيه، وهذا ما قرره الإسلام وراعاه ، عندما وزع الاختصاصات على كل من المرأة والرجل، فجعل للرجل القوامة على البيت ،والقيام بالكسب والإنفاق ، والزود عن الحمى، وجعل للمرأة رعاية البيت ، تدبر شؤونه وترعى الأطفال وتوفر السكينة والطمأنينة لأفراد الأسرة ، هذا مع تقريره أن الرجل والمرأة من حيث إنسانيتهما على حدٍ سواء ، فهما شطران للنوع الإنساني ، مشتركان بالسوية في تعمير الكون، وتأسيس الحضارة ،وخدمة الإنسانية ، كل في مجال اختصاصه ، وكلا الصنفين قد أُوتي القلب والذهن والعقل والعواطف ، والرغبات والحوائج البشرية ، وكل منهما يحتاج إلى تهذيب النفس، وتثقيف العقل، وتربية الذهن

---

[1] البهي الخولي ،الإسلام والمرأة المعاصرة ، دار البشير للثقافة والعلوم ،(د. ت) ص74 ، سهيلة زين العابدين حماد ،بناء الأسرة المسلمة، الدار السعودية للنشر والتوزيع ،(د.ت)، ص63.

[2] سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مرجع سابق ،ج2 ص 652.

وتنشئة الفكر، وذلك لصلاح الحياة و فلاحها، حتي يقوم كل منهما بدوره في الحياة على أكمل وجه يرضاه الله تعالى.

إذاً فهذه هي القوامة ، وهي من صميم العدل الذي أقره الله سبحانه وتعالى بين الزوجين ، وذلك لكيلا يضطرب أمر البيت بالتنازع على القوامة ، ولكي تستقر الأمور داخل الأسرة وتسير من حُسن إلى أحسن ، فينبغي على الزوج أن يفهم واجبه جيّداً من غير تسلط وجبروت على زوجته بحجة القوامة، فالتسلط لا يؤيده شرع ولا منطق. وأن الزوج هو رب الأسرة ، وهو الأب الذي يحمي الأسرة ، ويدافع عنها من أي مؤثر خارجي ، ويحل الأزمات، والزوجة صاحبة حقوق متساوية معه ، وهي ربة المنزل والأم التي تحافظ على نظام البيت وتهتم برعاية الأولاد، وتحمل آلام العائلة وهمومها ، وتزيل الخلافات والخصومات بين أفراد الأسرة ؛ لأنها الأعظم في العاطفة ، ولها قدرة ربانية على تلطيف الجو الأسري وتلين كل صلب برقتها وحنانها، فإذا تم الاعتراف بهذا النظام ؛ فهذا أساس بناء الاحترام بين الزوجين [1] .

كذلك من أسباب الاحترام بين الزوجين؛ تبادل النظر والإستماع الجيد للطرف الآخر عند التحدث معه، فهذا يبعث في النفس ارتياح و شعور طيب وجميل ، وإحساس بالرضا تجاه الطرف الآخر، يدعو للاحترام المتبادل وتمكين أواصر المودة بينهما، وعلى ضوء ذلك تكون حياتهما الزوجية هانئة وسعيدة ،أيضاً أن يهتم و يشارك كل طرف الآخر ما يسره وما يحزنه، فذلك من الاحترام ، فأما إذا تركه من غير أن يشاركه تلك المشاعر؛ فإن الطرف الآخر يستنتج من ذلك عدم إهتمام شريكه له ؛ فهو عدم تقدير واحترامه له ، وديننا الحنيف أمرنا أن يكون المسلم في حاجة أخيه ، فكيف بالأزواج ، كما جاء في الحديث الشريف في قوله : "**المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يُسلمُ ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة** "[2]ومن دواعي الاحترام : أن يكرم ويحترم كل من الزوجين صاحبه وأقاربه وأن يحسن وفاداتهم لما في ذلك من أثر

---

[1] علي عبد الحليم محمود ، المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ،**المنصورة** – مصر ،ط : الخامسة ، 1424 هـ -2003م ،ص131/122.

[2]صحيح البخاري ، **كتاب المظالم والغصب**، باب : لا يظلم المسلم المسلم و لا يشتمه ، رقم الحديث 2442 ج1ص534

طيب على النفس ، وأن يشاطر كل منهما الآخر همومه وأفراحه وأحزانه والوفاء والدفاع عن الآخر في حضوره وغيابه ، وهو دفاع أحد الزوجين عن الأخر أمام أهله وأقاربه إذا تحدثوا عنه بسوء أو تقليل من شأنه ، فإن هذا التصرف الدفاعي يعطي شعوراً باحترام العلاقة الزوجية القائمة بينهما ، واحترام كل منهما الآخر ؛ تعني ذكر أحدهما في غيابه بخير[1].

التأدب مع بعضهما : أي أدب اللسان واليد في التعامل مع الطرف الآخر بأدب الإسلام ومنهج القرآن وعدم الاستهزاء والسخرية بشكل الآخر، أو بتصرفاته أو بطريقة كلامه ، فإن مثل هذه التصرفات توثر في العلاقة الزوجية سلباً وتؤدي لعدم الاحترام بينهما ، ثم إلى البغض والنفور، ثم الإنفصال الوجداني [2]، ولقد نهانا سبحانه وتعالى عن ذلك كما جاء في قوله :ُّ [3] . فالكلام الطيب الرقيق بين الزوجين ينمي المودة والالفة بين الزوجين ويدخل السرور في النفس وينمي الاحترام بينهما، ولقد أوجب الإسلام على الرجل أن يحسن معاملته للمرأة ، واعتبر إكرامه واحترامه لها مقياساً لكرم أصله وشرف منبته ، كما اعتب إهانته لها دليلاً على لؤمه[4].

أنماط الاحترام : للاحترام ثلاثة أنماط : ولكل نمط له من يمثله ، ويتعامل به مع نفسه ومع الآخرين في حياته ، وبالتالي يبين جوهر ومعدن صاحبه .

النمط الأول: الاحترام من أجل الاحترام : وهذا أسمى وأنبل أنواع الاحترام ، والمتعامل به يكون إنسان واعي ومتحضر وذو معدن أصيل قوي الشخصية واثق من نفسه ، ومع الآخرين الذين يتعامل معهم ويحترمهم ، وهو يحترم الشخص الجدير بالاحترام

---

[1] محمد عقلة ، نظام الأسرة في الإسلام، مكتبة الرسالة الحديثة – عمان ، الأردن ،ط: الأولى / 1983م ، ج2 ص14.

[2] عبد الرحمن النك ، بناء الأسرة في الإسلام ، ص88.

[3] الحجرات : 11.

[4] فرج محمود أبو ليلى ، الزواج وبناء الآسرة ، مطبعة العراب ، عمان – الأردن ، ط : الثانية / 2001م ، ص138.

فقط ، دون تملق أو خوف أو نفاق أو تزييف ويكون مخلصاً له في حضوره وغيابه ، وفي حياته ومماته .

الثاني :احترام الخوف : وهو دليل الجبن وضعف الشخصية ، وصاحبه انهزامي ذليل ،لا يستطيع المواجهة والمجابهة ، ويحترم أي شخص يحس ويشعر أمامه بالخوف والضعف ، حتى ولو كان هذا الشخص لا يستحق الاحترام أصلاً .

الثالث :الاحترام النفعي: وهو الذي مصدره المصلحة الخاصة ، ويعد أنذل أنواع الاحترام وأحقرها، ويدل على أن صاحبه ، مصلحي وأناني ، منافق ، ماكر، فهو يحترم الآخرين حين تكون المصلحة قائمة فقط[1] .

فالاحترام كلمة بالغة في المعنى والهدف ، ولها أثرها المهم في نجاح أي علاقة سواء كانت علاقة الزوجين ببعضهما ، أو علاقة الفرد مع الآخرين ، ولو أحسن المرء التعامل بها لأدركها، ولمفهوم الاحترام تأثيرات إيجابية عديدة أقلها؛ تعامل البشر مع سواهم بمفاهيم راقية تحددها المشاعر النبيلة ، ومن خلال ذلك يعم حُسن الخُلُق الذي أشار إليه نبينا الكريم في أحاديث كثيرة ، وعندما ندرك كنه الاحترام، لابد من تواجد القواسم المشتركة التي تدفع للمحبة وتقدير الرأي والفكر والمعتقد ، وصوناً للكرامة الشخصية والفكرية ، وزهواً دائم لخصوصية التواجد المتنوع في سائر المجتمعات ، حيث يكون للجميع حق التعبير عن الرأي وحق الاحترام [2] .

المسألة الخامسة: احترام المرأة لزوجها

الاحترام هو أن تعامل الزوجة زوجها كما أمرها الشرع بذلك ، وهذا يتمثل في اظهار المودة له في أقوالها وأفعالها فهذا الأمر يترك أثراً كبيراً في دوام السعادة والراحة في

[1] آداب الحياة الزوجية ، مرجعسابق ، ص299.
[2] **المرجع السابق** ،ص 300.

بيت الزوجية، حيث ينعكس بشكل إيجابي على حياة الزوج في داخل الأسرة وخارجها، ويصل كل منهما إلى مكان عمله فيقوم بوظيفته مع راحة نفسية وأجواء هادئة ملؤها الاطمئنان والسكينة. وقد وعد رسول الله الزوجة الصالحة التي تحسن المعاملة مع زوجها وتراعي الأسباب التي تدعو إلى راحته وتخفيف الهموم عنه بشيء يفوق تصورها، وهو أن بشّرها بالجنة [1]، يقول رسول الله : **أيما امرأة ماتت زوجها عنها راضٍ دخلت الجنة**"[2] كثيرات من النساء اللاتي لا يحسن التعامل مع أزواجهن ، وتجدهن يحرجن أزواجهن ويتعاملون معهم بغلظة ، فلابد من الرفق في التعامل من الطرفين ، إلا أن الحديث بين الزوجين فهو يتميز بكثير من التلقائية والانسيابية أكثر من غيره من الحوارات ، رغم هذا يبقى للحديث بين الزوجين مجموعة من الفنون الرائعة التي تكفل المزيد من الود والألفة والعواطف والمودة، فالحياة الزوجية بدون كلمات طيبة جميلة وعبارات دافئة ، تعتبر حياة قد فارقتها السعادة الزوجية ، ويبقى على الزوجة الدور الأكبر في استخدام هذه المهارات بما تتميز به المرأة من عاطفة، وأن يعامل الزوج زوجته وفقاً لوصية النبي : "**استوصوا بالنساء خيراً**" [3]. فالمرء يحبُ أن يحترمه الآخرون ، لذلك ينبغي عليه أن يعاملهم بمثل ما يحب أن يعاملوه به ، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ، ولكي يحترمك الحاضرون ؛ احترم الغائبين ، والأشخاص المحترمون أكثر إهتماماً بحقوق الآخرين ، وطريقة تفكيرهم بالآخرين تتسم بالإيجابية والإهتمام؛ لأن احترام الذات ، واحترام الآخر ، واحترام الزوجة ، واحترام الزوج ، هو حجر الزاوية للوقاية من مظاهر غير أخلاقية، وللاحترام أهمية كبرى بين الزوجين ؛ بل لا حياة زوجية كريمة بدون احترام ، فالاحترام بين الزوجين هو قيمة أخلاقية في حد ذاته ،لابد من الحرص على التعامل به والحفاظ عليه ومراعاته ،

---

[1] الحياة الزوجية ، جمعية المعارف الاسلامية الثقافية ، مركز نون للتأليف ، ط: السادسة 1423 هـ -2012م ، ص51.

[2] سبق تخريجه ، ص 47.

[3] سبق تخريجه ص41.

فالحياة التي يهين فيها أحد الزوجين الطرف الآخر ويسئ إليه ، ولا يراعي مشاعره وأحاسيسه ، لا هي حياة كريمة و لا هي زوجية قائمة على الاحترام المتبادل بينهما ولا يمكن أن تستمر ، فمراعاة المشاعر وخفض الجناح ، ولين الجانب ، وحسن إنصات ، وأدب في الحوار، والمداراة والتحفظ من إظهار حدة أو شدة أمام الأطفال الصغار من والديهم ، حتى لا يترك هذا الشعور السلبي أثراً سيئاً على نفسية الصغار والإحساس بعدم الأمن الداخلي وعدم الاستقرار النفسي يظل يلازمهم طيلة حياتهم [1].

فلا ينبغي التقليل من شأن الآخر ، أو الإستخفاف بأفكاره وأرائه ، فكل إنسان له وجهة نظر مختلفة ، ولا يشترط أن تكون وجهات النظر متوافقة في كل الأحوال ، وأن يكون التحاور في جو يسوده الهدوء والود ، فلاحترام يجب أن يكون متبادل بين الطرفين ، وأن يكون التعامل بذكاء عاطفي ، وهو كسب الطرف الآخر بدون انفعال ، وذلك من خلال لباقة الكلام ، وفن الحوار، فقد حض الإسلام على احترام الآخر ، والاحترام هو أول قواعد المعاشرة بالمعروف ويأمر الله سبحانه وتعالى بذلك فيقول : أُأ [2] ، فالمرأة تحتاج لتقدير الذات ، ولكن نلاحظ كثير من الأزواج يغفل عن هذا الأمر القرآني ، ونجدهم يخلطون ما بين العشرة بالمعروف ومفهوم "القوامة" غير متفهمين المعنى الصحيح لها ؛معتقدين أن القوامة تعني إهانة المرأة وإشعارها بالدونية فهذه من الأمور التي تؤدي لعدم الاحترام ، وهذه من السلوكيات والمفاهيم الخاطئة قد يكون منشأ ذلك؛ أن مثل هؤلاء تربى على هذه المفاهيم ! فالاحترام حاجة نفسية يحتاجها الشخص من قبل الآخرين ، فهو يفتقد لهذا المبدأ وفاقد الشيء لا يعطيه.

ومن رحمة الله تعالى بعباده ؛ أنه سبحانه لم يدعهم في حيرة من أمرهم ، بل أوضح لهم في الكتاب والسُّنة كل ما يحتاجونه في حياتهم الدنيوية و الأُخروية ، وخصوصاً في جانب العلاقة بين الزوجين، لم تترك من غير قيود ، فهذا من نعم الله على عباده ، قد جعل لهم منهج قويم وسليم ومتكامل صالح لكل عصر من العصور،

---

[1] آداب الحياة الزوجية ، ص300.

[2] النساء : 19.

فمن إنحرف عنه خسر وضل الطريق[1].

المسألة السادسة : مظاهر عدم الاحترام بين الزوجين:

1- أن يسيء الرجل زوجته ويهين كرامتها بالقول أو الفعل، كذلك عدم تقدير المرأة لزوجها ويظهر ذلك في تصرفاتها نحوه .

2- أن يتحدث كلا الزوجين عند أهله بما لا يسر الطرف الآخر، وبالتحدث عن خصوصياتهم وأسرار البيت التي من المفترض أنها تبقى سراً بينهما

. 3-مناداة الآخر بما لا يحبه، حتى بين الأولاد والأهل

4- عدم الاستماع للآخر أو الاهتمام بأفكاره ومقترحاته.

5-عدم احترام مشاعر الآخر بأن يُعاب أحد بذم مظهر أو سمة خلقِية تكون في أحدهما.

6-عدم وجود المودة والرحمة المتبادلة بين الزوجين .

7- المفاهيم الخاطئة لدى كثير من الرجال؛ مثل أن المرأة يجب التعامل معها بغلظة، أو إهانتها أو ضربها حتى تكون مطيعة وتحت أمره .

8- تدخل الأهل والأقارب بين الزوجين بكل أسلوب حياتهما. 9- الجهل بآداب ومقومات الحياة الزوجية وفهم معنى الأسرة وفق أداب الإسلام، وعدم التخلق بأخلاق الإسلام في تعاملهم معاً .

10- عدم اهتمام الزوجة بزوجها وبمظهرها أمام زوجها، ونظافة بيتها، و أولادها.

11- عدم تقدير المسؤولية لدى الزوجين أو أحدهما[2].

---

[1] ، المرجع السابق ، ص301.

[2] آداب الحياة الزوجية في ضوء الكتاب والسنة ، خالد عبد الرحمن العك ص 20.

المسألة السابعة: المعالجة والحلول لينعم الزوجين بالاحترام

يقول الله تعالى : [1]

ويقول سبحانه : **بر**

[2] المرأة من نفس الرجل ، فهن من أنفسكم، شطرٌ منكم، سكنٌ لكم، والسكن يوفر الأنس والاستقرار.

من تلك الآيات العظيمة نجد أن الزواج ليس فقط لإنجاب الأولاد، بل هو فوق ذلك وسيلة للاطمئنان النفسي والهدوء القلبي والسكن الوجداني، وهذه الآيات هي أسس الحياة العاطفية الهانئة الهادئة .

ولكي ينعم الزوجين بالاحترام عليهما:

1- العمل على إظهار الحب من الطرفين عن طريق القيام بالواجبات المفروضة من كلا الطرفين والتفاني من أجل الآخر .

2-عدم إشراك الأهل والأقارب في المسائل الشخصية وحياتهم الخاصة، وحل المشكلات يكون بالجلوس سوياً وحل الخلاف بأنفسهم.

3- مراعاة الزوج عند الحديث عن زوجته في غيابها مع الأبناء أو الأقارب وأن يذكرها بكل الثناء والتقدير، وكذلك الزوجة عند حديثها عن زوجها.

4- أن يرفق الزوج بزوجته ويعاملها بالحسنى.

5- تعلم آداب الحوار والبحث لتصحيح المفاهيم الخاطئة لكلا الطرفين

6 - تعلم آداب ومقومات الحياة الزوجية على ضوء الكتاب والسنة.

7- الصبر على أخطاء الطرف الآخر وتصحيحها بأسلوب المودة والرحمة.

8- تقدير المرأة لزوجها بأن تعطيه حقه ومكانته داخل الأسرة [3]

---

[1] الروم : 21.

[2] الأعراف : 189.

[3] المرجع السابق ، ص 21.

المبحث الثالث: آداب التسامح والعفو والألفة

المطلب الأول : التسامح بين الزوجين

المسألة الأولى : لغةً واصطلاحاً

التسامح لغةً: السّماحة : الجود ، وسمح به : أي جاد به ، وسمح لي : أعطاني ، وهو سمح وسميح ، والسّماحة : تدل على سلاسة وسهولة [1]. المسامحة : المساهلة وتسامحوا : تساهلوا ، ويقال رجل سمح وامرأة سمحة ، والجمع مساميح [2]. **السّماحة اصطلاحاً:** هي بذل ما يجب تفضلاً [3]. وتعني : التسامح مع الغير في المعاملات

---

[1] أبو الحسن بن فارس ابن زكريا ، معجم مقايس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، " دار الجيل ، بيروت – لبنان ، 1411- 1991م مادة (سمح) ،ج3 ص 99.
[2] ابن مظور ،لسان العرب ، ج3 ص 99.
[3] الجرجاني ،التعريفات ، ص160.

المختلفة ويكون ذلك بتيسير الأمور التي تتجلى في المساهلة وعدم القهر ، وسماحة المسلمين التي تبدو في معاملاتهم المختلفة سواءً مع بعضهم أو مع غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى [1] .

المسألة الثانية : الترغيب في التعامل بالسّماحة من القرآن والسّنة

الدين الإسلامي قائم على اليسر والسّماحة ، وهو بمجمله قائم على اليسر ورفع الحرج إبتداءً من العقيدة وإنتهاءاً بأصغر أمور العبادات و الأحكام بشكل يتوافق على

الفطرة الإنسانية وتتقبله النفس البشرية من غير تكلف أو تعنت [2] ، وهذا ما ذكره الله سبحانه في كتابه العزيز في قوله تعالى: ﴿ ﴾ [3] رغب القران الكريم على السماحة في التعامل ، قال تعالى : ﴿ ﴾ [4]، فهذه الآية جامعة لحُسن الخُلق مع الناس وما ينبغي في معاملتهم، فالذي ينبغي أن يعامل به الناس أن يأخذ العفو، أي ما سمحت به أنفسهم ، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق ، فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم ، بل يشكر من كل أحد ما قابله به من قول وفعل جميل أو ما دون ذلك، ويتجاوز عن تقصيرهم ويغض طرفه عن نقصهم [5] .

ويدعو الله عز وجل للتحلي بخلق السّماحة والفضيلة و العفو بين الزوجين ، حتى بعد الطلاق فقال جل جلاله : ﴿ ﴾ [6]

يقول ابن عاشور: (ومعنى العفو أقرب إلى التقوى : أن العفو أقرب صفة للتقوى من التمسك بالحق ؛لأن التمسك بالحق لا ينافي التقوى لكنه يؤذن بتصلب صاحبه وشدته ، والعفو يؤذن بسّماحة صاحبه ورحمته ، والقلب المطبوع على السّماحة والرحمة أقرب إلى التقوى من القلب الصلب الشديد؛ لأن التقوى تقرب بمقدار قوة الوازع ، والوازع

---

[1] نضرة النعيم ، ج6 ص 2287.
[2] فالح بن محمد الصغير ، اليسر والسماحة في الإسلام ، الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية، ص8.
[3] الحج :78.
[4] الأعراف 199.
[5] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، الناشر : مؤسسة الرسالة ،ط : الأولى / 1420 هـ – 200م ص313.
[6] البقرة 237

شرعي وطبيعي ، فالقلب المفطور على الرأفة والسّماحة ، به لين يمنعه عن المظالم والقسوة ، فتكون التقوى أقرب إليه لكثرة أسبابها فيه؛ وقوله : (وَلا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ) ، لزيادة الترغيب في العفو بما فيه من الفضل الدنيوي ، وفي الطباع السليمة حب الفضل) [1].

يقول السعدي: وأن من عفا، كان أقرب لتقواه، لكونه إحساناً موجباً لشرح الصدر، ولكون الإنسان لا ينبغي أن يهمل نفسه من الإحسان والمعروف، وينسى الفضل الذي هو أعلى درجات المعاملة، لأن معاملة الناس فيما بينهم على درجتين: إما عدل وإنصاف واجب، وهو: أخذ الواجب، وإعطاء الواجب. وإما فضل وإحسان، وهو إعطاء ما ليس بواجب والتسامح في الحقوق، والغض مما في النفس، فلا ينبغي للإنسان أن ينسى هذه الدرجة، ولو في بعض الأوقات، وخصوصاً لمن بينك وبينه معاملة، أو مخالطة، فإن الله مجاز المحسنين بالفضل والكرم،[2] ولهذا قال تعالى: ﴿ ﴾ وقوله : (إِنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) تعليل للترغيب في عدم إهمال الفضل ، وتعريض بأن العفو مرضاة الله تعالى ، فهو يرى ذلك منًّا فيجازي عليه. والفضل يغرز في نفس الزَّوجين نوايا وخواطر شريفة وثقة بالخير، تقوم مقام جبلي ما يُقَوِّي اتِّحاد النُّفوس في الأهواء والأَميال بحُكم الجبِلَّة، وحُكم التَّعود والإِلفة ، ثُمَّ تعقبها معاشرة وسماحة تَكمل ما يقومُ مقَام الاصطحاب، وقد أَشار اللَّهُ تعالى إِلى هذا السِّر النَّفسانيِّ الجليل [3]، بقوله: ﴿ ﴾ [4]

المسألة الثالثة :علامات سماحة النفس

هناك علامات للمتصف بخُلقِ السّماحة منها:

أولاً : طلاقة الوجه واستقبال النّاس بالبشر: فطلاقة الوجه و حسن البشر بالناس محبب إليهم، مألوف في نفوسهم، قريب إلى قلوبهم. وقد حث الرسول على هذه

[1] : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، التحرير والتنوير "«تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد "، الناشر: الدار التونسية للنشر ، 1984م ،ج2ص464.

[2] تفسير السعدي ، ص 105.

[3] التحرير والتنوير ، ص 460.

[4] الروم : 21.

الظاهرة بالقول والعمل كما جاء في حديثه : عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله : "**كل معروف صدقة، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق، وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك**" [1]، فهكذا يكون سمح النفس طلق الوجه باسماً مشرق المحيَّا، بخلاف الفظ الغليظ ، فإذا واجه الناس واجههم بسحنة منقبضة لا انبساط فيها ولا بشر، وإذا اجتمع معهم لم يشاركهم بمشاعره ولا بحواسه، وكان بينهم كأنه غريب عنهم، وكأنهم غرباء عنه، وهذا الوضع يجعله ممقوتاً مكروهاً بعيداً عن قلوب الناس، لأنه وضع يلازمه في معظم أحواله بسبب نكد نفسه الملازم له [2]. **ثانياً:** مبادرة الناس بالتحية والسلام والمصافحة وحسن المحادثة ، ومشاركتهم بالسمع والفكر والقلب لأنّ من كان سمح النّفس بادر إلى ذلك .

ثالثاً : حُسن المصاحبة والمعاشرة والتّغاضي عن الهفوات، وعدم التشدد في الأمور ؛ لأن من كان سمح النّفس ؛ كان حسن المصاحبة لإخوانه ولأهله ولأولاده، ولكلِّ من يخالطه أو يعمل معه [3] . فمن كان سمح النفس بادر إلى هذه المحاسن، ووجودها في الإنسان سجية غير متكلفة، يدل على أنه سمح هين لين رقيق حاشية النفس، ألوف ودود لا فظ ولا غليظ ، فيكون حسن المعاشرة خفيف المحاسبة والمؤاخذة، متغاضياً عن المخالفات التي تتعلق به، لا يتشدد في الأمور، ولا يعظم الصغائر، بل يلتمس العذر لمن يقصر معه [4].

نفى الله تعالى عن رسوله الفظاظة وغلظة القلب فقال جل وعلا:ٌّ نى

 ي [5] .

قال السعدي: (أي برحمة الله لك ولأصحابك منّ الله عليك أن ألنت لهم جانبك وخفضت لهم جناحك ، وترقرقت عليهم ، وحسنت لهم خُلقك ، فاجتمعوا إليك وأحبوك

---

[1] سنن الترمذي ، كتاب البر والصلة والأدب ، باب : ما جاء في طلاقة الوجه وحسن البشر قم الحديث 1970، ج3 ص414.

[2] الأخلاق الإسلامية،ج2 ص 447.

[3] نضرة النعيم ، مرجع سابق ، ج6 ص 2288.

[4] الأخلاق الإسلامية ، ج2 ص 463.

[5] ل عمران :159.

وامتثلوا لأمرك ، ولو كنت فظاً أي : سيء الخُلق قاسي القلب ،لإبتعدوا عنك ؛لأن هذا ينفرهم ويبغضهم لمن قام على هذا الخُلق السيء) [1] .

كما رغبت السنة على السّماحة في التعامل ،عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله قال : "**رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى**" [2]،هذا الحديث يحض على السّماحة وحُسن المعاملة والأخذ بمعالي الأخلاق ومكارمها ، وترك المشاحنة وعدم القهر واستعمال الرقة والسهولة في البيع والشراء وفي الدين ،وذلك مدعاة للبركة فيه؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام ، لا يحض أُمته إلا على ما فيه النفع لهم في الدنيا والأخرة [3].

وعن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله : " **أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ، عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ**"[4]. أي : تحرم على كل سهل طلق حليم لين الجانب[5].

قال ابن تيمية :(وأما السّماحة والصبر فخلقان في النفس قال تعالى: [6] وهذا أعلى من ذاك وهو أن يكون صبّاراً شكوراً فيه سماحة بالرحمة للإنسان وصبر على المكاره وهذا ضد الذي قال الله تعالى فيه : [7]،فإن هذا ليس فيه سّماحة عند النعمة ولا صبر عند المصيبة)[8] .والنفس السّمحة

---

[1] تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق ، ص154 .

[2] صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب: كسب الرجل وعمله بيده ، حديث رقم 2076، ج ج1 ص 453.

[3] ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ، شرح صحيح البخاري ، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر : مكتبة الرشد السعودية ، الرياض ط : الثالثة / 1423 هـ -2003م،ج6 ص 210.

[4] سبق تخريجه ،ص 96.

[5] علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري ،مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، الناشر : دار الفكر ، بيروت- لبنان ،ط : الأولى / 1422 هـ – 2003م ، ج8 ص3179.

[6] البلد : 17.

[7] المعارج : 19، 20، 21.

[8] تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، مجموع الفتاوى ، المحقق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، الناشر : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة : المملكة العربية السعودية ، 1416 هـ – 1995م ، دار الوفاء ط: الثالثة 1426 هـ /2005م ج7ص264.

السّمحة كالأرض الطيبة الهينة المستوية ، فهي لكل ما يراد منها من خير فهي صالحة ، إن أردت عبورها
هانت ، وإن أردت حرثها وزراعتها لانت ، وإن أردت البناء عليها سُهلت ، وإن شئت النوم عليها تمهدت [1] .

من طبيعة النفس السّمحة، أن يكون صاحبها هيناً ليناً سهلاً في التعامل، يتقبل كل ما يجري به القضاء والقدر بالرضا والتسليم لأمر الله، ويحاول أن يجد لكلّ ما يجري به ذلك حكمة مرضية وإن كان مخالفاً لهواه ، مستصحباً معه دوماً قول الله تعالى : ُّ [2] فهو من أجل ذلك يستقبل كل ما يأتيه من عند الله عز وجل بغاية الرضا ، ويلاحظ جوانب الخير فيه كلما تجري فيه المقادير، وهو بذلك يترقب المستقبل بتفاؤل وأمل، ثم يستقبل الواقع بانشراح لما يحب ، وإغضاء عما يكره، وبذلك يسعد نفسه ويريح قلبه وهذا من كمال العقل ؛ لأن الشخص العاقل هو الشخص الواقعي أي الذي يسعد نفسه وقلبه بالواقع الذي لا يملك دفعه أو رفعه ، ويعامل شريك حياته و الناس بالتسامح ؛لأنه لا يملك أن يطوع الناس جميعاً لما يريد ؛ لأنّهم مثله ذوي طبائع متباينة وإرادات مختلفة[3]. أيضاً من وسائل كسب خُلُق سّماحة النفس : التأمل في الترغيبات التي رغب الله بها الذين يتحلون بخلق السّماحة، والفوائد التي يجنونها في العاجلة والآجلة، والسعادة التي يظفرون بها في الحياة الدنيا والآخرة. والتأمل في المحاذير التي حذر الله منها أصحاب الغلظة والفظاظة وما يجلبه لهم خلقهم وظواهره السلوكية من مضار عاجلة
وآجله، ومتاعب وآلام كثيرة، وخسارة مادية ومعنوية .[4].

المسألة الرابعة : اكتساب خُلق السّماحة بين الزوجين:

---

[1] عبد الرحمن الميداني ، الأخلاق الإسلامية ، **مرجعسابق** ، ج5 ص446.
[2] **النساء** 19.
[3] صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي ،نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ، **النشر** : : دار الوسيلة للنشر والتوزيع – **جدة ط** : **الرابعة** (دت) ، ج6 ص2288.
[4] عبد الرحمن الميداني ، الأخلاق الإسلامية ، ج2 ص451.

من اكتساب خلق السماحة بين الزوجين خفض الجناح في التعامل بينهما ، فإن ما يتنافى مع السماحة؛ الانزلاق في الخصومات ، إذ كما يحب الله السماحة ؛ فبالمقابل يبغض الخصومة ؛عن عائشةَ رضي اللَّهُ عنها، قالت: قال رسُولُ اللَّه : «**أَبغضُ الرِّجال إِلى اللَّه الأَلدُّ الخَصِمُ**» [1]، فإن خُلق السماحة يقتضي من صاحبه المبادرة إلى التنازل عن المواقف الجدلية التي يكثر فيها اللغو والعتاب التي تؤدي للخصومة ، ولو تعمقنا عن السبب الرئيس في تفاقم المشكلات الزوجية ؛ لوجدنا أن الغضب و عدم خفض الجناح بين الزوجين من أكثر الأسباب المؤدية لإستفحال الخلاف بينمها، فالزوجان يحتاجان في زماننا هذا إلى مهارة خفض الجناح ؛ وإن من الخطأ وصف المرونة ، وخفض الجناح بين الزوجين؛ بأنه شيء من "التغافل" وإنما هو غضٌ للطرف عن الهفوات، ومن تدقق في كل شيء خسر كل شيء وذلك من أجل الابتعاد عن نقاط التصادم ، وهذا لا يعني أن نقفل عن تعاليم الدين الإسلامي الحنيف الذي جعل من التواد و التراحم والمودة هي الأساس في التعامل بين الزوجين ، فحين يغض أحد الزوجين الطرف عن موقف أو مطلب ؛ فهذا لا يعني تغافلاً ؛ وحين يقدم أحد الزوجين المصلحة العامة لمصلحة الأسرة واستقرارها وصلاحها على ردة فعل شيطانية قد تكون مؤثرة تأثيراً سلبياً؛ هنا يتضح لنا معنى وقيمة غض الطرف عن الصغاير ؛ أنه نوع من فنون التعامل الزوجي بقلب متسامح ، وهذا الأمر مطلوب في علاقاتنا الزوجية ، وكثير من الأزواج في أمس الحوجة لمثل هذه المهارات، سواء سميناها خفض جناح ، تعاون تفهم ، تجاوز ، غض الطرف ،فكل هذه تأسس على الاستعانة بالله من الشيطان الرجيم في حياتنا اليومية بشكل عام وليس في حياتنا الزوجية فحسب .

المسألة الخامسة : فوائد سماحة النفس :

[1] صحيح البخاري ، كتاب : الأحكام ، باب: الألد الخصم وهو الدائم في الخصومة ، حديث رقم 7188 ج9ص 73.

يستطيع سمح النفس الهين اللين السهل في الحياة الزوجية، أن يغنم في حياته أكبر قسط من السعادة وهناءة العيش وهذه فائدة سماحة النفس ؛ لأنه بخلقه هذا يتكيف مع الأوضاع الطبيعية والاجتماعية بسرعة مهما كانت غير ملائمة لما يحب أو لم يهوى لنفسه ، وهو يستطيع أن يستقبل المقادير بالرضا والتسليم ، مهما كانت مكروهة للنفس ، ويستطيع سمح النفس الهين اللين أن يظفر بأكبر قسط من محبة الناس له ، وثقة الناس به ؛ لأنه يعاملهم بسماحة وللين الجانب ، والتقاضي عن النقائص و السيئات وغض الطرف عن الهفوات ، ويجلب سمح النفس الهين اللين لنفسه الخير الدنيوي بتسامحه، وذلك لأن الناس يحبون المتسامح الهين اللين، فيميلون إلى التعامل معه، فيكثر عليه الخير بكثرة محبيه والواثقين به. ويجلب سمح النفس الهين اللين لأسرته و لنفسه رضى الله تعالى والخير الأُخروي العظيم ، ما ابتغى بسماحته رضوان الله عز وجل [1].

المطلب الثاني : العفو والصفح بين الزوجين

المسألة الأولى : العفو والصفح لغةً واصطلاحاً

العفو لغة : يقال عفا يعفو عفواً فهو عافٍ ، وهو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه وأصله المحو [2].

العفو اصطلاحاً : قال الراغب : (العفو هو التجافي عن الذنب) [3] قال تعالى : ﴿ ﴾ [4] وقال سبحانه : ﴿ ﴾ . [5]

الصفح لغة واصطلاحاً

---

[1] الأخلاق الإسلامية ،ج2 ص 443.
[2] لسان العرب ،ج15 ص 72.
[3] أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ،المفردات في غريب القرآن ، المحقق : صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم ، الدار الشامية دمشق- بيروت،ط : الأولى /1421 هـ - 2000م ، ص574.
[4] الشورى : 40.
[5] البقرة :237

الصفح لغة : صفح عنه يصفح صفحاً، أعرض عن ذنبه ، وهو صفوح وصفّاحٌ عفوٌ ،والصفوح : الكريم ؛ لأنه يصفح عمن جنى عليه ، واستصفح ذنبه : استغفره ذنبه إياه، وطلب أن يصفح له عنه [1] .

الصفح اصطلاحاً: الصفح : هو ترك التأنيب وهو أبلغ من العفو ، فقد يعفو الإنسان ولا يصفح ، وصفحت عنه: أوليته مني صفحة جميلة معرضاً عن ذنبه بالكلية [2].

يقول تعالى: ﴿ﭐﭑﭒﭓ﴾[3] و يقول سبحانه: ﴿ﭐﭑﭒﭓ﴾ [4]

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أن رسول الله قال : "**تعافوا فيما بينكم فما بلغني من أحدٍ فقد وجب**" [5] لقد بلغ النبي عليه الصلاة والسلام" القمة والدرجة العالية في العفو والصفح ، كما هو شأنه في كل خلُقٍ من الأخلاق الكريمة ، فكان عفوه يشمل الأعداء فضلاً عن الأصحاب والزوجات ، لقد كان أجمل الناس صفحاً [6] ، قيل لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، كيف كان خُلُق رسول الله في أهله؟ قالت :(كان أحسن الناس خُلُقاً لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً بالأسواق ولا يجزئ بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح) [7].

المسألة الثانية : ثمرة العفو والصفح بين الزوجين

العفو والصفح سبيل إلى الالفة والمودة بين الزوجين، وبين أفراد الأسرة ، وبين كل أفراد المجتمع ، بالعفو تكون هنالك طمأنينة وسكينة بينهما ، والعفوُّ ، اسم لله تعالى كما جاء في قوله سبحانه : ﴿ﭐ [8] وبالصفح يكتسب كل منهما الرفعة

---

[1] لسان العرب ،ج2 ص512.
[2] زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن علي بن تاج العارفين بن علي المناوي ,التوقيف على مهمات التعاريف ، باب الصاد: فصل الفاء ، الناشر : عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت – القاهرة ط : الأولى / 1410هـ -1990م ص217.
[3] الحجر : 85.
[4] البقرة :109.
[5] أبو داود سليمان بن بشير بن عمرو ،سنن أبي داود كتاب الحدود ،باب: العفو ما لم تبلغ السلطان ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، حديث رقم 4376 ج4 ص133.
[6] عبد الرحمن الميداني ، الأخلاق الإسلامية ,ج1 ص 432.
[7] سنن الترمذي، كتاب البر والصلة والأدب ،حديث رقم2016 ج3ص 437.
[8] النساء: 43

والمحبة عند الله وعند الناس [1] . العفو وكظم الغيظ هما من الصفات التي لا يتصف بها إلا ممن يتحلى بالأخلاق الفاضلة ، فلتكن شعاراً للتعامل بين الزوجين وعند حدوث الخلاف بينهما، فهذا من الإحسان الذي يحبه الله عز وجل كما جاء في قوله تعالى :ﱡ ﱠ [2]

قال السعدي: (قوله تعالى:(وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ) أي: إذا حصل لهم من غيرهم أذية توجب غيظهم وهو امتلاء قلوبهم من الحنق، الموجب للانتقام بالقول والفعل، هؤلاء لا يعملون بمقتضى الطباع البشرية، بل يكظمون ما في القلوب من الغيظ، ويصبرون عن مقابلة المسيء إليهم.(وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) يدخل في العفو عن الناس، العفو عن كل من أساء إليك بقول أو فعل، والعفو أبلغ من الكظم، لأن العفو ترك المؤاخذة مع السماحة عن المسيء، وهذا إنما يكون ممن تحلى بالأخلاق الجميلة، وتخلى عن الأخلاق الرذيلة، وممن تاجر مع الله، وعفا عن عباد الله رحمة بهم، وإحسانا إليهم، وكراهة لحصول الشر عليهم، وليعفو الله عنه، ويكون أجره على ربه الكريم، لا على العبد الفقير) [3] العفو والصفح سبيل إلى الألفة والمودة بين الزوجين ، وهو زكاة للنفس للنفس ، كما أن لذة العفو أطيب من لذة التشفي والانتقام ؛ لأن لذة العفو يلحقها حمد العاقبة ، ولذة التشفي والانتقام يلحقها ذم الندم .

قيل لأحد السلف : أي شيء أنت أسرّ به مما ملكت ؟ فقال : مكافأة من أحسن إلي بأكثر من إحسانه ، وعفوي عمّن أساء ليّ بعد قدرتي عليه[4]. يقول تعالى :ﱡ ﱠ [5] ، فمن عفا ،عفا الله عنه ، ومن صفح ، صفح الله عنه ، ومن غفر؛ غفر الله له ، ومن أطاع الله فيما يحب ؛ وعامل عباده كما يحبون ؛ نال محبة

---

[1] الأخلاق الإسلامية ، ج1ص 408.
[2] ل عمران : 134.
[3] السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ، ص148.
[4] أحمد بن عبد الوهاب بن محمد عبد الدائم القرشي شهاب الدين النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة ،ط : الأولى /1423 هـ ج6ص58.
[5] التغابن : 14.

الله ومحبة عباده ، واستوثق له أمره [1]. قال بن كثير في تفسيره لهذه الآية : (أي: سجيتهم وخلقهم وطبعهم تقتضي الصفح والعفو عن الناس، ليس سجيتهم الانتقام من الناس) [2]. وقيل لأبى الدّرداء: من أعزّ الناس؟ فقال: الذين يعفون إذا قدروا؛ فاعفوا يعزّكم الله تعالى[3]. وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع طعاما فابتاع، ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلت، فقال: لقد جلست وإنها لمعي، فجعلوا يدعون على من أخذها ويقولون: اللهم أقطع يد السارق الذي أخذها، اللهم أفعل به كذا، فقال عبد الله: اللهم إن كان حمله على أخذها حاجة، فبارك له فيها وإن كان حملته جراءة على الذنب، فاجعله آخر ذنوبه[4] فإذا عفا المرء وأحسن، أورثه ذلك من سلامة القلب لأسرته و لإخوانه، ونقائه من الغش، والغل، وطلب الانتقام، وإرادة الشر، وحصل له من حلاوة العفو ما يزيد لذته ومنفعته عاجلا وآجلا على المنفعة الحاصلة له بالانتقام ، فأنه ما انتقم أحد قط لنفسه إلا أورثه ذلك ذلاً في نفسه، فإذا عفى أعزه الله. وهذا مما أخبر به الصادق المصدوق حيث يقول: "**ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً**" [5] فالعز الحاصل له بالعفو أحب إليه وأنفع له من العز الحاصل له بالانتقام، فإن هذا عِزٌّ في الظاهر وهو يورث في الباطن ذُلاً، والعفو ذل في الباطن وهو يورث العز باطناً وظاهراً [6].

المسألة الثالثة : فوائد العفو والصفح

في العفو رحمة بالمسيء وتقدير لجانب ضعفه البشري ، وامتثال لأمر الله ، في العفو توثيق للروابط الاجتماعية وسبب لمرضات الله ، وهو من صفات المتقين يقول الله

---

[1] تيسير الكريم الرحمن ، ص 760.
[2] ابن كثير ، القران العظيم ، ج7ص210.
[3] نهاية الأرب في فنون الأدب ، المرجع نفسه ، ج6 ص58.
[4] إحياء علوم الدين ، ج3ص184.
[5] صحيح مسلم ،كتاب : الأدب والبر والصلة ، باب: استحباب العفو، حديث رقم 2588،ج 4ص 2001.
[6]تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن محمد بن تيمية، قاعدة الصبر ، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ،ط : العدد 16/ 1422 هـ – 2002م ص 97.

تعالى : ﴿ ﴾ [1] ، ومن يعفو ويصفح عن الناس يشعر بالراحة والطمأنينة والسكينة، وبالعفو يكسب شرف النفس وينال العزة [2] .

المطلب الثالث: الألفة بين الزوجين

المسألة الأولى: الألفة لغة واصطلاحاً:

الألفة لغة : الإِلف بالكسر ، الأليف وجمع الأليف :ألائف ويقال فُلان قد أَلِفَ يألفه إلفاً وآلفهُ إياه : غيره ، ويقال آلفت الموضع أولفه إيلافاً مؤالفة [3].

أَلِفتُ الشَّيء وآلفتُه بمعن واحد لزمتهُ، فهو مُؤلفٌ أَلِفتُ الشيء وأَلِفتُ فُلاناً إذا أنست به، وألَّفتُ بينهم تأليفا إذا جمعت بينهم بعد تفرُّق [4] .

الألفة اصطلاحاً : اتقان الآراء في المعاونة على تدبير المعاش [5] .

قال الراغب : (الإلف : اجتماع على التئام ، يقال : ألفت بينهم) [6] ﴿ ﴾

﴿ ﴾ [7] إن الدين الإسلامي دين الألفة والتواد والتعارف ، يحث أتباعه على الألفة والمحبة قال " **إن من أحبكم إليّ أحاسنكم أخلاقاً، الذين يألفون ويؤلفون**" [8] ، وعن جابر قال: قال رسول الله: "**المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وخير الناس أنفعهم للناس**" [9] .

قال المناوي في شرح قوله عليه الصلاة والسلام : "**المؤمن يألف**" قال: (لحسن أخلاقه وسهولة طباعه ولين جانبه وفي رواية ألف مألوف والألف اللازم للشيء فالمؤمن يألف الخير وأهله ويألفونه ، وقوله :"**المؤمن ألف**" يحتمل كونه مصدراً على سبيل المبالغة

---

[1] البقرة : 237.
[2] الأخلاق الإسلامية ، ج1 ص408.
[3] الرازي ، مختار الصحاح ،ص20.
[4] ابن مظور ،لسان العرب ، ج9ص10.
[5] التعريفات ، للجرجاني ، ص34.
[6] الراغب الأصفهاني ،مفردات الفاظ القرآن ، مرجع سابق ، ص81.
[7] ال عمران : 103.
[8] سبق تخريجه ،100.
[9] المعجم الأوسط ، المرجع نفسه ، باب : الميم ،حديث رقم 5787 ،ج6ص 58 .

كرجل عدل أو اسم كان أي يكون مكان الألفة ومنتهاها ومنه إنشاؤها وإليه مرجعها "**ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف**" لضعف إيمانه وعسر أخلاقه وسوء طباعه ، والألفة سبب للاعتصام بالله وبحبله وبه يحصل الإجماع بين المسلمين وبضده تحصل النفرة بينهم ، وإنما تحصل الألفة بتوفيق إلهي ، ومن التآلف ترك المداعاة والاعتذار عند توهم شيء في النفس وترك الجدال والمراء وكثرة المزاح) [1].

إن خيار الناس في نظر الشرع هم الذين يألفون ويؤلفون، وخاصة حين يكونون في منصب أو مسؤولية، إذ قد ينزلقون إلى صور من الغلظة والجفوة حين يكونون مطلوبين لا طالبين [2] ، وقال □ : " **الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**" [3]. فالألفة ثمرَة حسن الخُلق، والتفرق ثمرَة سوء الخُلق، فَحسن فَحسن الخُلق يُوجب التحبب و التآلف و التوافق، و سُوء الخــلق يُثمر التباغـض و التحـاسد

والتدابر وإذا كان المثمر محموداً ؛ كانت الثمرة محمودة [4].

المسألة الثانية: طرق بناء الألفة بين الزوجين:

يقصد بالألفة بين الزوجين: هي القدرة على التكيف وإقامة حالة من التوافق والانسجام بينهما نفسياً، وعاطفياً ، وفكرياً، واجتماعياً.

فإذا أراد الزوجان أن يكونان مُتآلفين مع بعضهما؛ فينبغي أن يكونان على منهج وتصور واحد، وأهداف مشتركة ، وطموحات متقاربة ، وأن يتميزان بعقلية متشابه ، فالزواج الناجح هو أن تكون بين الزوجين قواسم مشتركة ، فإذا وجد فرق كبير في القيم والمبادئ ينشأ الخلاف ، كذلك الفرق في المستوى الثقافي ينشأ الاختلاف [5].

إذاً فالزواج المستمر يتعلق بالقواسم المشتركة بين الزوجين، فما دامت القيم والمبادئ والآداب والآمال والآلام والتجارب والمشاعر متوافقة ؛ فالأغلب الأعم يكون هنالك

---

[1] فيض القدير، مرجع سابق ، ج6ص329.
[2] علوي السقاف ،الاخلاق الإسلامية ،ج1ص76.
[3] صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : الأرواح جنود مجندة ، حديث رقم 3336،ج2ص134.
[4] الغزالي ،إحياء علوم الدين ،ج2ص157.
[5] بناء الأسرة المسلمة في ضوء الكتاب والسنّة ، ص49.

تآلفا؛ لأن المودة والرحمة والسكينة بين الزوجين ، أساسها التوافق الناتج عن الألفة بينهما؛ فإذا كان حسن الاختيار سليما؛ كان الزواجُ ناجحاً بكلِ المقاييس ، كما جاء في قوله تعالى: ُّ ٱ سم [1]هذا التوجيه القرآني هو أمر تكليفي : أي إن كنتَ طيباً أبحث عن طيبة، وإن كنتِ طيبة لا تقبلي إلا طيباً ، ويُعرف المرء أنه طيب الخُلق من خلال أقواله [2].

جاء في تفسير ابن كثير على قول بن عباس: (..والطيبات من القول ، للطيّبين من الرجال،والطيّبون من الرجال للطيبات من القول،قال: ونزلت في عائشة وأهل الإفك) [3]

فمن طرق بناء الألفة وتثبيتها بين الزوجين ، وتقويتها في المجتمع المسلم: المعاشرة بالمعروف ، والتواضع ، فإن خفض الجناح ولين الجانب، وترك الغلظة من أسباب الألفة ؛ فمن لانت كلمته، وجبت محبته، وحسنت أحدوثته وظمئت القلوب إلى لقائه وتنافست في مودته ، وأن يكون هيناً ليناً بالقول وبالفعل؛ لأن هذا مما يوجب المودة والألفة بين الزوجين وبين الناس عامة ، وهذه الألفة والمودة أمرٌ مطلوب للشرع [4].

فإفشاء السلام والكلام الحسن سببٌ للتآلف، قال : "**يا أيها الناس أفشوا السلام... تدخلون الجنة بسلام**" [5]، والكلام الطيب من الأسباب التي تؤلف بين القلوب، قال تعالى : ُّ ٱ تر تن تى تي [6]. كذلك من أسباب الألفة ، السعي للإصلاح بين الناس والإحسان إليهم ، كما أشار إلى ذلك رسولنا الكريم في حديثه إذ قال : "**جبلت القلوب على حب من أحسن إليها ، وبغض من أساء إليها**" [7] أيضاً الهدية لها دور في تعزيز الألفة، الألفة، ولا شك أن تقديم الهدية يزيد من والمحبة والتآلف والتقارب بين المهدي والمهدى إليه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي قال: "**تهادوا تحابوا**" فالزواج

---

[1] النور : 26 .
[2] بناء الأسرة المسلمة في ضوء الكتاب والسّنّة ، ص49.
[3] القرآن العظيم،ج6 ص34.
[4] محمد بن صالح العثيمين ، شرح رياض الصالحين ، الناشر : دار الوطن للنشر ، الرياض ، ط: /1426 هـ ج1 ص 434.
[5] سنن الترمذي ، أبواب : صفة القيامة والرقائق والورع ، رقم الحديث 2485، ج4 ص 2485 .وسنن ابن ماجه، حديث رقم 1334،كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب : ما جاء في قيام الليل ،ج4 ص233.
[6] الإسراء : 53.
[7] أبونعيم أحمد الأصفهاني ، حلية الأولياء ، من حديث الأعمش عن خيثمة بن عبدالرحمن ج4 ص121.

والمصاهرة سبباً للألفة؛ لأنهما استحداث تواصل وتمازج ، صدرا عن رغبة واختيار، وانعقدا على خير وإيثار، فاجتمع فيها أسباب الألفة ، وبالمصاهرة تكون المودة والمحبة، والرحمة والحنو والشفقة، وهما من أوكد أسباب الألفة [1].

أيضاً المؤاخاة بالمودة، وهي من أسباب الألفة؛ لأنها تكسب بصادق الميل إخلاصاً ومصافاة، ويحدث بخلوص المصافاة وفاءً ومحاماة. وهذا أعلى مراتب الألفة، ولذلك آخى رسول الله بين أصحابه؛ لتزيد ألفتهم، ويقوى تظافرهم وتناصرهم . وأما البر أو الاحسان، وهو أيضا من أسباب الألفة فلأنه يوصل إلى القلوب ألطافاً، ويثنيها محبة وانعطافاً ، لذلك ندب الله تعالى إلى التعاون به وقرنه بالتقوى له فقال: ُآ [2]؛ لأن في التقوى رضى الله تعالى، وفي البر رضى الناس ، ومن جمع بين رضى الله تعالى ، ورضى الناس ؛ فقد تمت سعادته وعمت نعمته [3] .

المسألة الثالثة: فوائد الألفة

من فوائد الألفة : المرونة والقوة ، فالإنسان المرن الذي يألف ويؤلف فهو قوي، فهو كمقود المركبة ، فأقوى شيء في المركبة مقودها، لأنه مرن ، يقودها في أي اتجاه، إذاً الشخص المرن عليه المعول. فكلما كان الإنسان مرناً، مستوعباً من حوله، ومدركاً لمشاعرهم، ومقضياً لحاجاتهم، ورأى نفسه واحداً منهم، وتواضع لهم، وتفهم قضاياهم، ولم يستعلِ عليهم، كان مألوفاً عند الناس، مرناً، حكيماً، فهو أقوى واحد فيهم ،لأن أقوى إنسان في المجتمع هو الإنسان المرن، وأضعف إنسان هو الحاد الطبع الذي لا يعي، ولا يفهم من حوله، متشنج، متصلب، ذو نفس عدوانية، هذا أضعف إنسان، فالقافلة تمشي وتدعه في الطريق، فلذلك من ثمار الألفة القوة ، فالشخص كلما كان كثير الألفة يألف ويؤلف، فهو يحتل موقعاً مرموقاً في المجتمع، فمن يألف يُؤلف محبة الله ورسوله والمؤمنين. فبالتآلف يتحقق التماسك الأسري و الاجتماعي وتشيع روح المودة بين المسلمين، وتوفر جواً اجتماعياً سليماً، فينمو الإنسان المسلم نمواً سليماً في إطار مبادئ الإسلام وقيمه.[4]

---

[1] ابن عثيمين ، شرح رياض الصالحين ، مرجعسابق ،ج2 ص 544.
[2] المائدة : 2.
[3] الأخلاق الإسلامية ،ج1ص80.
[4] نضرة النعيم ، ج2ص506.

المبحث الرابع : التحلي بالصبر والرفق والرحمة

المطلب الأول : الصبر بين الزوجين

المسألة الأولى : الصبر لغةً واصطلاحاً

لغةً : حبس النفس عن الجزع ، صبر فلان يصبر صبراً وصبرتُهُ: حبسته[1] . قال تعالى: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﴿[2].

الصبر نقيض الجزع صَبَرَ يصبرُ صبراً، فهو صابر، وصبّار وصبيرٌ، وصبُور، والأنثى صبور بغير هاء ، وجمعه صُبُرٌ . وأصل الصبر الحبس ، وكل من حبس شيئاً فقد صبر[3] .

اصطلاحاً: عرفه بن القيم بقوله: (هو خُلُق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها) [4].

وجاء في التعريفات: أنه ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله [5] .

---

[1] الجوهري ، الصحاح ، ص706.
[2] الكهف : 28.
[3] لسان العرب ، ج4 ص 437.
[4] محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية ،عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، الناشر : دار بن كثير ،بيروت ، مكتبة دار التراث ، المدينة المنورة ،ط : الثالثة /1409 هـ – 1989م ، ص34.
[5] للجرجاني ،ص131.

ويضيف ابن القيم : أن أصل هذه الكلمة هو المنع والحبس فالصبر حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكي والجوارح عن لطم الخدود و شق الثياب و نحوهما و يقال صبر يصبر صبراً وصبّر نفسه ، ويقال صبر إذا أتى بالصبر وتصبّر إذا تكلفه واستدعاه و اصطبر إذا اكتسبه وتعلمه ، وصابر إذا وقف خصمه في مقام الصبر، وصبّر نفسه وغيره بالتشديد إذا حملها على الصبر [1].

للصبر ثلاث معاني ، كما جاء في الحديث الشريف عن الصبر؛ عن عليِّ بن أَبي طالب قال: قال رسولُ اللَّه : "**الصَّبْرُ ثَلَاثٌ: فَصَبْرٌ عَلَى الْمُصِيبَةِ وَصَبْرٌ عَلَى الطَّاعَةِ، وَصَبْرٌ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، فَمَنْ صَبَرَ عَلَى الْمُصِيبَةِ حَتَّى يَرُدَّهَا بِحُسْنِ عَزَائِهَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ ثَلَاثَمِائَةِ دَرَجَةٍ بَيْنَ الدَّرَجَةِ إِلَى الدَّرَجَةِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَمَنْ صَبَرَ عَلَى الطَّاعَةِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ سِتَّمِائَةِ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَةِ إِلَى الدَّرَجَةِ كَمَا بَيْنَ تُخُومِ الْأَرْضِ إِلَى مُنْتَهَى الْعَرْشِ وَمَنْ صَبَرَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ تِسْعَمِائَةِ دَرَجَةٍ،مَا بَيْنَ الدَّرَجَةِ إِلَى الدَّرَجَةِ كَمَا بَيْنَ تُخُومِ الْأَرْضِ إِلَى مُنْتَهَى الْعَرْشِ مَرَّتَيْنِ**" [2].

المسألة الثانية : فضل الصبر والحث عليه :

الصبر من أكثر الأخلاق التي اعتنى بها القرآن الكريم، ولقد تكرر ذكره كثيراً في القرآن.

قال ابن تيميّة رحمه الله :"قد ذكر الله الصّبر في كتابه في أكثر من تسعين موضعاً وقرنه بالصّلاة [3] في قوله تعالى: ﴿ [4]. وقد سيق الصبر في القرآن بعدة أنواع منها: ما جاء في سياق الأمر ، كقوله تعالى :﴿ [5] ، وقوله سبحانه :

---

[1] عدة الصابرين ، المرجع نفسه، ص 15.

[2] أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان المعروف بابن أبي الدنيا ، الصبر والثواب عليه، تحقيق : محمد خير رمضان يوسف ، دار ابن حزم ،بيروت – لبنان،ط : الأولى / 1418 هـ -1997م ،ج1 ص30-31.

[3] نضرة النعيم ، ج6 ص2443.

[4] البقرة : 153.

[5] النحل : 127.

ُّأبي تر [1] وقوله جل وعلا : أأ [2] والصبر سبب للأجر لقوله تعالى: أأ [3].

ومن فضائل الصبر ما ورد في السنّة النبوية : قال رسول الله : "**ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر**" [4] . وعن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "**عجباً لأمر المؤمن إنّ أمره كلّه خير، وليس ذلك لأحد إلّا للمؤمن، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له**" [5] . أيضا كان السلف والعلماء يقدرون قيمة الصبر ويعملون به، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إن أفضل عيش أدركناه بالصبر، ولو أن الصبر كان من الرجال كان كريماً) [6] .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قُطع الرأس باد الجسد، ثم رفع صوته فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له) [7] .

المسألة الثالثة: صور الصبر:

هنالك مجالات ينبغي للإنسان أن يضبط نفسه عليها، وخاصة الزوجان : وهي: ضبط النفس عند الغضب والطيش ، لدى مثيرات عوامل الغضب في النفس وأيضاً ضبط النفس عن الخوف لدى مثيرات الخوف في النفس ، وضبط النفس عن السأم والملل، لدى القيام بأعمال تتطلب الدأب والمثابرة خلال مدة مناسبة، أيضاً ضبط النفس عن العجلة والرعونة، لدى تحقيق مطلب من المطالب المادية أو المعنوية ، كذلك ضبط النفس عن الضجر والجزع عند حلول المصائب ومس المكاره، وضبط النفس عن

---

[1] القلم : 48.
[2] الأحقاف: 35.
[3] الزمر : 10.
[4] صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب : الاستعفاف عن المسألة عن أبي سعيد الخدري ، رقم الحديث 1469ج1ص324 ومسلم كتاب الزكاة ، باب: فضل التعفف والصبر، حديث رقم 1053 ج2ص729.
[5] صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، باب : المؤمن أمره كله خير ، حديث رقم حديث 2999ج4 ص 2295.
[6] ابن أبي الدنيا ، الصبر والثواب عليه ، ص 23.
[7] المرجع نفسه ،ص24.

الاندفاع وراء أهوائها وشهواتها وغرائزها، وضبط النفس لتحمل المتاعب والمشقات والآلام الجسدية والنفسية[1].

فالإنسان يتميز بالصبر النفساني الاختياري ، كصبر النفس عن فعل ما لا يحسن فعله شرعاً ولا عقلاً ، فهذا النوع من الصبر مختص به الإنسان دون الحيوان أما صبر البدن والنفس الاضطراريين، فهي مختصة بنوع الإنسان والدواب معاً وقد يكون بعضها أقوى صبراً من الإنسان، وإنما يتميز الإنسان عنها بالنوع الاختياري ، وكثير من الناس تكون قوة صبره في النوع الذي يشارك فيه الدواب لا في النوع الذي يخص الإنسان فيعد صابراً وليس من الصابرين . فالإنسان منا إذا غلب صبره باعث الهوى والشهوة التحق بالملائكة، وإن غلب باعث الهوى والشهوة صبره التحق بالشياطين وإن غلب باعث طبعه من الأكل والشرب والجماع صبره ، التحق بالحيوان ، قال قتادة :(خلق الله سبحانه الملائكة عقولاً بلا شهوات وخلق البهائم شهوات بلا عقول، وخلق الإنسان وجعل له عقلاً وشهوة ، فمن غلب عقله شهوته فهو من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو كالبهائم، ولما خُلق الإنسان في ابتداء أمره ناقصاً لم يُخلق فيه إلا شهوة الغذاء الذي هو محتاج إليه ، فصبره في هذه الحال

بمنزلة صبر البهائم، وليس له قبل تمييزه قوة الاختيار) [2].

الحياة الزوجية مليئة بالتحديات والمشكلات، وهكذا سنة الحياة، لكن مدى وعينا بذلك وإدراكنا له ؛هو الذي يضمن لنا أن نحول هذه التحديات إلى فرص تزيد من دفء الحياة الزوجية، وهو الذي يضمن كذلك أن نحول المحن إلى منح تدعم حياتنا إلى الأفضل ، وأهم ما ينبغي إدراكه هو ضرورة الصبر في الحياة الزوجية، فالحياة الزوجية تحتاج لإنسان صبور حتى يتمكن من خوض التجربة بنجاح أما الذي يفتقدون إلى الصبر فاحتمال إخفاقهم مع أول مشكلة أو تحدي كبير جدا، وأن المصلحة قد تكون أعظم في صبر كل من الزوجين على الآخر.

المسألة الرابعة :التحلي بخلق الصبر بين الزوجين:

---

[1] عبد الرحمن الميداني، الأخلاق الإسلامية ، ج2 ص 294.

[2] ابن الجوزية ،عدة الصابرين ، مرجع سابق ، ص43.

فقد أوجب الإسلام على الزوجين احتمال كل واحدٍ منهما الآخر، والصبر على ما لا يعجبه منه من أقواله وتصرُّفاته ، إذ الواجب أن يستحضر كل منهما معاني العفو والتسامح والرحمة والصفح الجميل ، مجانباً العتاب والقسوة والشدَّة ، والنظر إلى المزايا والجوانب الحسنة وغض الطرف عن المآخذ والعيوب ، فإن وجدت الكراهية من أحد الزوجين للآخر أو النفرة منه من غير فاحشةٍ أو نشوزٍ فعلى الطرف الآخر أن يتحلى بخُلُق الصبر تجاهه ويحتمل الأذى منه ، فإن الصبر مجلبة للخير وتفدياً من انهيار سقف الحياة الزوجية بينهما [1].

فقد أوجب الإسلام على الزوجين احتمال كلِّ واحدٍ منهما أذى الآخر والصبر على ما لا يعجبه منه من أقواله وتصرّفاته وسيرته، إذ الواجب أن يستحضر كلّ منهما معاني العفو والتسامح والرأفة والصفح الجميل إلى جانب العتاب ، والاعتراف بالحسنات والمزايا إلى جوار التقصير والمآخذ والعيوب، فإن وُجدت الكراهية من أحد الزوجين للآخَر أو النفرة منه والرغبة عنه من غير فاحشةٍ أو نشوزٍ؛ فعلى الطرف الآخر أن يتحلَّى بخُلُقِ الصبر تجاهه، ويحتمل الأذى وقلّة الإنصاف منه، فإنَّ في الصبر مجلبةً للخير وتفادياً من انهيار سقف الحياة الزوجية بينهما، وفي سياق هذا المعنى قال تعالى: أ ني ير ¤

[2]. وقال : "**وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**" [3].

المسألة الخامسة : الصبر على الزوجة

من صبر على زوجته، فهذا من محاسن الأخلاق ، وبه ينال الأجر والثواب من الله تعالى ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي قال : " **لا يفرك مؤمن من مؤمنة ، إن كره منها خُلقاً رضي منها آخر**" [4].

قال النووي : (أي ينبغي أن لا يبغضها ؛ لأنه إن وجد فيها خُلقاً يكره وجد فيها خُلقاً مرضياً ، بأن تكون شرسة الخُلق ، لكنها دينة وعفيفة ، أو جميلة ، أو رفيقة به رغم

---

[1] البغوي ،شرح السنة ، مرجعسابق ،ج10 ص٦٢.
[2] فصلت : 34 ، 35 .
[3] صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب : الاستعفاف عن المسألة ، حديث رقم 1469ج2 ص 122 .
[4] سبق تخريجه ، ص 43

حدتها، أو نحو ذلك) [1]. ففي هذا الحديث دعوة لملاطفة النساء والإحسان إليهن والصبر والاحتمال على من يسئ من خُلقها ، فمن الممكن أن تخطيء المرأة كما الرجل أيضاً يخطيء ، فلا يكون ذلك مدعاة للعنف معها وإلحاق الأذية بها ، فليكن لما هو أقرب للتقوى من العفو الرحمة وإقالة العثرة ،وذلك لكي تستقر به العشرة [2].

المسألة السادسة: الصبر على الزوج:

عمل المرأة في بيتها وحُسن تبعلها لزوجها، يعادل الجهاد في سبيل الله كما جاء في الحديث قال رسول الله "ف**انظري أين أنت منه فإنما هو جنتك أو نارك**"[3] إن صبر المرأة على زوجها سبب من أسباب دخولها الجنة، عن أسماء بنت يزيد الأنصارية أتت النبي وهو بين أصحابه فقالت: أنا وافدة النساء إليك ، بأبي أنت و أمي يا رسول الله ،إنا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم، ومقضى شهواتكم، وحاملات أولادكم، وإنكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات، وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله، وإن الرجل منكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مرابطاً حفظنا لكم أموالكم وغزلنا لكم أثوابكم وربينا لكم أولادكم أفما نشارككم في هذا الخير يا رسول الله؟ فالتفت النبي إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال: سمعتم ما قالت امرأة قط أحسن من مساءلتها عن أمر دينها من هذه؟ قالوا: يا رسول الله ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا، فالتفت النبي إليها ثم قال " **... إعلمي من ورائك من النساء أن حُسن تبعل إحداكنَّ لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته؛ يعدل ذلك كله**" [4]. فإذا تأملنا هذا الحديث جيداً لوجدت فيه المرأة سراً لو اكتشفته الزوجات لعشن في سعادة وأي سعادة، إذاً؛ ما هو هذا السر، أو ما هو العمل الذي لو قامت به المرأة في بيتها

---

[1] شرح النووي على صحيح مسلم ، كتاب النكاح ، باب : الوصية بالنساء ، حديث رقم 4169، ج10 ص 58.

[2] الحياة الزوجية ، ص54.

[3] محمد ناصر الدين الألباني ، صحيح الترغيب والترهيب ، كتاب اللباس والزينة ، باب: التغيب في غض البصر والترهيب من اطلاقه ، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض ،ط : الخامسة ، حديث رقم 1509 ، ج1 ص 316.

[4] سبق تخريجه ص 80.

؛لعادل جهاد في سبيل الله؟ نحن نعلم منزلة الجهاد وأجره، فلنسأل أنفسنا هل هذا العمل هو إعداد الطعام وترتيب المنزل رعاية العيال و....؟ –لا؛ بل هو مجاهدة النفس وتقويمها على الصبر على الحياة الزوجية ومتطلباتها، إن ومعرفة إن ما تواجهه الزوجة من زوجها وحُسن تبعله ؛ إذا قابلته بالصبر والاحتساب عند الله ؛ فلها أجر عظيم ، يكون في منزلة الجهاد، وتكون على يقين بأن الله عليم بجهادها؛ فالتصبر وتحتسب فلها الجنة بإذن الله، وإنما الزوج وسيلة للوصل لمنزلة الجهاد وهو من أحب الأعمال إلى الله . وإرضاء الله وحده أليس غاية ما نصبو إليه؟

المسألة السابعة: فوائد الصبر بين الزوجين:

يورث الهداية في القلب ويثمر محبّة الله ومحبّة النّاس وسبب للتّمكين في الأرض والفوز بالجنّة والنّجاة من النّار، ومعيّة الله للصّابرين و دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام[1].

فالصبر هو مفتاح حُسن العشرة والتعامل بين الزوجين ، وهو خُلق جامع لكثير من الفضائل ، ولما له من أهمية بالغة في حياة المسلم ، فبالصبر يستطيع الزوجان التغلب على كثير من النقائص و الأزمات لأنه ؛ لا يوجد إنسان مبرأ من العيب والنقص . فالزوج قد يرى من خُلق زوجته ما لا يحب ، وهي كذلك قد تجد في سلوك زوجها ما لا ترضى ، فإن كانت في حقيقتها أمور محتملة ؛ فمن الأولى الصبر عليها وغض الطرف عنها والنظر إلى غيرها من صفات حميدة ، وطباع إيجابية لدى الشريك ، مع العمل على إصلاح نفسه وتزكيتها بأناة ورفق، والإنسان محتاج إلى الصبر في كل حياته فلا يستغني عنه بحال من الأحوال[2].

فإذا كان الإسلام قد حث على الصبر عموماً؛ فلا شك أن الزوجين ، أحوج ما يكونان إلى هذا الخُلق ؛ لأنهما يعيشان مع بعضهما في جميع الحالات ، في الشدة والرخاء ، في العسر واليسر، في الصحة والمرض ، وفي حال إقبال النفس وسعادتها وفي حال اكتآب النفس وتعاستها، فهما أحوج إلى الصبر في كل حياتهما فمن غير الصبر لا

[1] صالح بن عبد الله ،نضرة النعيم ، ج6 ص 2471.
[2] ابن القيم ،عدة الصابرين ، ص101.

يستطيعان الاستمرار مع بعضهما، فالصبر مفتاح كل خير ، ولقد كان رسول الله القدوة الحسنة في الصبر في كل الأحوال، ومع زوجاته فهو أكثر صبراً ، ولقد وصى وأرشد الرجل أن يصبر على زوجته وأن يعاملها برفق وسعة صدر، وكان من أخر وصياه عن النساء، فقال:" **استوصوا بالنساء خيرا**"[1] ، فيجب النظر إلى الجوانب الإيجابية في كل من الزوجين ، فما من رجل ولا امرأة إلا وفيه الحسُن والقبيح ، فالصبر والتحمُّل، ومعرفة الاختلاف في المدارك والعقول، والتفاوت في الطباع، مع ضرورة التسامح والتغاضي عن كثير من الأمور تستقر حياتهما[2].

المسألة الثامنة: الأسباب التي تعين على الصبر في الحياة الزوجية:

لما كان الصبر مأموراً به جعل الله سبحانه له أسباباً تعين عليه وتوصل اليه وكذلك ما أمر الله سبحانه بالأمر إلا أعان عليه ونصب له أسباباً تمده وتعين عليه كما أنه ما قدر داءً الا وقدر له دواء أو ضمن الشفاء باستعماله فالصبر وإن كان شاقاً على النفوس فتحصيله ممكن وهو يتركب من مفردين العلم والعمل؛ فمنهما تركب جميع الأدوية التي تداوى بها القلوب والأبدان فلا بد من جزء علمي وجزء عملي فمنها يركب هذا الدواء الذى هو أنفع الأدوية. فأما الجزء العلمي فهو إدراك ما في المأمور من الخير والنفع واللذة والكمال وإدراك ما في المحظور من الشر والضر والنقص، فإذا أدرك هذين العلمين كما ينبغي، أضاف اليهما العزيمة الصادقة والهمة العالية والنخوة والمروءة الإنسانية، وضم هذا الجزء إلى ذاك الجزء ، فمتى فعل ذلك حصل له الصبر وهانت عليه مشاقه وحلت له مرارته وانقلب ألمه لذة ، وقد تقدم أن الصبر مصارعة باعث العقل والدين لباعث الهوى والنفس، فالطريق فيه تقوية من أراد أن تكون الغلبة له ويضعف الآخر كالحال مع القوة والمرض [3] .

فمن الأسباب التي تعين على الصبر :

أن يتدبر كل من الزوج والزوجة القرآن الكريم وينظر إلى آياته نظرة تأمل وأن يستعين بالله في مصابه، وأن يعلم أن ما أصابه مقدر من الله: فعليه أن يتجنب الجزع وأنه لا ينفعه بل يزيد من مصابه، وأن يعلم أن ابتلاء الله له هو امتحان لصبره و إن صبر

---

[1] سبق تخريجه ،ص 41.
[2] البيت السعيد وخلاف الزوجين ، ص 22.
[3] المرجع السابق ، ص53.

فالله ناصره ، فالله وكيل لمن صبر، و أن يتيقن بأن نعم الدنيا فانية ولا تستقر لأحد، وأن يعلم أن مرارة الدنيا هي حلاوة الآخرة ، والزوجان هما أحوج للصبر في مسيرة حياتهما [1]. و قدوتنا في الصبر رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام ، فهو مضرب المثل في الصبر وسعة الصدر وعظيم التجمل، وثبات القلب ، وهو إمام الصابرين وقدوة الشاكرين[2] . فيجب أن يكون الباعث على الصبر ابتغاء وجه الله عز وجل، والتقرب إليه ورجاء ثوابه، لا لإظهار الشجاعة وقوة النفس وغير ذلك من الأغراض [3].

المطلب الثاني : الرفق بين الزوجين :

المسألة الأولى: الرفق لغةً واصطلاحاً

الرفق لغة : الرِّفق ضد العنف ، رفق بالأمر، وله وعليه يرفُق رفقاً، ورفُق يرفقُ ورَفِقَ لطف ، ورفَق بالرجل وأرفقه، ترفّق به [4].

الرفق اصطلاحاً: هو لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل وهو ضد العنف[5]. الرفق هو اللين في المعاملة، هو المداراة مع الرفقاء ولين الجانب واللطف في أخذ الأمر بأحسن الوجوه وأيسرها[6] أوصى الإسلام بالرفق وحث عليه واعتبر المحروم منه، محروم من خير كثير ، وذلك لأن ؛ الرفق في الأمور من شأنه أن يصلح ويعطي أفضل النتائج ، بخلاف العنف فمن شأنه أن يفسد ويأتي نتائج سيئة [7] .

المسألة الثانية : الرفق على ضوء الكتاب والسنة

يقول تعالى: ُّ ◘ نى ◘ ي ◙ [8] و قال سبحانه مخاطباً الرسول :

---

[1] محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ،زاد المعاد في هدي خير العباد ، **الناشر**: **مؤسسة الرسالة** ، بيروت - **مكتبة المنار** الإسلامية، الكويت**ط** : **السابعة والعشرون** /1415هـ /1994م **ج4ص173.**

[2] الأخلاق الإسلامية ، ص 324.

[3] **السعدي**، تيسير الكريم الرحمن ، ص 416.

[4] **لسان العرب** ، ج10 ص 118.

[5] **فتح الباري** ،ج10ص449.

[6] القاري، مرقاة المفاتيح ، ج 8 ص 3170.

[7] الأخلاق الاسلامية لعبد الرحمن الميداني ،ج 2 ص337 .

[8] **ل عمران** : 159.

أآ ◘ تيتي [1]، أي: أرفق بهم وألن جانبك لهم [2] و قال رسول الله " **من يحرم الرفق يحرم الخير**"[3] ، قال ابن عثيمين :(يعني أن الإنسان إذا حرم الرفق في الأمور فيما يتصرف فيه بنفسه ، وفيما يتصرف فيه مع غيره فإنه يحرم الخير كله أي : فيما تصرف فيه ، فإذا تصرف الإنسان بالعنف والشدة ؛ فإنه يحرم الخير فيما فعل وهذا شيء مجرب ومشاهد، أن الإنسان إذا صار يتعامل بالعنف والشدة لا ينال الخير ويحرم منه ، وإذا كان يتعامل بالرفق والحلم والأناة وسعة الصدر مع زوجته وأسرته وكل من يتعامل معه ، حصل على خير كثير ، على هذا ينبغي للإنسان الذي يريد الخير أن يكون دائماً رفيقاً حتى ينال الخير) [4]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (سمعت من رسول الله ، يقول في بيتي هذا: "**اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم ، فأشقق عليه ، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم، فارفق به**"[5] . . وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي قال : " **إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه**"[6] وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي قال : " **من أُعطيَ حظه من الرِّفق فقد أُعطيَ حظه من الخير ، ومن حُرِمَ حظه من الرِّفق فقد حُرِمَ حظه من الخير**"[7] ، إذ به تنال المطالب الأُخروية والدنيوية وبفوته يفوتان [8] .

فالرفق أساسه رحمة مشتقة من الاتصال بالله ، فالمتأمل في خلق الإنسان يجده عقل يدرك ، ونفس تنضوي بين جنبيه، وجسم يتحرك، فالنفس لها خصائص، فبقدر اتصالها بالله ؛تكون أقرب للكمال.

---

[1] الشعراء : 215.
[2] عبد الله بن أحمد بن علي الزيد البغوي، معالم التنزيل ، الناشر : دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض ، ط : الأولى : 1416ه. ج6ص207.
[3] صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب: فضل الرفق ، حديث رقم 2592 ، ج4 ص 2003.
[4] شرح رياض الصالحين ،ج3 ص592 .
[5] صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب ، باب : فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية ، حديث رقم 1828ج3ص1458.
[6] صحيح مسلم ،كتاب البر والصلة والآداب ، باب : فضل الرفق حديث رقم 2594 ج4 ص 2004.
[7] سنن الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب :ما جاء في الرفق حديث رقم2013 ج3 ص 435.
[8] فيض القدير ، للمناوي،ج6ص75.

فالرفيق يرحم من حوله و يبتغي به محبة الله تعالى لمحبته سبحانه للرفق ، عملاً بقول النبي :" **إن الله رفيق يحب الرفق**"[1]. فصلوات الله وسلامه عليه يوصيهم به ويرغبهم فيه، ويرشدهم عليه عطاءً لا يعطيه على شيء آخر ويُفهم من النصوص ، إن الرفق عنوان سعادة العبد في الدارين ، وهو يزين الأشياء ، إذاً الرفق واللين كان بسبب رحمة من الله ، فالله رحمه برحمة الرفق ، فإذا كان الزوج رفيقاً رحيماً في معاملته مع زوجته وأولاده ؛ أحبوه والتفوا حوله ، كذلك الزوجة ، إذا تخلقت بخُلُق الرّفق واللين في معاملتها مع زوجها وأولادها كسبت محبتهم وسعدت بهم وسعدوا بها، فالرفق من الرحمة ، فما لم تكن الرحمة عامة مع الآخرين ؛ وخاصة مع الأسرة فلا قيمة للرحمة ؛ لأن الرحمة شيء داخلي فطري لها منعكس خارجي ، كيف وأن الإنسان له شعور إيجابي داخلي في القلب ، ينعكس مودة وتسامحاً عند الخطأ ، فالرحمة في القلب تنعكس ليناً ، والحب في القلب ينعكس مودة وهي أرفع درجات المحبة [2].

فهذه النصوص التي ذُكرت ، تدل أن الرفق في الأمور ، والرفق بالناس واللين والتيسير من الأخلاق الإسلامية ، وأنها من صفات الكمال ، وأن الله من صفاته أنه رفيق ، وأنه يحب عباده الذين يتصفون بالرفق ، والرفق دليل على فقه الإنسان ،وبه يعيش الزوجان في سعادة وهناء وينشأ المجتمع سالماً من الغل والعنف، وهو دليل على كمال الإيمان وحُسن الإسلام ، وينمي روح التعاون بين الناس، وهو طريق يوصل إلى الجنة [3]. وقدوتنا في الرفق نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه ، كان رفيقاً هيناً ليناً سهلاً في تعامله وفي أقواله وأفعاله ، وكان يحب الرفق ويترفق بالنّاس ويحثهم عليه ويرغبهم فيه ، وكان رفيقاً بقومه رغم أذيتهم له ، أيضاً كان رفيقاً بنسائه ويوصي أصحابه بالرفق بالنساء ، إذ قال لسائق الإبل يقال له أنجشة، كان يحدو للإبل ببعض الشعر حتى تسرع على حدائه وعلى ظهرها النساء ، فقال له

---

[1] سنن أبي داود ، كتاب الأدب ،باب : في الرفق ، حديث رقم 4807، ج4ص254.
[2] الأخلاق الإسلامية ، لعبد الرحمن الميداني ج2 ص 339 .
[3] نضرة النعيم ،ج 6ص 2168 .

النبي : "**يا أنجشة رفقاً بالقوارير**"[1].

المطلب الثالث: الرحمة بين الزوجين

المسألة الأولى : الرحمة لغةً واصطلاحاً :

قال الجوهري " الرحمة : الرقة والتعطف[2]. وقال ابن منظور : والرحمة عند العرب رقة القلب وعطفه [3].

الرحمة اصطلاحاً : الرحمة: رّقّة تقتضي الإحسان إلى المرحوم وقد تستعمل تارة في الرّقّة المجردة ، وتارة في الإحسان المجرد عن الرّقّة [4] وقيل : هي رّقّة في النفس تبعث على سوق الخير لمن تتعدى إليه [5] .

إن آية من كتاب الله عز وجل ، تغني عن كثير من كلام البشر ، قال تعالى : ُّ [6] ، هذه الآية التي تنطق نوراً ورِقّة ، يبين ربّ العالمين سبحانه أنه يجمع بين زوجين ، فيجعل بين قلبيهما مودة من الناحية النفسية ورحمة من الناحية السلوكية ، فإذا اكتست العلاقة الزوجية مودة ورحمة ؛ تفجرت ينابيع المحبة في بيت الزوجية، ومنحته الدفء، فضلاً عن الشعور بالأمن الداخلي والاستقرار النفسي ،

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الفضائل ، باب: في رحمة النبي ، حديث رقم 2323 ج4ص1811 .

[2] الجوهري ،الصحاح ج 5 ص1929.
[3] لسان العرب ج12 ص230.
[4] الراغب الأصفهاني ،مفردات القرآن ،ج1 ص347 .
[5] ابن عاشور ،التحرير والتنوير ،ج26ص21.
[6] الروم : 21.

فليتأمل الناس ويتذكرون يد الله التي خلقت لهم من أنفسهم أزواجاً ، وأودعت نفوسهم هذه العواطف والمشاعر ، وجعلت في تلك الصلة سكناً للنفس والبدن ، وراحة للجسم والقلب، واستقرار للحياة والمعاش ، وأُنساً للأرواح والضمائر ، واطمئناناً للرجل والمرأة على السواء ، والتعبير القرآني اللطيف الرفيق يصور هذه العلاقة تصويراً موحياً، وكأنما يلتقط الصورة من أعماق القلب وأغوار الحس :

ﱡ ﱠ [1] فيدركون حكمة الخالق في خلق كل من النوعين، على نحو يجعله موافقاً للآخر. ملبياً لحاجته الفطرية؛ النفسية والعقلية والجسدية. بحيث يجد عنده الراحة والطمأنينة والاستقرار ، ويجدان في اجتماعهما السّكن والاكتفاء، والمودة والرحمة، لأن تركيبهما النفسي والعصبي والعضوي يجد فيه تلبية رغبات كل منهما في الآخر، يحدث عنه ائتلافهما وامتزاجهما، يتحقق منه إنشاء حياة جديدة تتمثل في إنجاب جيل جديد [2] .

قال ابن كثير : (إن من تمام رحمة الله ببني أدم ، أن جعل أزواجهم من جنسهم ، وجعل بينهم وبينهنّ مودة ، وهي المحبة ، ورحمة وهي الرأفة ، فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبته لها ، أو رحمة بها ، أو لألفة بينهما) [3] .

المسألة الثانية: مقتضى الرحمة بين الزوجين

تعد الرحمة بين الزوجين من أهم المقوّمات التي تجعل الطرف الآخر ،أن يهتم به ويحنو عليه ، وتكسب الطرف الآخر شعوراً بالثقة، مما يجعله يضحي من أجله ، كما أن الرحمة تعد رمزاً للحماية والأمان ، والراحة والاستحسان، وهذه الصفات تجعل الزوجان متمسكين ببعضهما ومرتبطين بها وجدانياً، وتعد الرحمة من المقومات التي يرتكز عليها البيت ، فالمودة والرحمة إذا نزعتا من البيت ؛ كانت الحياة الزوجية شقاءً ودماراً ، فالرحمة مفهوم عظيم تُجسّد معنى الإنسانية ، فالكريم هو الذي لا يتعسف

[1] الروم : 21.
[2] سيد قطب ، في ظلال القرآن ،ج5 ص485
[3] القرآن العظيم ،ج3 ص569.

باستخدام تسلطه على زوجته . والكريمة هي التي تراعي وترحم زوجها على نوائب الدهر. فمقتضى الرحمة هو إيصال الخير إلى الغير [1].

يقول ابن القيم رحمه الله : (الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد وإن كرهتها نفسه وشقت عليها ، فهذه هي الرحمة الحقيقية .فمن رحمة الأم أو الأب بولده : أن يكرهه على التأدب بالعلم والعمل ،ويشق عليه في ذلك بالضرب وغيره ، ويمنعه شهواته التي تعود بضرره ، ومتى أهمل ذلك من ولده كان لقلة رحمته به، وإن ظن أنه يرحمه و يرفهه ويريحه! فهذه رحمة مقرونة بجهل [2].

المسألة الثالثة: أهمية الرحمة بين الزوجين :

إن الناس عامة والمتزوجين خاصة يبحثون عن السعادة ، ولكنهم قلما يعلمون أن التخطيط للحياة السعيدة تبدأ بفكرة ، وتنتهي بعمل، فالسعادة لا تأتي بمجرد الرغبة فيها ولا بمجرد حفظ مبادئها ؛ بل لا بد من العمل الجاد والالتزام الدائم المستمر بمبادئها والسير في طريقها [3]. الرحمة خُلُق سام وسجية عظيمة ،لا بد أن يتخلق بها المؤمن والمؤمنة ، ويتصف بها كل من الزوج والزوجة ، فهي من مبادئ الإسلام الأساسية وأخلاقه الكريمة . وتتجلى أهميتها في أن الله عز وجل تسمّى واتصف بها ، فمرة باسم الرحمن ، ومرة باسم الرحيم ، وذو الرحمة ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ [4]، فقد سمّى الله نفسه بهذين الإسمين العظيمين المشتملين على الرحمة ، قال بن عباس :(هما إسمان رقيقان ، أحدهما أرق من الآخر، أي: أكثر رحمة) [5]. ووصف الله سبحانه بذي الرحمة في قوله جل وعلا :

---

[1] **جليم محمد المطوع** ،الحروف الأبجدية في السعادة الزوجية ، ص43.

[2] محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ،**المحقق** محمد حامد الفقي ، الناشر مكتبة المعارف ، الرياض – المملكة العربية السعودية ، (د.ت) ،ج2 ص74 .

[3] **خالد عبد الرحمن العك، بناء الأسرة المسلمة في ضوء الكتاب والسنة** ، ص48.

[4] **الفاتحة** : 1-2.

[5] تفسير البغوي ، **مرجع سابق** ،ج1ص51.

ﭐﱡ ﲋﲌﲍ ﱠ[1]، وأيضاً امتنان الله عز وجل على الخلقِ بأن رحمته واسعة ، وأنها رغم سعتها،لا يستحقها إلا الذين اتقوه و استجابوا لأمره [2] يقول سبحانه : ﭐﱡ ﱠ ﲢ
[3]

تكمن أهمية الرحمة، في أنها ركيزة من أهم الركائز التي تقوم عليها الأسرة المسلمة والمجتمع المسلم بجميع أفراده ، يستشعرون من خلالها معنى الوحدة والألفة فيصيرون كالجسد الواحد الذي يشتكي إذا اشتكى أحد أعضائه ويئن إذا أنَّ، كما حثنا على ذلك رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام : **مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى** " [4]. وقال عليه الصلاة والسلام :"**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ** " [5]. هذا الحديث دعوة لكل زوجين أن يتعاملا بالرحمة والتواد والتعاطف ، فالتراحم المراد منه؛ أن يرحم بعضهما بعضاً بأخوة الإيمان ، وأما التواد فالمراد به ؛ التواصل الجالب للمحبة كالتزاور والتهادي ، وأما التعاطف فالمراد به؛ إعانة بعضهما بعضاً [6].

المسألة الرابعة : فضل الرحمة بين الزوجين

الرحمة بين الزوجين ومع أولادهما ومع النّاس عامة، من الأعمال التي يرضاها الله ويجازي عليها ، وهي علامة على رِّقّة ورأفة القلب ، ورقته علامة الإيمان ، ومن لا رأفة له ، لا إيمان له ومن لا إيمان له ،لا رحمة عنده ، فمن لا رحمة عنده شقيَّ [7]. و و يقول رسول الله ﷺ " **لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ**"[8]. وقال رسول الله ﷺ :

---

[1] الكهف : 58.
[2] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير ،الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة،ط : الأولى، 1417 هـ - 1997م ج1ص154.
[3] الأعراف :156.
[4] صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والأدب ، باب : تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ، رقم الحديث 2586 ج4ص1999 .
[5] سنن أبو داود ، كتاب الأدب باب: الرحمة ، حديث رقم 4941،ج4ص285.
[6] فتح الباري ، ج10 ص439.
[7] زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي ، التيسير بشرح الجامع الصغير ، الناشر : مكتبة الإمام الشافعي – الرياض ،ط : الثالثة /1408 هـ - 1988م، ج2 ص 962.
[8] سنن أبي داود ، كتاب الأدب باب : الرحمة ، حديث رقم 49 42 ، ج4 ص 286 .

" **لا يرحم الله من لا يرحم النّاس**" [1] . فالرحمة بين الزوجين ومع الناس من أكبر الأسباب التي ننال بها رحمة الله التي من آثارها نيل خيرات الدنيا وخيرات الآخرة ، وفقدها من أكبر الموانع لرحمة الله ، والعبد في غاية الضرورة والافتقار إلى رحمة الله تعالى ، لا يستغني عنها، وكل ما فيها من النعم واندفاع النقم ؛ من رحمة الله ، فمتى أراد أن يستبقيها ويستزيد بها ؛فليعمل جميع الأسباب التي ينال بها رحمته ، وتجتمع كل هذه المعاني في قوله تعالى: **ٱٱ سم** [2]. هم المحسنون في عبادة الله ، المحسنون لعباد الله . والإحسان إلى الخلقِ أثر من آثار رحمة العبد بهم ، أما من كان بعيداً عن الإحسان بالخلق ظلوماً غشوماً، شقياً، فهذا لا ينبغي له أن يطمع في رحمة الله وهو متلبس بظلم عباده. لقد استفاضت تلك الآيات والأحاديث الدالة على الرحمة بمفهومها وهي لا تكاد تحصى ، وذلك؛ لأنه ما من معاملة من المعاملات ، أو رابطة من الروابط الاجتماعية أو الإنسانية إلا وأساسها وقوام أمرها الرحمة، فمن علاقة الإنسان بنفسه، وعلاقته بأسرته وأهله ، إلى علاقته بمجتمعه المحيط به ، إلى معاملته بجميع خلق الله من إنسان أو حيوان ، كل ذلك مبني على هذا الخلق الرفيع والسجية العظيمة [3] .

المسألة الخامسة : علامات وصور الرحمة :

فمن علامات الرحمة في قلب العبد ، يقول السعدي : (أن يكون محباً لوصول الخير لنفسه ولأسرته ولكافة الخلق عموماً ،وللمؤمنين خصوصاً ، كارها حصول الشر والضرر عليهم ، فبقدر هذه المحبة ؛ تكون رحمته) [4] . فما إن وجدت هذه العلامة في قلب العبد ؛ دلت على أن قلبه عامر بالرحمة ، فعلم بالرأفة . إن الرحمة الإنسانية هي وحدها الحقيقة الكبرى ، فإنما هي هذا الحب بدءاً من محبة الزوج لزوجته، والزوجة لزوجها ، وهو الحب الأخص، ثم الوالدين لأولادهما وهو الحب الخاص ، ثم

---

[1] صحيح البخاري، كتاب التوحيد باب : قول الله تبارك وتعالى : قل ادعو الله أو ادعو الرحمن أيا ما تدعو ا فله الأسماء الحسنى – الإسراء 110 حديث رقم 7376 ج9 ص115 .

[2] الأعراف : 56.

[3] أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن حمد آل سعدي ، بهجة قلوب الأبرار ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ط: الأولى / 1422 هـ -2002م ص118.

[4] المرجع نفسه، ص189.

من الإنسان للإنسانية جمعا، وهو الحب مطلقاً بعمومه وبغير أسبابه الملجئة من الحاجة والغريزة ؛ وهي درجات الحياة نفسها ، من الطفولة إلى الشباب ثم إلى الشيخوخة [1] .

فالرحمة بين الزوجين ومع أولادهما ، من الأعمال التي يرضها الله ويجازي عليها، فرحمة الصغار ومعانقتهم وتقبيلهم والرفق بهم، من علامات الرحمة ولقد حث عليها النبي ، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: جاء إعرابي للنبي ، فرأى النبي ، يقبِّل الحسن بن علي فقال : أتقبلون الصّبيان ؟ فما نقبّلهم ! فقال النبي : "**أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة** "[2]، وفي رواية أخرى لأبي هريرة رضي الله عنه قال : قبّل رسول الله الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس جالساً ، فقال الأقرع : إن لي عشرة من الولد ما قبلتُ منهم أحداً ، فنظر إليه رسول الله ، ثم قال : " **من لا يرحم لا يُرحم**" [3] وقال أيضاً : "**الراحمون يرحمهم الرحمن، أرحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء**" [4] . وتحدثنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن امرأة من الصحابة تجلّت فيها أروع صور الرحمة وأعظمها، وهي الرحمة بالعيال والشفقة عليهم والعطف عليهم . تقول السيدة عائشة: (جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات ، فأعطيت كل واحدة منهما تمرة ،ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها ؛فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة بينهما ، التي كانت تريد أن تأكلها . فأعجبني شأنها . فذكرتُ الذي صنعت[5] لرسول الله ، فقال: " **إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ**" [6]. ومن ومن صور الرحمة أيضاً ، الرحمة بمن هم تحت اليد من العمال والخدم وغيرهم ،

---

[1] مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي ،**وحي القلم** ، دار الكتب العلمية ،ط: **الأولى** / 1421 هـ - 2000م ج3ص9-10.

[2] صحيح البخاري ،كتاب الآدب باب : رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ،حديث رقم 5998 ،ج8 ص 7 .

[3] صحيح البخاري ، **كتاب الأدب باب : رحمة الولد** ، حديث رقم 5997، ج8 ص7 .

[4] **سنن الترمذي** ، كتاب البر والصلة باب : ما جاء في رحمة المسلمين ، حديث رقم 1924، ج3 ص 388.

[5] عبد الرحمن الميداني ،الأخلاق الإسلامية ، ص 246.

[6] صحيح مسلم ،كتاب البر والصلة والآداب باب: فضل الإحسان إلى البنات حديث رقم 2630ج 4 ص 2027

والنهي عن تعذيب الحيوان أو إخافته أو إجهاده أو تجويعه، فعلينا أن نترفق بهم. نقيض هذه الصورة ذكر رسول الله ، صورة لامرأة دخلت النّار بسبب عدم ترفقها بالحيوان ، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله قال :" **دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ**"[1] وعلى نقيض هذه الصورة السلبية، فأمامنا صورة إيجابية تجسد معنى الرّحمة . ذكر رسول الله صورة أخرى لامرأة غفر الله لها ذنبها بسبب كلب. عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه قال: قال رسول الله : "**بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ**(2) **بِرَكِيةٍ** (3)، **كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا** (4) **فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ**" [5].

أوصى الإسلام بالرفق بالحيوانات الأليفة خيراً، فأوصى بالإحسان إليها، واطعامها، وسقيها، وعدم إيذائها، نلاحظ في المشهد الأول؛ حبس تلك المرأة للهرة ! فلم تطعمها وتسقيها؛ ولم تتركها بدون حبس لتبحث لها عن حشرة تأكلها وتجد لها ماءً تشربه! لكنها حبست حتى ماتت جوعاً وعطشاً، ففي هذه المرأة؛ أخبر الله تعالى نبيه أنها ستعذب بالنار يوم القيامة ، فهذا المشهد السلبي يدل على عدم الرحمة في قلب هذه المرأة التي لم تترفق بالهرة ؛ بينما هنالك مشهد إيجابي آخر على نقيض المشهد الأول لامرأة أُخرى بغي ترى كلباً يشتد به العطش ؛ فتأخذها الشفقة عليه فخلعت حذائها، وملأته ماءً وسقت به الكلب، فشكر الله لها صنيعها، فغفر لها.

المسألة السادسة : أثر وفوائد الرحمة بين الزوجين :

---

[1] صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق ، باب : خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم ، حديث رقم 3318 . ومسلم ، كتاب السلام باب: تحريم قتل الهرة ،حديث رقم 2242 ج 4 ص 1760 .

[2] يطيف ،أطاف طوفاً وطوافاً، طاف على المكان : دار حوله وبه وعليه وفيه وأحاط به المعجم الوسيط ،باب: الضاد ، مرجع سابق ،ج2 ص 570.

[3] الرّكية تعني البئر ،المعجم الوسيط ، باب: الراء ، ج1 ص 371.

[4] الموق : خُف غليظ يلبس فوق الخُف والجمع أمواق ، المعجم الوسيط ، باب : الميم ج 2 ص 892.

[5] صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء باب : حديث الغار، حديث رقم 3467ج4 ص173.

للتحلي بخلق الرحمة فوائد عظيمة وثمار جليلة ، فما إن يتحلى المؤمن بهذه السجية العظيمة ويتجمل بها حتى تظهر آثارها وتأتي أُكلها ، ليس عليه فقط ؛ بل عليه وعلى أسرته ، وعلى من حوله ، فإنها سبب لينال العبد بها رحمة الله ، فمن يتحلى بها مخصوص برحمته تعالى جزاءً لرحمة العبد بخلقِ الله. ومن أعظم فوائدها؛ أن المتحلّي بها يتحلى بخُلق النبي ، وأيضاً من فوائدها محبة الله للعبد ‘ ومن ثم محبة الناس له . الرحمة ركيزة عظيمة يُبنى عليها مجتمع مسلم متماسك، يحث بعضه ببعض، ويعطف بعضه على بعض ، ويرحم بعضه بعضا ، فهي تشعر المرء بصدق انتمائه للصف المسلم ، إذ أن من لا يرحم، لا يستحق أن يكون فرداً في المجتمع أو جزءاً منه [1] ، لذا قال رسول الله " **ليس منا من لا يرحم صغيرنا ويوقّر كبيرنا**" [2] . ومن صور الرحمة ، الرحمة بين الزوجين والرحمة على الأبناء وبر الوالدين وخفض جناح الذل من الرحمة لهما : عن عبد الله بن مسعود قال: سألت النبي : أي العمل أحبُ إلى الله عزّ وجلّ ؟ قال :"**الصّلاة على وقتها. قال: ثمّ أيّ؟ قال: برّ الوالدين. قال: ثمّ أيّ؟ قال: الجهاد في سبيل الله**" [3] وحث النبي على الرحمة بالزوجات وعلى الاستيصاء بالمرأة خيراً، والإحسان إليها، لما جاء في حديثه قال : " **استوصوا بالنساء خيراً؛ فإنهن عوانٌ عندكم، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله** "[4] .أيضاً من صور الرحمة الشفقة على الأبناء والعطف عليهم والحزن إذا أصابهم مكروه ، فالشفقة على الأبناء دليل الرحمة والرقة والرأفة .[5]

---

[1] الأخلاق الإسلامية ،ص 241.

[2] سنن الترمذي، باب البر والصلة ،حديث رقم 1920 ،من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ،ج3 ص 386.

[3] صحيح مسلم ،كتاب الإيمان باب : بيان كون الإيمان بالله تعلى أفضل الأعمال، حديث رقم85، ج1 ص 88

[4] سبق تخريجه ،ص 41.

[5] أبو عبد الله، آل سعدي ،بهجة قلوب الأبرار ج 1 ص190 .

الرحمة عصمة من الفتن ، فهي تعصم العبد من الفتن وتقيه من السيئات، فإذا وقى الله العبد من السيئات ؛ فهذه رحمة منه سبحانه ، خاصة نحن الأن في زمن الفتن والإبتلاءت . فالرحمة تعين المرء وتنجيه من شر نفسه ، فما نلاحظه من علاقة طيبة بين زوجين ؛ فأساسها الرحمة والتراحم بينهما ،وبين كل أفراد الأسرة . ففي حال الصحة والشباب تتجلى علاقة الحب والمودة بين الزوجين ، فالمودة تنعش هذه العلاقة وتؤلّفها ، و في حال تقدم العمر والضعف تتجلى علاقة الرحمة ؛ لأن ضعف الصحة في الشيخوخة يجعل الإنسان بحاجة إلى رحمة الآخرين وشفقتهم وعطفهم ولأقرب الناس إليه وأقرب صلة ؛ هي صلة الزوجين .

المسألة السابعة: طرق اكتساب خُلُق الرحمة:

فمن الأسباب التي تعين الأزواج والزوجات وكل فرد من المجتمع أن يجتهد على التخلُق بهذا الخلق الكريم : القراءة في سيرة رسول الله والتدبر في معالمها، والتأسي به في مواقف رحمته .

مجالسة الرحماء ومخالطتهم، والابتعاد عن ذوي الغلظة والفظاظة، فالمرء يكتسب من جلسائه طباعهم وأخلاقهم.

تربية العيال على هذا الخُلق العظيم ومحاولة غرسه في قلوبهم، ومتى نشأ الناشئ على الرحمة ثبتت في قلبه وأصبحت سجية له. معرفة جزاء الرحماء وثوابهم ، وأنهم هم الجديرون برحمة الله دون غيرهم ، ومعرفة عقوبة الله لأصحاب القلوب القاسية، فإن هذا مما يدفع للرحمة ويردع عن القسوة. أيضاً معرفة الآثار المترتبة عن التحلي بهذه السجية العظيمة والثمار التي يجنيها الرحماء في الدنيا قبل الآخرة. الاختلاط بالإيتام والضعفاء والمساكين وذوي الحاجة فإنه مما يرقق القلب ويدعو إلى الرحمة والشفقة بهؤلاء وغيرهم .فالرحمة التي في القلوب تظهر آثارها على الجوارح واللسان، في

السعي في إيصال البر والخير والمنافع إلى الناس،وإزالة الأضرار والمكاره عنهم. كذلك التعرض لرحمة الله والسعي وراء أسبابها، فالله تبارك وتعالى لا يرحم إلا الرحماء [1] .

فإذا تراحم الناس ، لما كان بينهم جائع ولا مغبون ولا مهضوم ولأقفرت الجفون من المدامع ، ولإطمأنت الجنوب في المضاجع ، ولمحت الرحمة الشقاء من الأسرة ومن المجتمع ، كما يمحو الصبح مداد الظلام [2].

[1] عبد الرحمن الميداني ،الأخلاق الإسلامية ، ص244.

[2] مصطفى لطفي بن محمد لطفي حسن المنفلوطي ،المؤلفات الكاملة، دار الهدى الوطنية للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، لبنان ، (دت) ، ص88.

المبحث الخامس :الحوار والتشاور بين الزوجين

المطلب الأول :الحوار لغةً واصطلاحاً:

لغةً: يأتي في اللغة بمعان عدة منها:

1- مراجعة الكلام في المخاطبة: المُحاورة : مُراجعة الكلامِ فِي المخاطبة، تَقول حاورته فِي المنطق، وأَحرت له جواباً، وما أَحارَ بِكلمَة [1].

الحور: مصدر حار يحورُ حوراً إِذا رَجع، والحور: الرُّجوع من صلَاح إِلى فساد أومن زِيَادة إِلى نُقصان ، وحاورت فلَاناً محاورة وحواراً وحويراً إِذا كلمك فأجبته [2].

2- بمعنى المجاوبة على الكلام: المحاورة: المجاوبة، والتحاور التجاوب، والمحاورة قال ابن منظور: (الحَوْر: هو الرجوع عن الشيء إلى الشيء ،وهم يتحاورون أي: يتراجعون الكلام. والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة) 3.

يقال: حاورته : راجعته الكلام، وهو حسن الحوار[4].

3- بمعنى تجاذب الكلام : قال الراغب الأصفهاني: (المحاورة والحوار: المرادّة في الكلام، ومنه التحاور) 5 . يقول الله تعالى: ﴿ ﴾ [6].

---

1 محمد بن أحمد بن الأزهري أبو منصور الهروي، تهذيب اللغة ، المحقق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط : الأولى / 2001م ج1 ص147.

2 أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، جمهرة اللغة ، المحقق: رمزي منير بعلبكي دار العلم للملايين – بيروت ،ط : الأولى/ 1987م ، مادة " ح ور" ج1 ص 525.

3 لسان العرب ، فصل الحاء المهملة ،ج4 ص218..

4 أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري ،أساس البلاغة ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، : دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،ط : الأولى، 1419 هـ - 1998م ، ج 1ص221.

5 راغب الأصفهانى ،المفردات في غريب القرآن ، كتاب الحاء مادة " حور " ص262 .

6 المجادلة : 1 .

الحوار: في الاصطلاح :

عرف بعدة تعريفات منها:

1/ هو: مراجعة للكلام أو نوع من الحديث بين طرفين أو أكثر،يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة ، فلا يستأثر به أحدهما دون ، الآخر ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب [1] .

2/بمعنى أن يتناول الحديث طرفان أو أكثر عن طريق السؤال والجواب ، بشرط وحدة الموضوع أو الهدف ، فيتبادلان النقاش حول أمر معين ، وقد يصلان إلى نتيجة ، أوقد لا يقنع أحدهما الآخر ولكن السامع يأخذ العبرة ويكوّن لنفسه موقفاً [2] .

3/ هو: محادثة بين شخصين أو فريقين أو أكثر، حول موضوع محدد ، لكل منهما وجهة نظر خاصة به ، هدفها الوصول إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر ، بعيداً عن الجدل ، بطريق يعتمد على العلم والعقل، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة[3].

4/ حديث بين طرفين أو أكثر حول قضية معينة ، الهدف منها الوصول إلى الحقيقة ، بعيداً عن الخصومة والتعصب ،بل بطريقة علمية إقناعية ، ولا يُشترط فيها الحصول على نتائج فورية [4] .

المطلب الثاني : الفرق بين الحوار والجدل :

فالحوار مراجعة الكلام وتبادله بين المتحاورين وصولاً إلى غاية مستنداً إلى أنه يجري بين اثنين أو أكثر ليس بينهم صراع ومنه قوله تعالى:ٌّآ ◘ [5]

وأما الجدال فأكثر ورده في القرآن الكريم بالمعنى المذموم كقوله تعالى :

---

[1] أصول الحوار ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الرياض / 1415 هـ ص11.

[2] عبد الرحمن النحلاوي ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، دار الفكر – دمشق ، ط : الثانية / 1995م ص206.

[3] بسام عجك ، الحوار الإسلامي ، دار قتيبة / 1418 ، ص20.

[4] خالد بن محمد المغامسي ،الحوار وآدابه في التربية الإسلامية ، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني ،ط : الأولى /1425 هـ ص32.

[5] الكهف : 37.

ﱡ ﯨﯩﯪ[1] وقوله سبحانه :ﱡ ﯨ[2] ويجمع سبحانه وتعالى بين الحوار والجدال بمعنى تطارح الرأي والأخذ والرد [3] في آية واحدة فقال سبحانه: ﱡ ﭑﭒﭓﭔﭕ ﭖﭗﭘﭙﭚ ﭛﭜﭝﭞﭟ ﭠﭡﭢﭣﭤ ﭥﭦﭧﭨﭩ ﭪﭫﭬﭭﭮ ﭯﭰﭱﭲﭳ ﭴﭵﭶﭷﭸ ﭹﭺﭻﭼﭽ ﭾﭿﮀﮁﮂ ﮃﮄﮅﮆﮇ ﮈﮉﮊﮋﮌ ﮍﮎﮏﮐﮑ ﮒﮓﮔﮕﮖ ﮗﮘﮙﮚﮛ ﮜﮝﮞﮟﮠ ﮡﮢﮣﮤﮥ ﮦﮧﮨﮩﮪ ﮫﮬﮭﮮﮯ ﮰﮱﯓﯔﯕ ﯖﯗﯘﯙﯚ ﯛﯜﯝﯞﯟ ﯠﯡﯢﯣﯤ ﯥﯦﯧﯨﯩ ﯪﯫﯬﯭﯮ ﯯﯰﯱﯲﯳ ﯴﯵﯶﯷﯸ ﯹﯺﯻﯼﯽ ﯾﯿﰀﰁﰂ ﰃﰄﰅﰆﰇ ﰈﰉﰊﰋﰌ ﰍﰎﰏﰐﰑ ﰒﰓﰔﰕﰖ ﰗﰘﰙﰚﰛ ﰜﰝﰞﰟﰠ ﰡﰢﰣﰤﰥ ﰦﰧﰨﰩﰪ ﰫﰬﰭﰮﰯ ﰰﰱﰲﰳﰴ ﰵﰶﰷﰸﰹ ﰺﰻﰼﰽﰾ ﰿﱀﱁﱂﱃ ﱄﱅﱆﱇﱈ ﱉﱊﱋﱌﱍ ﱎﱏﱐﱑﱒ ﱓﱔﱕﱖﱗ ﱘﱙﱚﱛﱜ ﱝﱞﱟﱠﱡ[4].

أما الجدل: فهو: إظهار المتنازعين مقتضى نظرتهما على التدافع والتنافي بالعبارة أو ما يقوم مقامهما من الإشارة والدلالة ، حيث إن الجدل مظنة التعصب والإصرار على نصرة الرأي بالحق وبالباطل، والتعسف في إيراد الشبه والظنون حول الحق إذا برز من الاتجاه الآخر [5] .

الجِدَال: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة [6] .

مما سبق يتبين أن الحوار هو تبادل المعلومات والأفكار والآراء سواء أكانت تبادلاً رسمياً أم غير رسمي، مكتوباً أم شفوياً. وينعقد الحوار بمجرد التعرف على وجهات نظر الآخرين وتأملها وتقويمها والتعليق عليها. ومن هذا الفهم يمكن أن يطلق الحوار على تلاقح الثقافات بين بعضها الآخر، وما يحصل من جراء ذلك من تلاقي المتحاورين وتصويب بعضهم لبعض وتأثير بعضهم في بعض[7].

المطلب الثالث : مفهوم مبدأ الحوار والتشاور في الإسلام:

دعا الإسلام إلى مبدأ الحوار والتشاور، واعتمدهما في تبليغ الدعوة الإسلامية. فما المقصود بالحوار؟ وما المقصود بالتشاور؟ وما هي الضوابط والآداب التي وضعهما الإسلام لهما؛ فالحوار في الإسلام له أصول وآداب ينبغي للمسلم مراعاتها حتى يكون المرء ملتزماً بحدود الله، عاملاً في مرضاته، متجنباً مساخطه، فما أكثر عثرات اللسان حين يتكلم، وما أكثر مزالقه حين يتحدث؛ وقد قال الله تعالى :ﱡ ﭑﭒﭓﭔﭕ ﭖﭗﭘﭙﭚ ﭛﭜﭝﭞﭟ ﭠﭡﭢﭣﭤ ﭥﭦﭧﭨﭩ ﭪﭫﭬﭭﭮ ﭯﭰﭱﭲﭳ ﭴﭵﭶﭷﭸ ﭹﭺﭻﭼﭽ ﭾﭿﮀﮁﮂ ﮃﮄﮅﮆﮇ ﮈﮉﮊﮋﮌ ﮍﮎﮏﮐﮑ ﮒﮓﮔﮕﮖ ﮗﮘﮙﮚﮛ ﮜﮝﮞﮟﮠ ﮡﮢﮣﮤﮥ ﮦﮧﮨﮩﮪ ﮫﮬﮭﮮﮯ ﮰﮱﯓﯔﯕ ﯖﯗﯘﯙﯚ ﯛﯜﯝﯞﯟ ﯠﯡﯢﯣﯤ ﯥﯦﯧﯨﯩ ﯪﯫﯬﯭﯮ ﯯﯰﯱﯲﯳ ﯴﯵﯶﯷﯸ ﯹﯺﯻﯼﯽ ﯾﯿﰀﰁﰂ ﰃﰄﰅﰆﰇ ﰈﰉﰊﰋﰌ ﰍﰎﰏﰐﰑ ﰒﰓﰔﰕﰖ ﰗﰘﰙﰚﰛ ﰜﰝﰞﰟﰠ ﰡﰢﰣﰤﰥ ﰦﰧﰨﰩﰪ ﰫﰬﰭﰮﰯ ﰰﰱﰲﰳﰴ ﰵﰶﰷﰸﰹ ﰺﰻﰼﰽﰾ ﰿﱀﱁﱂﱃ ﱄﱅﱆﱇﱈ ﱉﱊﱋﱌﱍ ﱎﱏﱐﱑﱒ ﱓﱔﱕﱖﱗ ﱘﱙﱚﱛﱜ ﱝﱞﱟﱠﱡ

---

[1] غافر : 5.
[2] الأنفال : 6.
[3] عبد الرب نواب آل نواب ، وسطية الإسلام ودعوته إلى الحوار ، الناشر : الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف – السعودية ، ص19.
[4] المجادلة : 1.
[5] أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ، الفروق اللغوية ، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر،(د.ت) ، ص158.
[6] المفردات في غريب القرآن ،ص 189.
[7] مجدي السيد أحمد بن سيف الدين تركستاني، الحوار مع أصحاب الأديان ، الناشر : وزارة الأوقاف السعودية، (د.ت)ص9-10.

[1]، فكم من حوار نزغ الشيطان فيه بين المرء وصاحبه فكانت عاقبته الفراق! وكم من حوار بين زوج وزوجته لم يراع فيه أصول الحوار وآدابه كانت نهايته الطلاق! وكم من حوار بين مجتمعات وبين دول لم يراع فيه الالتزام بآداب الحوار! فكانت النهاية النزاع والشتات والفرقة والحرب والاقتتال [2]. يقول الله تعالى: ﴿ [3]

يعتبر الحوار والتشاور من أهم مسالك الدعوة إلى الله، أمرنا الإسلام بالإلتزام بهما؛ لإيجاد الحلول الناجعة ، سُميت " سورة الشورى " تنويها بمكانة الشورى في الإسلام وتعليماً للمؤمنين أن يقيموا حياتهم على هذا المنهج الأمثل والأكمل ، لما له من أثر عظيم جليل في حياة الفرد والأسرة والمجتمع . ولقد مدح الله سبحانه وتعالى المؤمنين الذين يتصفون بمجموعة من الأوصاف والآداب المتجلية في التزام الشورى واستجابتهم وطاعتهم لربهم وتبادل الآراء في أمورهم ومشاكلهم كما جاء في قوله تعالى: ﴿ [4]، فهذا هو المنهج الرفيع الذي ينبغي أن يتصف به أهل أهل الدعوة إلى الله تعالى،وما ينبغي عليهم العمل به في محاوراتهم للغير ممّن يدعون من الناس ،حيث نجد الرسول يوصي أصحابه بالشورى فيما بينهم حتى لا يسود الاستبداد بالرأي [5].

المطلب الرابع : الهدف من الحوار

المقصود من الحوار ليس المجابهة والإفحام ، إذ إن ذلك يعد من باب المناظرة والمجادلة ومحاولة الظهور على الخصم وتعجيزه عن الرد؛ وإنما المقصود أن يحصل كل طرف على معرفة وجه نظر الطرف الآخر وحجته في القضية التي هي موضوع

---

[1] الإسراء : 53.
[2] المرجع السابق ، ص 6.
[3] النحل : 125.
[4] الشورى : 38.
[5] سلم عجك ، مرجعسابق ،الحوار الإسلامي ، ص12.

الحوار. وكذلك تعريف الطرف الآخر بما يغيب عنه أو يلتبس عليه من المعلومات ووجهات نظره و مواقفه من ثغرات وأخطاء، والعمل على تداركها وإصلاحها، الهدف من الحوار أيضاً تشييد جسر للتواصل السلمي وسد الطريق أمام المواجهات والمصادمات والخلافات مما يبدد الجهود [1].

المطلب الخامس : أهمية الحوار في الإسلام

عُني القرآن الكريم بالحوار، ولا غرابة في ذلك ، فالحوار هو الطريق الأقوم للإقناع، ورد في القرآن نماذج كثيرة متنوعة من الحوار تبين أهميته ، ومن الأمثلة على ذلك ما دار من حوار بين رب العزة وملائكته ، فهنا تكمن وتتجلى مركزية الحوار و المنطق بين العبد وربه؛ فعندما أراد سبحانه وتعالى؛ أن يجعل في الأرض خليفة، أخبر الله عز وجل الملائكة وحاورهم، في قوله تعالى: ﴿ٱلخ لم لى لي ◻ نى ◻ يي ◻﴾ [2] . وكذلك ما دار بين الله عز وجل وسيدنا إبراهيم عليه السلام ، عندما حين سأل ربه أن يريه كيف يحي الموتى ؟ في قوله تعالى: ﴿ٱلخ لم لى لي ◻ نى ◻ يي ◻ بر﴾ [3]. ونموذج آخر وهو حوار إبليس مع رب العزة جل وعلا، وعدوه إبليس الرجيم ، في قوله تعالى : ﴿ٱلخ لم لى لي ◻ نى ◻ يي ◻﴾ [4].إلى غير ذلك من الحوارات الكثيرة بين الأنبياء وأقوالهم ، وبين السادة والاتباع ، فكل ذلك يدل على أهمية الحوار ويؤكد على أن القرآن يعتمد أسلوب الحوار في توضيح الحقائق ، وهداية العقل ، وتحريك الوجدان ، وأنه لا يوجد مقدسات في الحوار،ويفتح الأبواب التي تؤدي إلى حسن التلقي ، والتدرج في الحجة [5].
[5].

---

[1] أحمد بن سيف الدين تركستاني ، الحوار مشروعيته وشروطه وآدابه ، الناشر : موقع وزارة الأوقاف – السعودية ص15 .
[2] البقرة : 30.
[3] البقرة : 260.
[4] الأعراف : 12 ، 13.
[5] أصول الحوار ، مرجع سابق ، ص 13.

فما نلاحظه من الحوار الذي دار بين إبليس مع ربه ؛ فإن الله جلا و علا يعلم مقصد الشيطان ، وماذا يريد أن يقول ، ويعلم سبحانه ، أن الشيطان عدواً له ، ومع ذلك ؛ حاوره لكي لا يكون له حجة على عدم طاعته سبحانه ، فهذا من عدل ورحمة الله بخلقهِ حتى وهم مخالفين لأمره . فالحوار يتمثل في تبادل الأفكار التي من شأنها أن تنبه الطرف الآخر إلى خطئه فيما يلتزمه ، فالقرآن يعلمنا أن نرفض السلوك وأن نحاسب عليه الشخص المخطئ ، وليس بالنية ، وهذه دعوة لنا في التأني في الحكم على الآخرين ، والتماس الأعذار لحين تجميع المعلومات الكافية ، و لكي نفهم حقيقة الأمور من وراء ذلك السلوك المقصود ، ثم بعد ذلك يصدر الحكم ، كما جاء في القرآن، فبعد أن أقام إبليس الحجة الباطلة؛ حكم الله عليه بطرده من الجنة ، ووصفه بأنه رجيم ، فهذا هو ميزان العدل وكمال الحكمة .

المطلب السادس : مفهوم وأهمية الحوار بين الزوجين

مفهوم الحوار بين الزوجين :هو التفاعل بين الزوجين عن طريق المناقشة والحديث عن كل ما يتعلق بشؤونهما وعرض الأفكار والرؤى بينهما، بحيث يجري الحديث بينهما متكافئاً دون التعصب في الرأي ؛ بل يكون برحابة صدر ، وسماحة نفس ، والبعد عن الخصومة ، مما يؤدي إلى وجود تواصل وألفة بينهما [1].

أما الحوار الإيجابيّ بين الزوجين أساس العلاقة السويّة ، والحياة السعيدة ، وغيابه يجعل الأسرة عُرضة لأعاصير الخلافات ، و بدونه لا يستطيع كل طرف أن يفهم الطرف الآخر. و لقد أصبح "الحوار" من أكثر المواضيع بحثاً ؛ نظراً لأهمية الحوار في عملية الاتّصال والتواصل الإنسانيّ، وفي نجاح كثير من العلاقات والمهام، كما أنّ انعدام الحوار بين الزوجين من الأسباب المؤدية لانفصام عُرى الزوجية [2] .

المطلب السابع : آداب الحوار والتشاور بين الزوجين

كيف يكون الحوار بين الزوجين ؟ وما الهدف من الحوار؟ وكيف ينجح ؟ وكيف يستمر؟

---

[1] المرجع نفسه، ص5.

[2] عمر بن عبد الله الكامل ،آداب الحوار وقواعد الاختلاف ، الناشر : وزارة الأوقاف السعودية ،(دت)، ص4.

الحوار بين الزوجين هو المقياس الأهم في تحديد مستوى العلاقة بينهما ، فالحوار بين الزوجين له عمق نفسي ، و يساعد على وجود إحساس بالدفء والترابط والألفة في الحياة الزوجية والأسرية ، حتى لو كان حواراً بسيطاً ؛ لأن النظر هنا ليس لماهية الحوار، وإنما لما يترتب عليه ، فكل كلمة ينطق بها أحد الزوجين تترك أثراً لدى الطرف الآخر، لذا وجب أخذ الحوار بينهما بعين الاعتبار والعمل به . فاستخدام آداب الحوار والإلتزام بها من الدعائم التي تبني على استمرار نجاح الحوار والوصول إلى نتائج وحلول مرضية بين الأطراف ، في زمن كُثر فيه الإختلاف بين الأزواج ، وكُثر فيه أيضاً التباغض والتباعد بين الناس، فالإختلاف بين الزوجين أمر طبيعي ، وهو ما جبلت عليه الفطرة البشرية [1] .

والهدف من الحوار ؛ هو تقريب وجهات النظر، فالحياة الزوجية تحتاج إلى التحاور والتشاور والإستشارة والتوجيه والإرشاد لتقريب وجهات النظر وتضييق هوة الخلاف ، وإيجاد الحلول المناسبة التي ترضي الطرفين[2].

ولكي يحقق الحوار الأهداف المرجوة منه، يجب التحلي بمجموعة من المسائل والآداب:

المسألة الأولى :أن يكون الكلام هادفاً إلى الخير:

فالنية الصالحة في الحوار والحكمة في القول وعدم تحويله إلى جدال ؛ كسب للطرف الآخر ، قال تعالى: **ﭐﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ** [3] ، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: "**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت** " [4].

---

[1] الحروف الأبجدية في السعادة الزوجية ، ص52.

[2] آداب الحوار وقواعد الاختلاف ، مرجع سابق ، ص4.

[3] النساء : 114.

[4] صحيح البخاري ، كتاب الرقائق ، باب : حفظ اللسان ، حديث رقم 6475، ج 3ص 241.

المسألة الثانية : أن يكون الحوار صريحاً وهادئاً و بنّاءً :

أي: بأحسن الأساليب للوصول إلى قلب المستمع وإقناعه، فالحوار الهادئ مفتاح للقلوب وطريق إلى النفوس ، فالعلاقة بين الزوجين ينبغي أن تقوم على الوضوح و الصراحة ، فذلك أدعى إلى بناء الثقة، وتوثيق الروابط [1] .

المسألة الثالثة : التواضع أثناء الحوار:

البعد عن التباهي أو المفاخرة حتى لا يضيع الغرض من الحوار والبعد عن عبارات المدح للنفس أو للغير، إلا لمصلحة وبالضوابط الشرعية ، فيكثر في بعض مجالس الرجال و النساء الحديث عن النفس وتزكيتها، وهذه خصلة ممقوتة منهي عنها؛ فقد قال تعالى: ﴿ ﴾ [2]، وتزكية النفس داخلة في باب الافتخار غالبًا، وقد نهانا رسول الله عنه ، فإن وجد ما يقتضي تزكية النفس إما للتعريف وإما لتوضيح الأمور المبهمة، وإما لدفع تهمة أو غيرها في الأمور المشروعة ، وأن يبتعد كل طرف عن التركيز على العيوب والنقائص [3] .

المسألة الرابعة: حُسن الاستماع والإصغاء إلى المحاور:

1/ عدم مقاطعة الشخص المتحدث والصبر عليه، فإحترام رغبات وخصوصيات الطرف الآخر و الإصغاء له ؛ يدعم الحوار، فإن المتحدث المقنع هو المصغي الجيد ، والهدوء والإستماع للطرف الآخر وخفض الصوت أثناء الحوار؛ يعزز من قيمة الحوار.

2/ البعد عن الاستبداد بالرأي والتعصب للرأي الشخصي، وفرض الرأي أو بطريقة إلقاء الأوامر، فالأحرى اتباع طريقة النقاش الهادئ والإقناع ،وبدء الحديث أولاً حول النقاط المتفق عليها بذكر الإيجابيات قبل السلبيات، وليس المختلف فيها ، فهذا أدعى لهدوء النفس وسكينتها، فإذا عرضتَ فأحسن العرض ، وإذا طلبتَ فأحسن الطلب.

---

[1] آداب الحوار ، ص 4.
[2] النجم : 32.
[3] المرجع السابق، ص5 .

3/ التفكر في وجهة نظر الآخر ؛ فهذا يختصر الطريق في حل المشكلة [1].

المسألة الخامسة: البعد عن المراء والجدل:

كم من القلوب تشتتت بسبب الجدل الذي لا طائل تحته ولا فائدة من ورائه، ولا يقصد منه إلا إفحام الطرف الآخر أو التشهير به، وإظهار الخلل في كلامه أو فعله أو قصده، ولذا حثنا ورغبنا الرسول البعد عن المراء فقال:" **أنا زعيم ببيت في رياض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً**" [2].

المطلب الثامن : آدابُ الحوار النفسية

هناك آداب تتعلق بنفسية المحاور وشخصه، وهناك ظروف نفسية قد تطرأ على الحوار فتؤثر فيه تأثيراً سلبيا، فينبغي مراعاة ذلك حتى يحقق الحوار غاياته ويؤتي ثمراته، فيجب مراعات مآلات ومقتضيات الأحوال في الحوار و اختيار الوقت المناسب له، فما كلُّ وقت يناسب فيه الحوار ، وهذه النقطة يخلُّ بها كثير من الأزواج ، كما ينبغي اختيار المكان الهادئ ، أو تهيئة الجو في المنزل وإتاحة الزمن الكافي للحوار، كما ينبغي مراعاة الظرف النفسي والاجتماعي للطرف الآخر، فلا يصلح أبداً أن يتم الحوار مع شخص يعاني من الإرهاق الجسدي أو النفسي، أو إعياء لأن؛ هذه الأمور ستؤثر في مخرجات الحوار. أيضاً حُسن المناداة للطرف الآخر في تودد وسماحة وبالكلمة الطيبة والقول الحسن لها تأثير في إيجابية الحوار[3] فلا ينبغي التدابر والتباغض إذا انتهى الحوار إلى إصرار كل على رأيه، وعلينا تقبل الرأي والرأي الآخر بسماحة نفس. ويقتضي في الحوار؛ التحلي بخُلق الحِلم وسعة الصدر و البعد عن السب أو الشتم أو التجريح أو الاستفزاز أو السخرية من وجهة نظر الطرف الآخر ،كذلك حُسن الاختيار للكلمات والأسلوب ؛ فالكلمة تقرّب أو تبعد ، وتحبّب أو تستفزّ وتنفّر وكثيراً ما كان الحوار نوعاً من الهجوم ، الذي ينتظر الهجوم المضادّ ، وكأنّ المتكلّم في ساحة معركة ، لا في علاقة حوار ،مع التحلّي بالرفق والمرونة ، والبعد عن رفع الصوت

---

[1] جاسم محمد المطوع ،البيوت السعيدة ، ص 60.

[2] سنن أبي داود ، كتاب : الأدب ، باب: في حُسن الخُلق ، حديث رقم 4800، ج4 ص 253.

[3] عمر بن عبدالله الكامل، آداب الحوار ، وقواعد الاختلاف ،مرجع سابق ، ص74.

والانفعال، فمن كانت له حاجة عند صاحبه ، فليتلطّف ، وإنّ الرفق لا يكون في شيء إلاّ زانه ، ولا ينزع من شيء إلاّ يكون سبباً في أن يشينه .

تجنب الإنتقاد المباشر الحاد، ومقاطعة الحديث والسخرية أو الإستهزاء أو إستخدام العبارات الجارحة واللوم والعتاب أثناء الحوار ، فمن الأفضل إذا أخطأ أحد الطرفين ينبغي أن يسلم بخطئه، ولا يستمر في الدفاع عن الخطأ ، فهذا يجعله لا يفقد مصداقيته أمام الطرف الأخر، بل بهذا يستعيد قيمته ، وكذلك اعادت ثقة الطرف الآخر فيه [1] .

فأما عند تحول الحوار إلى شجار ؛ فمن الأفضل إنهاؤه ، و أن يبتعد أحد الطرفين ، أوكليهما عن مكان النقاش، حتى تهدأ الأمور ومن ثمّ الإتفاق على موعد لاحق لمتابعة الحوار. تفهّم وجهة نظر الطرف الآخر واحترامها، وترك الفرصة المناسبة للطرف الآخر ليعبّر عن وجهة نظره ويوضّحها ، والتحلّي بالموضوعية والإتّزان ، والاستعداد للتنازل عن الرأي . فالحوار الهادف يزيد المتحاورين علماً وخبرة بالحياة ، فلا نستهن بما عند الطرف الآخر من رأي ووجهة نظر، وخير علاج للحوار النفسيّ الداخلي ؛ المصارحة بما يجول في خلده للطرف الآخر، وأن يتحلّى كلاهما بحسن الظنّ ، والغضّ عن الهفوات ، وتقدير الظروف النفسيّة والاجتماعيّة ، التي يمرّ بها الطرف الآخر لمصلحة المحافظة على سموّ العلاقة الزوجيّة وتوثيّقها [2] .

المطلب التاسع : تعزيز لغة الحوار الإيجابي

التعامل مع العوامل الشخصية المثيرة للحوار، وفقاً لسمات شخصية الطرف الآخر ، وتطبيق دور الحوار عليها؛ هو طريق لوجود أسرة مستقرة متحابة ومتآلفة يتحقق فيها ؛ المودة والرحمة وتكون سكناً لكل أفراد الأسرة . فالحوار ينبغي أن يدوم في الأسرة ويستمر ويزدهر مع الأيام ، فاستخدام لغة الحوار ينبغي أن لا تتوقف، ففائدته ليس على الزوجين فحسب ؛ وإنما تشمل كل أفراد العائلة الذين نشأوا وهم يرون والديهم

---

[1] وسطية الإسلام ودعوته إلى الحوار ، مرجع سابق ، ص28.

[2] **جلسم الطاوع** ،الأسرة السعيدة ، ص64.

يتعاملون بهذا السلوك الراقي ، فيسيرون على ذلك ، ويطبقونه مستقبلاً في حياتهم ويلتزمون به [1] .

تلطيف أجواء الحوار حيناً بعد حين، وذلك بإسداء بعض عبارات الاحترام والتقدير للطرف الآخر، فإن ذلك أدعى إلى كبح جماح الإنفعال لدى الطرف الآخر؛ وتهدئة جموحه نحو التعدي وعدم الموضوعية. عدم التسرع في الإقناع؛ لأن ذلك مما يجرح مشاعر الطرف الآخر، فالأفضل أن يظهر المحاور وجهة نظره بصورة واضحة، ويعطي الفرصة كاملة للطرف الآخر، ليظهر وجهة نظره، ثم تعطى فرصة زمنية للإثنين حتى يتأمل كل منهما وجهة نظر الآخر، فتتضح الرؤية مع هدوء الخواطر وفتور الإنفعال الوقتي الذي يصاحب لحظات الحوار [2].

فالصبر والحِلم ، هما أهم القواعد التي ينبني عليها الحوار، فالبعض ينفذ صبره ويضيق زرعا أثناء الحوار، حتى ولو كان الطرف الآخر لا يخالفه الرأي ، وهذا يفقد الحوار أهدافه ، فهنا يتجلى خلق الصبر والحِلم بضمان استمرارية الحوار، والوصول لقرارات إيجابية ترضي الأطراف . فالاختلاف في الرأي حاصل ، ويجب تقبله ، وله جانب إيجابي ؛ وقد يكون صواباً يصب في مصلحة الأطراف، فعليه إعتماد قاعدة : "**اختلاف الرأي لا يفسد في الود قضية**" ومادام في الأمر مصلحة ؛ فالود واجب على رغم الإختلاف ، فالصراحة والوضوح والمصداقية في الحوار مهم ، وعليه يكون النقاش لكي يخرج الزوجان منه بنتائج مرضية ومقنعة لكل منهما.

وأخيراً ؛ فإنّ الحوار الراقي مهارة لا يتقنها أكثر الناس ، وربّما كان الصمت السلبيّ خيراً من حوار يؤجّج الخلاف ، ويجرح القلوب ، ويوهن الروابط . فلندرّب أنفسنا على مهارة الحوار الراقي ، مع أزواجنا ، وأبنائنا وبناتنا، وجميع الناس ، فذلك خير لنا ، وأسعد لحياتنا وعلاقاتنا .

---

[1] المرجع نفسه ،ص 67.

[2] **خالد المغامسي ،الحوار و** آدابه ، ص 54.

المبحث السادس : أساليب التعامل مع الخلافات الزوجية والسعي في معالجتها

إن الخلاف يقع في الكون بأكمله ، يقول تعالى : ﴿ٱنِي ير ▫ بج[1]. فهو لا شك واقع في المجتمع ، بدءاً بالأسرة ، ثم القرية ، ثم المدينة ، ثم الشعب ، ثم الأمة ، ثم المعمورة ،فلا بد أن يقف الإنسان بتعقل أمام سنة الله سبحانه وتعالى في الاختلاف[2]

المطلب الأول : منهج الإسلام في معالجة الشقاق

[1] الروم : 22.

[2] عائض عبد الله القرني ، الخلاف أسبابه وآدابه ، الناشر: موقع وزارة الأوقاف السعودية ، (د.ت)ج2ص3.

يحرص الإسلام على بناء وحدة الأسرة على أسس متينة تضمن لها البقاء والاستمرار والتماسك، والمحافظة عليها من التشتت والتفكك ، فشرع لها حلولاً عملية يستهدي بها كل من الزوجين في حالة استفحال الخلاف والشقاق بينهما، فأشار على إتخاذ الحكمين عند حدوث خلاف بينهما ، فقال سبحانه : **ﭐﭑﭒﭓﭔﭕﭖ ﭗﭘﭙﭚﭛ** [1] . غير أن الأمر لا يخلو من إمكانية حدوث خلافات وصراعات ومشكلات بين الزوجين وأن القلوب معرضة للتحول والاتجاهات فتتغير، فقد يحل الشقاق محل التفاهم لأي سبب من الأسباب ، من الطبيعي أن يحدث بين الزوجين اختلاف في وجهات النظر، أو حدوث مشكلات تطرأ على حياتهما ، خاصة في السنوات الأولى من الزواج ، وذلك لاختلاف الشخصيات و الطباع والميول والأفكار[2]، ويندر في الواقع أن يعيش زوجان دهراً من عمرهما دون أن تطرأ في حياتهما مشكلات وخلافات ، ولكن في الواقع أن مواجهة هذه الخلافات تعتمد على شخصية الزوجين ودرجة النضج الفكري والنفسي، والوعي الديني ، والذكاء الاجتماعي ودرجة التفاهم بينهما. فهناك زوجان يحتاجان إلى طرف ثالث في حل الخلاف، وقد يكون الطرف الثالث غير حكيم مما يؤدي إلى تفاقم المشكلة ؛ لأن الزوجان في حالة الخلاف غالباً مما يعرضان الجانب السلبي من العلاقة دفاعاً عن النفس، وبالتالي فإن اعتماد الزوجين في هذه الحالة على أنفسهما في حل مشكلاتهما هي أفضل طريقة. ولكن إذا استعصى الأمر لدى البعض لانعدام التفاهم بينهما ؛ ففي هذا الحالة الأفضل الاستعانة بذوي الحكمة أو أصحاب الاختصاص في هذ المجال [3].

يقول تعالى: **ﭐﭑﭒﭓﭔﭕﭖ ﭗﭘﭙﭚﭛ** [4] ، ولذلك فعلينا أن نتقبل الخلافات الزوجية على أنها أمر لا مفر منه، أو هو شر لا بد منه ، ولا يعني ذلك أن نستسلم للخلاف ، وألا نأبه له عند حدوثه ، فالخلاف يعكر صفو النفوس ويقتل بهجة الحياة الزوجية ، وعلينا أن نبتعد منه بكل سبيل، و ينبغي أيضاً أن لا نظن أن الكارثة قد وقعت عند أي خلاف مهما كان ، ويجب أن نعلم أيضاً أن لكل

---

[1] النساء : 35.

[2] نبيل السمالوطي ، بناء المجتمع الإسلامي ، مرجع سابق ، ص96.

[3] عبد الرحمن اليوسف ، الزواج في ظل الإسلام ، **مرجعسابق ، ص**116.

[4] **النساء** : 128 .

جرح علاج و دواء ، وعلينا أن نحاول دائماً ولا نيأس من علاجه مطلقاً وعلى هذه القاعدة ، نستطيع أن نؤسس حياة زوجية سعيد[1] .

فمواجهة الخلافات يجب أن تتم داخل الأسرة الصغيرة ، فالزوجان هما المكلفان بحل المشكلات دون اللجوء للتحكيم الخارجي في أي شكل من الأشكال ، إلا في حالة تفاقم الخلاف والصراع بين الزوجين، فإن لم يستطيعا بجهودهما الذاتية حل المشكلات الداخلية ؛ يوجهنا الإسلام إلى ضبط النفس حتى لا يسرف أحد الطرفين
في إيذاء الطرف الآخر حفاظاً على حق العشرة السابقة [2].

المطلب الثاني : أسباب الخلاف بين الزوجين

من أسباب الخلاف بين الزوجين ، أن واقع الحياة وطبيعة البشر كما خلقهم الله سبحانه، قد يكون فيها حالات لا تؤثّر فيها التوجيهات، ولا تتأصَّل فيها المودَّة والسَّكَن، مما قد يصبح معه التمسُّك برباط الزوجية عَنَتًا ومشقةً، فلا يتحقق فيه المقصود ولا يحصل به صلاح النشء ، وهذه الحالات من الاضطراب، وعدم التوافق، قد تكون بواعثها داخلية أو خارجية، فقد ينبعثُ من تَدخُّل غيرِ حكيم من أهل الزوجين أو أقاربهما، أو تَتبع للصغير والكبير من أمورهما، وقد يصل الحال من بعضهم وكُبَرَاءِ الأسرة إلى فرض السَّيطرة على من يَلُونَ أمرهم ، مما قد يقود إلى الترافع إلى المحاكم؛ فتفشو الأسرار وتتكشف الأستار، وما كان ذلك إلا لأمرٍ صغيرٍ

وقد يكون منبع المشكلة قلة البصيرة في الدين والجهل بأحكام الشريعة السمحة ، وتراكم العادات السيئة والتمسك بالآراء الكليلة ، ومن الأمور التي لابد من معالجتها قبل أن تستمرأ في الحياة الزوجية المشكلات الصغيرة وتراكمها التي ربما تُسبب تراكمات سلبية في المراحل الآتية من الحياة الزوجية، وحينها يصعب الحل إن طالت المشكلة، وهناك أبجديات مهمة لحل المشاكل الزوجية، ومن أهمها قضية الحوار بين الزوجين، فلا سبيل لحل المشاكل العائلية إن لم يكن هناك طريقة للتفاهم والتشاور والحوار بين الزوجين ليتفهم كل طرف الآخر ويقتنع بوجهة نظره، ويتفقا فيما بينهما على مصلحة

---

[1] المرجع نفسه ، ص117.
[2] نبيل السمالوطي ،**بناء المجتمع الإسلامي**، ص99.

الطرفين، بعيدًا عن التشنج والتعصب للرأي الذي لا يُثمر، والتأسي بالهدي النبوي في الحوار الزوجي [1] .

وهنالك من البشر الذين يطيب لهم أن يسعون فساداً في التفريق بين الأزواج وزوجاتهم ، أما الشياطين ؛ فهي تسعى بكل ما أوتيتْ من حيل للإفساد والتفريق بين الأزواج ، فهي لا ترجو الصلاح ولا الاستقرار للمسلمين ، قال جلا وعلا : ﭐﱡ لم لى لي

ﱠ يم يى ﱡ ني

ىٰ ىٰيرٰىٰ ىٰ يى

ﱢ نىنى ير [2] ، وأعلى الشياطين منزلة عند إبليس، وأقربهم إليه، وأدناهم منه منزلة؛ ذلك الذي يفرق بين زوجين. قال : "**إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه ، فأدناهم منه منزلة: أعظمهم فتنة يجيء أحدهم، فيقول: فعلتُ كذا وكذا، فيقول: ما صنعتَ شيئًا. ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى** فرقتُ بينه وبين امرأته، فيدنيه منه ويقول: نِعْمَ أنتَ، فيلتزمه" [3] . إن شياطين الجن والإنس الذين في قلوبهم مرض الحسد والحقد ، فهم يتربصون بالأزواج ، ويضمرون لهما العداوة والبغضاء، فيصعِّدون الخلافات البسيطة مما يجعلها ذات حجم أكبر من أصلها، وربما كانت سبباً في إحداث الفرقة بينهما [4]

المطلب الثالث : مهارات التعامل مع الخلافات الزوجية

كيف نتعامل مع الخلافات الزوجية حتى لا نتأثر بها ونتضرر، فالوقاية خيرٌ من العلاج، فيجب وأْد هذه الخلافات مبكرًا، وأن تُجتزَّ من جذورها قبل أن يقوي عودها، ويصعب نزعها، ويجب على الزوجين أن يسرعا في معالجة الخلافات في بدايتها ولا

---

[1] صالح بن حميد ،البيت السعيد وخلاف الزوجين ،ص19.

[2] البقرة : 102.

[3] صحيح مسلم ، كتاب صفة القيامة والجنة ، باب: تحريش الشيطان أن يبعث سراياه لفتنة الناس وإن مع كل إنسان قرين ، رقم الحديث 2813، ج4 ص 2167.

[4] عائض القرني ،الخلاف أسبابه وآدابه ، ص4.

يتوانيا في حلها، وما أجمل أن يضع الزوجان أسلوباً أو منهجًا، يتفقان عليه في مواجهة المشكلات الزوجية؛ وذلك من أول أيام الزواج، فمعرفة الأسباب بداية العلاج ، وكل الأمراض وجميع المشكلات لا يمكن حلها أو التغلُّب عليها إلا إذا تمَّ تحديد أسبابها بدقَّة ووضوح، ولكل زوجين مشكلات خاصة بهما وهي تختلف وتتنوع ولا يمكن حصرها، فإن التعرف على الأسباب الحقيقيَّة للخلافات بين الزوجين ضرورة للقضاء عليها في وقتها [1] .

فإذا ترك الزوجان المشكلات التي تواجههما دون اتفاق على منهج محدد للتغلب عليها، فقد تعصف أمواج هذه المشكلات بحياتهما، ويمكن للزوجين أن يتخذا بعضًا من المهارات والمبادئ كدستور حتى يسهل عليهما التعامل مع الخلافات الزوجية، ومنها:

أولاً :اللجوء إلى جوهر الإسلام فيما يتعلق بالمشكلة والأخذ بما جاء في القرآن والسنّة، ثم عرض المشاكل على هذا المنهج والخضوع لرأي الدين فيها.

ثانياً: السرية، فليس لأحدهما أن يخبر أحدًا آخر بما دار بينهما من خلاف.

ثالثاً: خير الزوجين من يبدأ بالسلام، ويقبل على الطرف الآخر ولا يهجره، ويصالحه ويصفح عنه.

رابعاً : التناصح والتواصي بالحق، والموعظة الحسنة من قبل الزوجين.

خامساً: الاقتناع والتفاهم والتحاور الهادئ والاعتراف بالأخطاء هو السبيل لحل الخلافات.

سادساً : الاختلاف لا يعني التشاجر أو التخاصم.

سابعاً : التحلي بالصبر والحلم والأناة، وترك الغضب والثورة.

ثامناً :على الزوجة أن تتسم باللين والرِقة، وعلى الزوج أن يتسم بالرحمة والرفق.

---

[1] نبيا السمالوطي **بناء المجتمع الإسلامي** ، ص97.

تاسعاً :الاعتذار؛ فعلى من يشعر بالخطأ أن يبادر بالاعتذار للطرف الآخر.

عاشراً :لا يجوز الاختلاف على أمر ديني ثابت.

أحد عشر: لا يجوز الاختلاف على حق يجب لأحدهما على الآخر، كأن يترك الزوج الإنفاق على زوجته، أو تأبى الزوجة طاعة زوجها [1].

إثني عشر: تفادي الحرام في الخلافات، فلا يجوز السب أو الحلف بالطلاق، أو ما شابه ذلك.

ثلاثة عشر: تذكر إيجابيات الطرف الآخر، والمواقف الطيبة بين الزوجين خلال فترة الخلاف، وعند مناقشتها.

أربعة عشر :لا هجر إلا في البيت، فلا يجوز للزوج ترك البيت والذهاب إلى أحد الأصدقاء أو غيره، إلا أن يظن أن الخير في ذلك فيجوز له .

خمسة عشر :لا تترك الزوجة بيت زوجها، وتذهب إلى بيت أهلها مهما كانت المشكلة.

ستة عشر: إبعاد الأبناء عن المشكلات، فلا يختلف الزوجان أمامهم.

سبعة عشر :السرعة في الحل، فلا يجوز ترك المشكلة وقتاً طويلا قبل المبادرة لحلها.

ثمانية عشر : تقليل المدى الزمني للخلافات، فعلى الزوجين أن يتفقا على مدة زمنية، ينتهي الخلاف عندها مهما كان.

تسعة عشر :لا يجوز للزوج أن يضرب زوجته ، أو أن يسيء إليها أو يقبح.

عشرون :إذا لم يتفق الزوجان، فعليهما أن يخبرا طرفاً ثالثاً، يُعرف بالصلاح والأمانة أو من قِبل الاختصاص في هذا المجال [2] .

أما إذا اشتد الخلاف وعلم الزوجان أن حياتهما لم تعد تطاق، وفشلت كل سبل العلاج والوفاق، وأصبح زواجهما نقمة عليهما، فإن الطلاق هو الوسيلة الوحيدة للعلاج في هذه الحالة ، عسى أن يصلح به الحال وترفع به المضرة ، قال تعالى :ﱡ ﱠ

---

[1] المرجع السابق، ص98.

[2] عبد الرحمن اليوسف ، **الزواج في ظل الإسلام** ، ص 127.

[1] ففي هذه الحالة يكون الطلاق ضرورياً للخلاص من رابطة الزوجية التي أصبحت لا تحقق الغرض المقصود منه قال الله سبحانه:

[2] □□ □

فعندما تفشل جميع الوسائل في علاج الاختلاف ، ويصبح الإبقاء على رباط الزوجية شاقاً وعسيراً بحيث لا تحقّق معه الأهداف والحِكم الله الجليلة التي أرادها الله تعالى ، فمن سماحة التشريع وتمام أحكامه أن جعل مخرجاً من هذه الضائقة [3].

إن أهم ما يُطلب في المعالجة: الصبر والتحمُّل، ومعرفة الاختلاف في المدارك والعقول، والتفاوت في الطباع. مع ضرورة التسامح والتغاضي عن كثير من الأمور، ولا تكون المصلحة والخير دائمًا فيما يحب ويشتهي، بل قد يكون الخير فيما لا يحب ولا يشتهي؛ يقول تعالى: [4].

ويمكننا القول: إن أسباب المشكلات الزوجية تأتي من غياب المنهج الإسلامي في العلاقة التي بين الزوجين، والتي تنظم أحوال الأسرة جميعها.

والزوجة الحكيمة هي التي تستفيد من كل خلاف، فلا تعود إليه أبدًا؛ وأن تتخذ من المصالحة وسيلة جديدة للترابط والتوافق، فتعض عليها بالنواجذ، وكذلك الزوج الفطن الحاذق بإمكانه أن يحافظ على قوام الأسرة بالحب وحُسن العِشرة والرحمة، وأن يغض الطرف عن الهفوات قال رسول الله □ : " **لا يفرك مؤمن مؤمنة إن سخط منها خلقاً رضي منها خلقاً آخر** " [5] . والإنسان كالقمر له جانب مضيء وجانب مظلم ، فينبغي النظر في الجانب المشرق ، فسيكولوجية التعامل بين الزوجين ، ومع الآخرين

---

[1] النساء : 130 .

[2] **البقرة** : 233.

[3] صلاح بن حميد ،البيت السعيد والخلاف بين الزوجين ، ص 27.

[4] **النساء** : 19.

[5] سبق تخريجه ، ص 43.

مهم للغاية ؛ وذلك لتجنب كثير من الخلافات والخصام ؛ لكي يحل محلها المودة والرحمة والتسامح والمحبة ، ولكي ينعمان بالحياة الطيبة والاستقرار النفسي والأسري.

المطلب الرابع: أسس وأثر نجاح العلاقة بين الزوجين

إن أداء الحق الزواجي لوحده غير كافٍ للوصول إلى أرقى مستويات العلاقة الوطيدة بين الطرفين طالما لم يتحلّ كل منهما بالآداب الإسلامية الخاصة التي تتعلق بشؤون الأسرة ، والعلة في ذلك أن القيام بالآداب يلعب دوراً مهماً في تنمية عوامل المودة والاستمرار ويثمر في شتّى مجالات الحياة الزوجية؛ ليبلغ بها أجمل صورة ممكن أن تكون عليها، فمن عوامل أسس النجاح في العلاقة بين الزوجين أن يعرف كل منهما خصال الآخر ، وما يبغضه وما يرضيه ، ويحرص على فعل ما يريح الطرف الآخر ما دام في حدود المسموح به شرعاً ، ويكون هذا سبباً في سعادتهما وسعادة أولادهما في الدنيا والآخرة [1]، هناك أسس كفيلة بإنجاح العلاقة إذا ما حرص كلا الزوجين على تحقيقها ومن أهم هذه الأسس:

المسألة الأولى : هيمنة المشاعر الإيجابية بين الزوجين :

يقصد بهيمنة المشاعر الإيجابية : تركيز كلا الزوجين على النواح الإيجابية في شخصية ومواقف و سلوكيات الطرف الآخر و الاستعداد لتقبل الهفوات والتغاضي عن بعض التصرفات ، والتماس الأعذار ، بطريقة لا تقلل من الاحترام بين الطرفين ، وإن وصول العلاقة الزوجية لهذا القدر من الإيجابية في المشاعر؛ يعني تحقيق قدر كبير من التفاهم والاستيعاب، والمقدرة على التكيف بطريقة أفضل مع الأزمات، والتفاوض والتحاور حولها من أجل الوصول لحلول لها ، كما يعني سيادة الشعور

---

[1] مصطفى العدوي ،فقه التعامل بين الزوجين ، ص15.

بالتقدير بين الزوجين وبالتالي الرغبة في الاستمرار سوياً، فيحقق ذلك جو أسري قوامه المودة ، ودعائمه الرحمة [1].

ويمكن للزوجين أن يحققا المشاعر الإيجابية من خلال :

أولاً: تحقيق المشاعر الإيجابية داخل الذات أولاً ، بتخليتها من مشاعر الحقد والأنانية والرغبة في السيطرة ،قال تعالى : **ُّ ¤ ¦ ¥** [2] ، وسُئل رسول الله : أي الناس أفضل؟ فقال: "كل مخموم القلب صدوق اللسان"، فقيل له: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ فقال : "**هو التقي النقي، لا إثم ولا بغي ولا غل ولا حسد**" [3]، فهذه قاعدة أساسية على الزوجين أن يحرصا عليها ، فيبدأ كل منهما بتهيئة ذاته للمشاعر الإيجابية ، قبل أن يطلب ذلك من الطرف الآخر.

ثانياً: البعد عن التصرفات التي من شأنها أن تشعر الطرف الآخر أنه موضع شك ، أو أنه غير جدير بالثقة ، قال رسول الله : "**إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا...**" [4] .

ثالثاً: البعد عن المثالية الزائدة ، والرغبة في تحقيق الكمال الذاتي أو تكامل شخصية الطرف الآخر ، فليست هناك شخصية لا تحمل عيوب أو نقاط ضعف وتجاوزات وأخطاء ،فهذا الأمر طبيعي وليس مستغرباً ، فعند اختلاف الثقافات والتجارب والأنماط الفكرية في التحليل والاستنتاج ، فهو من المسلّم به في هذه الحالة أن يكون تنوع الآراء والمواقف هو الحاكم وسيد الموقف ؛ وهذا عامل قوة في الحياة الزوجية وليس ضعفاً كما يظن البعض ؛ لأنّ هذا الخلاف من المفترض أن يتحوّل إلى أرضية خصبة وصالحة لبدء حوار بنّاء وفعّال بين الزوجين ، وما يصاحب هذا الحوار من عملية

---

[1] المرجع نفسه ، ص176.

[2] **الحشر** : 10.

[3] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، كتاب الأدب ، كتاب الرقاق ، حديث رقم 5221 ،ج2 ص 3267.

[4] صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب : تحريم الظن ، حديث رقم 2563، ج 4 ص 1985 .

إقناع متبادل وتلاقي في الفكر ، ومحاولة لفهم الطرف الآخر أكثر فأكثر ، وتمتينها وتقويتها من خلال الحوار والنقاش المباشر؛ بهدف إيجاد الحلول المناسبة والصحيحة للخلافات التي يمكن أن تطرأ على الحياة الزوجية، ولكن لزاماً أن يكون هذا النقاش خاضعاً للمعايير والضوابط الدينية والتربوية والنفسية، وبالتالي نحن أمام فرصة حقيقية لتطوير العلاقة بين الزوجين [1].

لو تصورنا أن زوجين مؤمنين كلاهما على طاعة الله، وملتزمان أمام الله، ومطبقان لكتاب الله وسنة رسوله نظرياً وعملياً، فمن المستبعد أن ينشأ بينهما خلاف ! إلا ما كان طفيفاً جداً في وجهات النظر، لكن هذا يدوم ساعة، أما الاختلاف العميق الذي نراه في البيوت فهو الخطر؛ ولن يسعد كلا الزوجين بزواج سعيد إلا إذا تقربا إلى الله، إلا إذا عرفاه، وأطاعاه ، وسعدا بقربه، ويتقي كل منهما ويخشى أن يظلم الطرف الآخر، وكل منهما يتقرب إلى الله بإسعاد الطرف الآخر ، وعلى الجانب السلبي إذا كان هناك تقصير في طاعة الله عز وجل فالناتج الطبيعي لهذا التقصير عدم الود بين الزوجين ، وكما ورد في الأثر عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي كان يقول : " **والذي نفسي بيده ما تواد اثنان فيفرق بينهم إلا بذنب أحدهما ...**" [2] . والسبيل الأول لتكوين الأسرة هو نظام الزواج المبني على أسس ومبادي إسلامية ،لا على التقاليد الاجتماعية التي تدعو للبعد عن آداب الإسلام، والواقع أن كل الأديان قدَّمت تصورات لتنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة بشكل يخضع لضوابط وتنظيمات دقيقة، وبشكل ينظم الفطرة التي أودعها الله في الإنسان كما أودعها في الحيوان، تنظيماً يرتفع بالإنسان الذي كرمه الله ونفخ فيه من روحه وأهله للخلافة عنه سبحانه وتعالى عن مستوى الفطرة الحيوانية، وإذا كان الإنسان مطبوعاً على حب البقاء، وإذا

[1] عبد الكريم زيدان ،المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم، ص36.
[2] صحيح الأدب المفرد ، باب : هجرة المسلم ، حديث رقم 401 ص 158.

كان لا سبيل إلى بقائه بذاته –لأن كل نفس ذائقة الموت– فإن سبيله، للبقاء هو النسل المعروف نسبته [1].

المطلب الثالث : أثر تديُّن الزوجين في استقرار الحياة الزوجية، وأداء الأسرة لدورها الاجتماعي المنشود: يتمثل في مسألتين:

المسألة الأولى : التواصي بالحقِّ والتعاون على طاعة الله والتذكير بتقوى الله :

إن الإسلام عقيدة تملأ القلب من نور الله وخشيته، وتحمل المؤمن على العمل بمقتضى منهجه وشريعته، وتغرس فيه أخلاقاً كريمة توطِّد صِلات المودَّة بين الناس، فتجعل علاقاتهم قائمة على الانسجام والتكامل، لا على التنافر والتنازع ، وانطلاقاً من ذلك نرى أن الزوجين المسلمين حَقَّ الإسلام، المؤمنين حَقَّ الإيمان، يسعيان معاً بكلِّ صدق وإخلاص إلى تطبيق مبادئ هذا الدِّين الخالد وقِيَمِه العليا في علاقاتهما اليومية ، ليتمسكا بالعادات التي لها صلة بالدين[2] .

قال رسول الله " **ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً وزوجة مؤمنة تعينه على أمر الآخرة**" [3] ،كما أن النبي حثَّ على نكاح المرأة الصالحة، وتزويج الرجل الصالح الذي يُرضى دينه وخلقه، من أجل تحقيق هذه الغاية الجليلة، وهي التعاون بين الزوجين وأولادهما وأهليهما على مرضاة الله تعالى والاستقامة على دينه. وعن أبي سعيد، وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول اللَّه " **إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا ركعتين، كُتبا من الذاكرين اللهَ كثيراً والذاكرات**"[4]

فينبغي على الزوجين أن يوصي بعضُهما بعضًا بالحق الذي يحق القيامُ به من قضايا الإيمان بالله ومسائل التوحيد، ويتعاونا على طاعة الله بما شرعه واجتناب ما نهى عنه، ويذكّر بعضُهما بعضًا بتقوى الله والصبر على القيام به عملاً بقوله تعالى : **ُّ ¤ ¦** [5] ، وقد جاء ثناء النبيِّ وترحُّمه على زوجين يعين كلٌّ منهما الآخرَ على

---

[1] نبيل السمالوطي **بناء المجتمع الإسلامي** ، مرجع سابق ، ص 77.
[2] **خالد عبد الرحمن العك ،بناء الأسرة في الإسلام** ، ص25.
[3] صحيح الجامع الصغير، محمد ناصر الدين الألباني ، حديث رقم 5351 ، ج 2 ص 945
[4] **سنن أبي داود** ، باب : قيام الليل ، حديث رقم 1309 ، ج2 ص 33
[5] **العصر** : 3 .

طاعة الله وعبادته فقال: "**رَحِمَ اللهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، ثُمَّ أَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، وَرَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ، ثُمَّ أَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ**" [1] .

ومن ذلك ما يعظ به الرجل زوجته ،فينصحها ويعظها، ويأمرها بتقوى الله، ويذكّرها بما أوجب الله عليها من جميل العشرة وحُسن الصحبة والاعتراف بالدرجة التي له عليها، ونحو ذلك من النصائح التي تؤثّر في قلب المرأة ، والمرأة في مقابل ذلك تذكّره بتقوى الله والرجوع عمَّا هو عليه من انحراف عن الحق أو ميل إلى الباطل وتحيُّدٍ عن سواء السبيل ، وتحذره من سوء العاقبة ، فقد كانت الزوجة الصالحة من

السلف تقول لبعلها إذا خرج إلى عمله: (اتَّقِ اللهَ فينا ولا تأتِنا برزقٍ من حرامٍ؛ فإنَّا نصبر على الجوع في الدنيا ولا نصبر على نار جهنَّم يوم القيامة [2].

المسألة الثانية: بذل الثقة وإحسان الظنِّ

فينبغي على كلٍّ من الزوجين أن تصدر أقواله وتصرُّفاته بعيدة عن الحيف والتشكيك أو التكذيب أو إساءة الظنِّ بصاحبه لقوله تعالى : **ﱡ لم لى لي**
ﱠ ني [3] ، ولقوله ﷺ : "**إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلاً** "[4] .

قال ابن حزمٍ رحمه الله: (والإحسان إلى النساء فرضٌ ولا يحِلُّ تتبُّعُ عثراتهنَّ) [5] بل
بل ينبغي أن يكون كلٌّ منهما واثقًا مِن صدق أقوال صاحبه وإخلاص نصيحته له، لذلك وجب أن يكون كلُّ واحدٍ صادقًا مع صاحبه مخلصًا له أمينًا تجاهه، فإذا حدَّث فلا يحدِّث إلاَّ بما هو صادقٌ فيه، وإذا أخبر فلا يخبر إلاَّ بما هو واقعٌ في نفس الأمر، وإذا وعد صدق في وعده وأنجزه، كما يجب أن يتَّصف كلُّ واحدٍ منهما بالأمانة تجاه صاحبه فلا يخونه ولا يغشُّه في قليلٍ ولا كثيرٍ، ولا يزوِّر عليه الحقيقةَ أو يغُرُّ به

---

[1] أخرجه أبو داود ، باب قيام الليل (١٣٠٨) ج 2 ص 33، والنسائي في كتاب قيام الليل وتطوُّع النهار، باب الترغيب في قيام الليل (١٦١٠) ج 3 ص 205.
[2] إحياء علوم الدين، للغزالي ج٢ص ٥٨.
[3] الحجرات : 12 .
[4] صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب : لا يطرق أهله ليلا إذا أطال الغيبة مخافة أن يخونهم أو يلتمس عثراتهم ، من حديث جابر بن عبد الله ، حديث رقم 5244 ج7 ص 39.
[5] المحلى ، ج10 ص 72.

بحالٍ من الأحوال، ولا يُظهر له خلافَ ما يضمره، ولا يزيِّن له القبيح والشرَّ ليقع فيه، ولا يعاهده على كتمان سرٍّ أو حفظ نفسٍ أو عِرْضٍ أو مالٍ ثمَّ يخونه ويغدر به، والمسلم لا يتَّصف بالخيانة والغشِّ والغدر ولا يتخلَّق بها تجاه الناس وتجاه زوجته، أو تجاه زوجها، لأنها صفاتُ أذًى ومكرٍ مذمومةٌ شرعًا، قال تعالى : ﴿ ﴾ [1].

وقال تعالى : ﴿ ﴾ [2]، بل إنَّ عدم الصدق والإخلال بالأمانة من النفاق وخصاله ، وقد بيَّن ذلك النبيُّ ﷺ بقوله :" **آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**" [3]

فالأُسرةً التي تقوم على علاقة طيبة بين أفرادها، هي أسرة جديرة بأن تظللها السعادة الدائمة، وأن تكون مرتعاً خصباً لتربية الأولاد على الفضائل والمكارم، وبذا تكون قد أدَّت رسالتها وحقَّقت الهدف الأسمى من إنشائها، ألا وهو إمداد المجتمع بأفراد صالحين، وإعدادهم لتحمُّل المسؤولية، وليكونوا خلفاً صالحاً، يرثون منهج أسلافهم الصالحين، وبذلك تدور رحى الحياة البشرية في الاتجاه الصحيح، وتسير قافلة الحياة على الطريق الآمن السويِّ الذي يوصل للسعادة والرضا[4] .

فنرى أن العلاقة الطيِّبة تنمو بينهما باستمرار، وتزدهر بعيداً عن كلِّ ما يعكِّر صفوها، بل إن الفتور لا يجد في هذا الجدار المنيع ثغرة ينفذ من خلالها إلى حياتهما، وأن حرارة المودَّة تنبع من الإيمان الَّذي ملك عليهما السمع والبصر والتفكير، وهذا الإيمان في ازدياد مستمر يوماً بعد يوم، وإن الأسرة التي تقوم حياتها على هذه الأسس، فهي أسرة بعيدة عن كل الظواهر التي تحكمها العادات والتقاليد، وإنما تحكمها العبادات .

---

[1] الأحزاب : 58.

[2] فاطر : 43.

[3] صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب : علامة المنافق حديث رقم 33ج1 ص 16من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

[4] خالد عبد الرحمن العك بناء الأسرة في الإسلام ، مرجع سابق ، ص 26.

فالأزواج الَّذين لا يلتزمون بالمبادئ الإسلامية ، ولا يقدِّسون هذه القيم ، حيث تسود حياتهم الأهواء ، بعيدين عن هدي الله وشرعه؛ تبدأ المشكلة بنزاع خفيف لا يلبث أن يتطور ويستفحل أمره ، حتَّى يأتي على الأسرة فيدمِّرها ؛ لأن كلاً من طرفيه لا يحتكم إلى الشرع الَّذي يوازن بين الحقوق والواجبات ، والَّذي وضع لنا الميزان لنُميِّز بين الخطأ والصواب ؛ هذا الميزان الَّذي اعتاد الناس أن يتجاهلوه ، والإصرار على فلسفة الخطأ لإظهاره صواباً وهنا يكمن الخطأ ، لاسيَّما وأن الشيطان يجد في هذه البيئة ضالَّته المنشودة ، فيزيِّن للمبطل باطله ، ويعميه عن الحقِّ ولوازمه ، فإذا هو قد ضل وسلك منهج الباطل بعيداً عن منهج الحقِّ، وهو يحسب أنه يحسن صنعاً ويحقِّق مكسباً ، ولكنه لا يدري أنه يسعى إلى شقائه الَّذي يلازم حياته ولا يفارقه ؛ فيشعر بقلق دائم واضطراب مستمر ونزاع شديد ، كلُّ ذلك نتيجة الإعراض هن كتاب الله عز وجل ، وهدي رسوله الكريم .